

ابن حجاج بن يوسف

رواية تاريخية غرامية

هي الحلقة السادسة من سلسلة روايات تاريخ الإسلام

تتضمن حصار مكة على عهد عبد الله بن الزبير إلى قتها

ومقتل ابن الزبير وخلوص أخلاقيه لميد الملك

ابن مروان • ويختل ذلك وصف مكة

والمدينة وعادات أهاليها

وأخلاقهم وسائر

احواطهم

تأليف

جرجي زيدان

« منشي • الهلال »

مطبعة الهلال بالقاهرة مصر

سنة ١٩٠٢

مقدمة

هذه هي الحلقة السادسة من روايات تاريخ الاسلام التي اخذنا على عاتقنا تأليفها ونشرها بين قراء هذا المسان . لان تاريخ الاسلام عبارة عن تاريخ الشرق الحديث او هو تاريخ العالم كله بعد عصر الرومان والقرن . فيحدراً بآباء الشرق درسهُ والاعتيار به

وقد رأينا بالأخبار ان نشر التاريخ على اسلوب الرواية أفضل وسيلة لترغيب الناس في مطالعته والاستزادة منه . وخصوصاً لأننا نتوخى جهدنا في ان يكون التاريخ حاكماً على الرواية لا هي عليه كما فعل بعض كتبة الاقرخ وفيهم من جعل غرضهُ الاول تأليف الرواية وافتتاحه بالحقائق التاريخية لاباس الرواية ثوب الحقيقة . فجره ذلك الى التناهى في سرد الحوادث التاريخية بما يصل القراء

واما نحن فالعده في روایاتنا على التاريخ ولما تأتي بحوادث الرواية تشويقاً للمطالعين . فنبقي الحوادث التاريخية على حالها وندمج في خلاها قصة غرامية تشوّق المطالع الى استئام قراءتها . فيصبح الاعتماد على ما يجيء في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أي كتابٍ من كتب التاريخ من حيث الزمان والمكان والأشخاص . الاً ما تقتضيه القصة من التوسيع في الوصف مما لا تأثير له على الحقيقة . بل هو يزيدها بياناً ووضوحاً بما يتخلله من وصف العادات والأخلاق فنطلب اليه تعالى ان يأخذ بيدنا لاقام هذه السلسلة وهو حسبنا ونـم الوـكـيل



الفصل الأول

— بعد مقتل الحسين —

انهينا في رواية « غادة كربلا » التي حيث قتل الحسين بن علي واهله في كربلا
يجوار الكوفة وما كان من الواقع بعد ذلك الى وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ ولما
مات يزيد كان عبد الله بن الزبير لا يزال في مكة يدعوا الى نفسه وقد خلا له الجو
بعد موت الحسين . وكان يزيد قد بعث لنبالو جندًا تحت قيادة الحصرين بن ثور لجاء
المغير بوفاة يزيد وهم في المصار . ولم يكن من ابناء يزيد من يصلح للخلافة فرأى الحصرين
ان الامر لا يستحب الا بابيعة عبد الله بن الزبير . فطلب اليه ان يمحض الدماء ويقدم
معه الى الشام لبابيعة فابي عبد الله . فارحل الحصرين الى الشام معه ودانت المحاجز
لابن الزبير

ولما في الشام فاتهموا بقتل يزيد بعد موت يزيد ابنة معاوية (الثانية) فلم يعش الا أيام ثم
اخذلوا على من يبايعون بهـ . وكان في جملة امراء بني امية مروان بن الحكم وكان أميرـاً
المدينة على عهد يزيد . فلما مات يزيد رحل مروان الى الشام فبايعه لانه شيخ طاغون في
المن فتروج ام خالد بن يزيد ليكتسب حزب بني يزيد ويصغر نفس خالد عن طلب
الخلافة . ولكن امرأته هنـ خفـتـ سـ ٦٥هـ لمـ يـ سـ اـ تـ ذـ كـ رـ وـ هـ وـ مـ يـ حـ كـ الـ نـ سـ
اثـ هـ وـ بـ ضـ عـ شـ رـ يـ مـ اـ . فـ وـ لـ وـ مـ كـ اـ نـ اـ بـ اـ عـ دـ الـ مـ لـ لـ كـ بـ يـ مـ زـ وـ رـ وـ جـ عـ اـ
رـ هـ تـ دـ وـ لـ دـ بـ يـ اـ مـ وـ تـ اـ يـ اـ سـ لـ طـ اـ بـ اـ

ولما ما كان من اهل الكوفة فاتهم بعد مقتل الحسين تدمروا على مخاليم شبه ورجعوا
إلى رشدم وأقاموا بطاليون ابن زياد واصحابة بدمه وسموا أنفسهم التوانين
وفي سنة ٦٦هـ ظهر في الكوفة رجل اسمه المختار بن عبيد قام بطالب بدم الحسين
ويدعى الناس الى بيعة ابن الزبير فغارب الاموريين وقتل قتلة الحسين وفهم عبيد الله بن
زياد وشير بن ذي الجوشين وخولي الاصبهي وعمر بن سعد وغيرهم . فلما ذاق النصر بدأ
دعونه وصار يدعوا الى عبيد بن الحنطة اخي الحسين من ابيه ورعم ان جبريل يظهر لهـ .
والخذ كرسياً قال ان فيه مرمـاً مثل مرتـابـتـ الـ مـ لـ عـ دـ الـ مـ

فلم استغسل امر المختار في الكوفة ودان له العراق اصبحت المخلافة بمنازعها ثلاثة — عبد الملك في الشام ومصر والمختار في العراق وابن الزبير في الحجاز . وغضب عبد الله ابن الزبير على المختار لنفسه يبعثه بيعته اليه اخاه مصعب بن الزبير فخاربه وقتلها . خدانت العراق لعبد الله ولم يقلي لها اية غير الشام ومصر . ثم ثغاف عبد الملك على سلطانه فجده جديداً وقدم الى العراق فحارب مصعباً وقتلته سنة ٧١هـ واسترجع العراق . وبعث جديداً الى الحجاز لقتال ابن الزبير فملك المدينة ثم أرسل الحجاج بن يوسف الفقي في جديده لفتح مكة فحاصرها وطلب الى عبد الله ان يسلم نابي . فدخلت مكة سنة ٧٣هـ وابن الزبير محصور في مكة وقد قتل زاده وفارقة رجاله

الفصل الثاني

عزة الميلاد في المدينة

المدينة وبفال ما يزور في مدينة الرسول وفيها قبره ومسجدك . وكان يحيط بها سور وخدق وهي واقعة في منبسط من الأرض تكتنفها الأجرام والغياض . وقد حررت في صدر الإسلام حتى كانت أيام يزيد بن معاوية فهاجرها كثير من أهلها^(١) لكنه انتهى بالحروب في أيامه ولكنها مازالت آهلة وفيها أهل البيوت وتخلل ابنائها اليسارون والخدائق فأكثار مغاربها من التخيل^(٢)

وكان من أهل المدينة في أوسط القرن الاول للهجرة مغنية يقال لها عن الميلاد وكانت مولة للأنصار . وهي اقدم من غني المدنا . الموقع من النساء في الحجاز . وقد سميت الميلاد لتأبابها في مدينتها . وكان العود حديث العهد عبد العرب فاجادت ضربه حتى ضرب المثل بها . وكانت تخمن الضرب بالماهر والمعاذف وسائر آلات الطرب وكانت جميلة الوجه ظريفة اللسان كريمة المخلق سخية النفس لا يقدم فادم الى المدينة الا نيسان يراها وبجمع غنائمها

وكان العرب يومئذ لا يعدون النساء من الصنائع الالاتية بأهل الدرف^(٣)

(١) صفة الاختبار (٢) مرآء الاطلاع ج ٣ (٣) الاقافي ج ١

ولكن عزة كانت مع ذلك ذات دين حسن وهبة ووفار اذا جلست جلوساً عاماً
فكان العابر على رؤوس اهل مجلها من نكل او تحرك فترأسه^(١)

وكانت دار عن في طرف المدينة من جهة الشمال ما يلي طريق الشام في بستان
من الخيل لخلة اشجار الناكحة من البرقان والنناح ويكتفي البستان والدار سور قابل
الارتفاع له باب يصراع واحد في وسطه خوخة . وفي بعض جوانب البستان عريش مبني
من معدن الفحل اشبه بقبو طويل تبقي فيه الدواب . والبيت عبارة عن باحة كبيرة
يكتفى بها من الجانبين غرفتان من كل جانب وفي الصدر قاعة واسعة تجلس فيها عزة
لتحاطة الزوار وينيدي باحة الدار بخلافات متقاربة تفلل تلك الباحة في اثناء النهار

في يوم من ايام ربيع الآخر سنة ٧٣ للهجرة (وهو يوانق شهر اوغسطس
سنة ٦٩٦)^(٢) قضت عنة الميلاد نهارها في بيته وكان يوماً شديداً الحر والحر ثليل
هذاك نظاراً للرطوبة المتكاثفة مما يصادع من الايجنة عن المستنقعات والاشجار . فلما
دنت الشمس من الغروب دخلت عزه الى مخدعها فاصغرجت قارورة من الطيب
فقطببت وبذلت ثيابها فالغفت ملاحة معصفرة لونها اصفر زاهي وكثنت القباب عن
رأسها لشدة الحر مع خلو المكان من الرجال فأرادت تناول عداءها على سطح البيت
تحت السماء

وكانت يومئذ في نحو الخميس من عمرها وقد ترايد سبها وذهب استداره وجوباً وارتخي
خداها واستطلاع الى اسفل النفق بما يشبه ذفناً تانياً . ونقل بذاتها حتى لم يكن في المدينة
دابة تحملها^(٣) ولا غرابة في سبها وهي فلما تلتفل من بيته والناس يندون عليها لمامع
غشامها او ضرب عودها ويسلون اليها الاموال والهدايا من الخل والجواهر حتى ملأت
معصفيها بالاساور والدمالج وملأت غصتها بالعتود وضفت شعرها بسلامل الذهب
والدنانير وعلقت في اذنيها فرطين كبارين يناسبان حجم اذنيها لاماً كانت كبيرةها مع
تناسب التكاسير وكذلك آذان اهل الغنا والموسيقى في الغالب^(٤)

وكان الرجل من اهل الوجهة اذا أراد التزوج بنها لا يعرفها استدار عندها
ويسطعها في خطبها او استطلاع جمالها وصحبها^(٥)

وكانت عزة قد قضت ذلك اليوم ولم تصل علاً لشدة الحر وعندتها فتاة من زرالة

(١) الاضاليج ١٦ (٢) القروم الام (٣) الاضاليج ٢ (٤) علم القراءة الحديث

(٥) الاضاليج ١٠

المدينة انهم « سيبة » كانت تخربها وتأنس بها . وكانت النهاة ترناح الى عزة وتكلشها بسرها و تستثيرها في امرها وقد جاءها يومئذ وعليها ثوب احمر يكسوها كثباً . وكانت معتدلة الناتمة صحبيحة الجسم اذا نظرت الى نطاقيع وجهها افراداً لا ترى جمالاً باهراً ولكن في عينيها ما يدل على الذكاء والحسب و حول ثغرها ابتسامة تأخذ بالعقل حتى كانت وهي في معظم اضطرابها قلما تبدو الكآبة على وجهها وإنما ظاهر الكآبة على يظهر المحبة . وفي ذقها اندفاع قليل الى الامام مع بروز هو دليل الانعطاف وفي انفها دلف قليل يزيدها هيبة . وكانت سيبة حبيبة في نحو الثالثة والعشرين من عمرها

الفصل الثالث

ضواحي المدينة

فلا ارادت عن الصعود الى المصطح امرت جارية لها ان ترش عليه البساط وتعد المائدة وامسكت ضيفتها بيدها وقالت لها وهي كأنها تنشغلها عن همومها « هل يا هذا المصطح يا سيبة وانتركي المهاجم عنك وتعالي لاريك يارب وضواحيها عن سطح يتي فانها من اجمل ما يكون ولا تجعلي في الذهاب الى ينكم لان والدك لا أظنه عاد ابو» فمشت النهاة وراءها وقد ارتحت لتوها وارادت نسيان ما يحول في خاطرها من دواعي المفهوم وصعدتا على سلم من الخشب كان يرتفع كلما نقلت عن قدمها عليه حتى وصلتا الى المصطح والبارية قد اعددت المائدة . فجلعت عندها سيبة واجلسست سيبة الى جانبها وقد لاحظت انها لا تزال مشغولة بالبال بما في نفسها . فارادت ان تصرف ذهابها الى شيء آخر فلم تر خيراً من ان توجه الفتاعها الى ما يحيط بالمدينة من بساتين الغigel وما فيها من برك الماء والمستنقعات فقالت لها « الفتني يا بنتي الى هذه البساتين الواسعة وراء سور المدينة فان نظرتك لا يقف في آخرها الا على الليل البعيدة وخصوصاً على هذا الجبل وهو جبل أحد الذي جرت فيه الواقعة الشهيرة بين النبي (صلعم) وقریش . وذكر هذه الواقعة بقولي لأن القلب فيها كانت للقرشيين وقتل من المسلمين سبعون رجلاً وأصيب النبي عيسى وقتل عمه حزرة^(١) فقالت سيبة « وهل شهدت تلك الواقعة

قالت «كلاً لأنها حدثت منذ سبعين سنة فكيف أشهد لها» ثم عادت غرة الى انام
كلامها عن تلك المناظر فقالت «واني لتعجبني مناظر المياه حوالي غروب الشمس .
انظري الى هذه الجورة فان ما معها ساكن كأنه صفيحة من النضة اللامعة واخلال القيل
ترآء اي على شواطئها مقلوبة كأنها مردة من الجان فانصون في الماء»

وكانت الشس لما دنت من المغرب قد ارسلت اشعتها مطرقة على تلك المغارات
فاستطاعت اخلال القيل وما زالت تستعمل وتضعف حتى اختلطت وصارت عنة
واما سمينة فكانت تسامر عنزة في ما تقول وبصرها ثابت في تلك الجورة بالرغم عنها
في البصر اذا اطلق سراحه يطلب التور . فلما غابت الشمس كان سطح تلك الجورة
لا يزال بلع باعكاس الشفق عنه واخلال القيل فيه واضحه وضوح الخطوط السود على
الصبيحة الي恌اء . وبعد قليل لم يعد يظهر للرأي غير سماوج المياه وما يندو فيها من ظلال
الأشجار واما اليهس وما عليه فلم يكن يتغير

واشتغلت عنزة وسمينة عن الطعام والكلام بالتأمل في ذلك المنظر البديع وشغلت
اذانها بفتح الفنادع يخلله صباح الادباك في الدار

الفصل الرابع

— طويس المغني —

خنووات عنزة ودعت سمينة لمشاركتها في الاكل وجعلت نقطع من لحم الدجاج وتناولها
وهي تأكل وعيناها منشغلان بذلك المناظر ثم عادت غرة الى محادثتها فقالت لها
«ما لي اراك حامنة يا سمينة هل تذكرين بوالدك وتختلفين اذا غبت عنه ان يتم عليك
لا تخافي فإنه اذا علم انك عند عنزة لا يعاتبك»

ونوقعت عنزة بعد النraig من قولهما ان تسمع من سمينة جواباً فذاهلي لا تزال ثابتة
النظر في تلك الجورة وآنسست في وجهها يقنة وقد أبطلت المضغ واللثمة لا تزال في فمها
وهي تدرس في الجورة وتمد اقطاب حاجبها وحددت بصرها فاعادت غرة السؤال عليها .
فاجابتها سمينة وقد عادت الى المضغ وهي تشير بيدها الى الجورة وتنقول «كافي ارى
اخلال القيل تختل في الماء . . . ما هذا ؟ . . . ماذا ااري ؟

فَالْتَّقَتْ عَزْنَةَ وَفِي يَدِهَا لِفَةَ كَانَتْ قَدْ أَعْدَمَهَا سَمِّيَةً وَنَظَرَتْ فِي الْجُورَةِ فَرَأَتْ اخْلَالاً لِتَحْرِكِ فِي الْمَاءِ بَيْنَ اخْلَالِ الْخَيْلِ وَلَكُمْ لَمْ تَرَ الْأَشْبَاحَ مَلِ الْجَرْفِ لَأَنَّ الْفَلَامَ جَمِيعَهَا وَلَكِنَّ الْمَكَاسِ الشَّنِيقِ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ أَبْنَاها « إِنَّكَ تَرِينَ خَلَلَ شَبَعِ سَائِرِ مَجَانِ الْجُورَةِ » وَتَقْرَسَتْ عَزْنَةُ قَبْلَلَاً ثُمَّ قَالَتْ « أَنَّ الَّذِي نَرَاهُ ظَلَلَ شَبَعِنَ اظْهَاهَا فَارِسِينَ مَارِينَ بَيْنَ الْخَيْلِ عَلَى حَافَةِ الْجَرْفِ . . . لَا يَلِ هَا جَلَانَ وَمَيْهَا رَجَلَانَ . . . أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ » قَالَتْ سَمِّيَةُ « بَلِي . . . هَا جَلَانَ وَمَيْهَا مَا شَيْءَانَ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ مِنَ الْأَسْلَلِ »

فَضَحْكَتْ عَزْنَةُ وَقَالَتْ « إِنَّكَ تَرِينَ ظَاهِيَّهَا بِإِيمَانِ . . . وَارِيَ الْآنَ شَجَاعَةَ ثَالِثَةَ اطْلَأَهَا جَلَانًا . . . وَلَمْ يَضِعْ قَبْلَلَ حَتَّى تَوَارَتِ الْأَشْبَاحُ فَتَنَالَتْ عَزْنَةُ « لَا يَشْغُلُ بِالْكَلِيلِ لِمَنْ مَا تَرِينَ إِلَّا أَنَّاسًا اظْهَاهُمْ قَادِمِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ دَمْشَقِ وَمَا هُنَّ أَوْلَى مَرَّةٍ رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا الْمَظَاهِرِ . . . عَوْدِي إِلَى طَعَامِكَ فَلَنْدَ بَرْدَ الْمَهْوَاءِ وَانْتَهَتْ حَمَاءُ الْبَرْظَلِ وَعَنِي فَرَغَاهَا مِنَ الطَّعَامِ اسْمَعْكَ صَوْتًا تَلَقَّبَهُ مِنْ أَسْتَاذِي رَاقِقَةَ »^(١)

فَعَادَتْ إِلَى الْأَكْلِ وَهَا لَا تَكَلَّمَانَ وَلَمْ تَكَادَا تَفَرَّغَانَ مِنَ الطَّعَامِ حَتَّى تَكَافَلَ الْفَلَامُ وَاحْتَاجَاهَا إِلَى الْفَهْوِ . فَصَنَقَتْ عَزْنَةُ فَجَاهَ رَجُلٌ فِي نَحْوِ السِّتِينِ مِنْ عَمْرِهِ وَالْجَهَالُ لَا يَزَالُ يَادِيَّ فَبِهِ ذُرْفُهُ لِتَلْيِفِ النَّوْبِ حَمْنَ الْمَهْدَامِ فَلَمَّا رَأَتْهُ سَمِّيَةُ غَطَتْ وَجْهَهَا . فَضَحْكَتْ عَزْنَةُ وَقَالَتْ « أَخْتَبِيْجِيْنَ مِنْ مُخْسِنِهِ » وَلَمْ تَكُنْ سَمِّيَةُ قَدْ عَرَفَتْهُ فِي الْفَلَامِ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ جَمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ هُولَاءِ الْخَشَبِينِ كَانُوا يَخْتَلِفُونَ النِّسَاءُ وَأَكْثَرُهُمْ يَهُبُّنَ الْفَنَاءِ وَيَحْسَنُهُ . وَكَانَ مِنْ أَرَادَ خَطْبَةً امْرَأَةً سَأَلَّ عَنْهَا أَحَدُ الْخَشَبِينِ فَلَا يَزَالُ يَصْفُ لَهُ النِّسَاءَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً حَتَّى يَتَهَيَّأَ إِلَى وَصْفِ مَا يَعْجَبُهَا ثُمَّ يَتوسَّطُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا يَعْجَبُهُ مِنْهُنَّ حَتَّى يَتَزَوْجُهَا^(٢) وَكَانَ أَكْثَرُ هُولَاءِ الْخَشَبِينَ يَتَرَدَّدُونَ عَلَى عَزْنَةَ وَيَتَرَبَّونَ إِلَيْهَا بِالْخَدْمَةِ وَالْمَادِمَةِ لِيَسْتَفِيدُوا مِنْهَا الْأَصْوَاتِ

فَلَمَّا وَقَفَ ذَلِكَ الْخَيْثَ لِنَ يَدِيهَا قَالَتْ « مَا جَاءَ بِكَ يَا طَوَيْسِ؟ . . . »

فَلَمَّا سَمِعَتْ سَمِّيَةُ اسْمَ طَوَيْسِ قَالَتْ « أَطَوَيْسِ هَذَا؟ »

قَالَتْ « هُوَ بِعِيبِهِ . . . وَلَا يَصْعُبُ عَلَيْكَ أَنْتَ جَاءَنَا عَلَى حِينِ غَنَّلَةِ فَانِ ذَلِكَ دَابَّ مَعْنَا . . . بِاطَوَيْسِ قَلْ لِلْجَارِيَةِ نَفِيَ + لَنَا الشَّمُوعُ فَانِتَ نَتَرَلُ بَعْدَ قَبْلَلِ . . . »

قَالَ « أَفْعَلَ ذَلِكَ عَلَى شَرْطٍ وَاحِدٍ »

قالت « وما هو »

قال « نفسي في شعرًا على المزاج »

قالت « أطلب أن أغنى لك المزاج واستأثرج الناس^(١) لوسألني إن أغنى في
الفيل أو الرمل لكن خبرًا »

قال « لا أبالي أي صوت إنما اقترح عليك شعرًا فنيبيه »

قالت « أفعل إن شاء الله . ولكنك أخاف من وجهك لأنك على ما يقال مشوم »

قال « وأكثر من مشوم فان أمي كانت تشي بالغلام بين فناء الانصار ثم وادني

ليلة قبض النبي (صلعم) وفطست ليلة مات أبو بكر واحتللت ليلة فدل عز ورقت
التي أهل ليلة فدل عقان وولدت في يوم فدل علي »

فحشكت عنزة لحنة روجو وقالت لها « أرجوان لا يتكامل شونك علينا الليلة ..

فأمض أعزك الله وأفعل ما فعلتك لك »

الفصل الخامس

طارق محبوب

فنزل طويس وبعد قليل نزلت عنزة وسمة ودخلتا القاعة التي تستقبل عنزة
الأخياف فيها . ومشت إلى صدرها وهي شوكاً على اوراكها حتى جلست على منعد
والارض مفروضة بالطنافس وحولها الوساند وقد أوقفت فيها الشموع . وجلست سمة
بجانب عنزة وعادت إلى هواجمها . وإنما طويس فإنه تناول دفأً مربعاً كان معلقاً
بالحانط في جلة الأعواد والزاهير والدفوف المعلقة هناك ورماء في حجر عنزة
قالت عنزة « وبلك ماذا ت يريد »

قال « ياي أنت واي .. أريد أن أسمع عناءك »

قالت « تهل يا طويس ربها استرجع »

وفيما في تكلمة سمعت هدير جمال بقرب باب المسنان فنالت « انظر يا طويس من
جا هنا الليلة .. إن الحلى إن يكون شونك وصلينا »

قالت سمية « واي شوم تخافين ونخن في امان »

قالت وقد خففت صوتها « لا اخلينا في امان واميرونا اليوم يا كل المانح وبأ كل فوقه التمر على مدبر رسول الله (صلم) ^(١) .. اذهب يا طوبيس وابغرين من هو القاتد » فهرب طوبيس الى نعليه واربع في ليهها ومشي وهو يناظر بالمحون في مشبه حتى قطع المسنات وانتهى الى باب الدار وفتح خوخة الباب واطلب راسه فرأى جلين ويجهانيها رجالان احدهما طوبيل وقد تائب بالكوفة والنف بالعباه في الآخر قصور غير ملهم يشبه ان يكون خادماً . فقال لها « من انت وماذا تريدان » فاجابة الطوبيل بصوت كأنه مدبر الجبل وقال « اليس هذا بيت عزة الميلاد »

قال « بلى وماذا تريدين منها ؟ »

قال « اريد الدخول اليها »

قال « ومن انت ؟ لا انتسب ؟ »

قال « لا ... لا انتسب »

قال « اريد الدخول وانت ملم كاأرى ؟ » . قال « نعم »

قال « دعني استاذن لك » وعاد طوبيس الى عزة وابغريها بما رأء . فلما سمعت سمية قوله تخففت للقيام وقالت لعزه « دعني اصرف الى ابي فقد طال مكثي عندهك اليوم لا سيا واري رجالاً فاذبون البك ولا يلق في البقاء معهم على هذه الحالة »

قالت « لك الخيار فانصرفي يا بيه ولا تعطلي الغياب علي .. اذهب من الطريق التریب الذي تعرفيه واخرجني من الباب الخالي » فودعها وانصرفت فلما انصرفت جعل طوبيس يشيعها بصرع حتى توارث عنه ثم الفتت الى عزة وأشار بضم اناسلو وزرم شنبيو الى اهلا جبلة . فأذمات اليو ان يصعد ثم قالت « اخرج الى الطارق واطلب اليو ان يربك وجهة او يذكر لك اسمه »

فذهب طوبيس وبعد غياب طوبيل عاد وهو يتول لعزه ان صاحبها من اهل البادية ويهوى الغداه وقد جاءه لمنع عزة الميلاد . فسألته عن اسمه فما في ان يخبرني ولا المحبت عليه قال انه لا يقول اسمه ولكنه يقول لك انه قاتل هذين اليهون وذى حاجة فلما للاستجابة لها * فليس اليها ما حبيت * مهول لها صاحب لا يعني ان غونه * وانت لا اخرى صاحب وخليل

الفصل السادس

ـ ليل الاخبارية ـ

فلا سمعت عنك قول طوبيس يختت وتنصت ولولا نقل يديها لوثبت الى الباب
لاستقبال ذلك الضيف . فقال طوبيس « وما يفتلك يا عزّة ؟ »
قالت « ألا تعرف قاتل هذا الشعر ؟ »
قال « كلاماً ... ومن هو ؟ »
قالت « لوافي سمعت لنظ فاثلو لمعرفة ولو كان في غير هذا الشعر ... ألم تشهي
أله بلنط حرف المضارعة مكسوراً مثل أهل بحراً (١) ؟ »
قال « اظنه لحظت ذلك فيه ... وإذا كان يكرر ؟ »
قالت « وبذلك هذه ليل الاخبارية الشاعرة وهذا الشعر شعرها وهي تكرر حرف
المضارعة في لفظها أيضاً »
قال طوبيس « اذا كانت هذه هي ليل فقد هي حظنا لاني اسع بشعرها وحدتها مع
نوبة بن الحمير الذي كان يهواها ... هل ادعوها ؟ »
قالت « كيف لا ... وهي صديقتي ويندر ان تنزل المدن الا حاجة ماسة لابها
من اهل الادمية »
فاصرط طوبيس وهو يبرول في مدينتها حتى الباب ففتحه ورحب بليل وجعل
يتضمن الى قائمتها ويلاحظ مشيمتها وهي ملائكة بالعبادة وطوطها يندن في النساء . ولكنها لم
يتمكن من رؤية وجهها لابها كانت لا تزال مديدة . فدخلت المستان وشاركت الى خادتها
ان يدخل الجميلين الى العريش ومضت وهي تخضر في مدينتها وطوبيس يشي وراءها
ويتأمل قائمتها وحسن مشيمتها واللئام عبوط برأسها ووجهها جيماً
فلا اثبات على القاعدة بهضت عنك وتقدست لامتناعها عند الباب وفي نقول
« مرحباً بليل ... اهلاً بك يا حبيبة ... لقد بالفتر في الاختفاء حتى أنسأنا سعادتك
واخرناك » قالت ذلك وتناولت وسادة عن البساط ونشها واجلسها عليها

فقالت ليلي وصوتها جهوري لا يكاد يشبه اصوات النساء « لا ي Ars عليك وان لم يكن ذلك ذنبي لاني كنت احسبك تعرفيني من صوتي وطبعه كلامي »
وكان طوبيس وإنقاً بالباب يندفع خروجه يخلو لها المكان . فادركت عندها ما زالت مشبهة لا تلتف الى طوبيس كأنها تتوقع خروجه ليخلوها المكان . فادركت عندها ما في نفسها ف وقال لها « لا تخجلي يا ليلي من هذا الرجل فانه من المخربين . وازيدك تعرضاً يوماً طوبيس المغنى »

فضحكت ليلي ونظرت الى طوبيس وازاحت الشام وهي تقول « أهنا هو طوبيس المشهور بالشوم ... ؟ لقد تم سرورنا بلقياه »

فلا ازاحت النقاب بان غنة وجه يدقق هيبة وعيان دعجاوان ونفرحن^(١)
وأثار الصحبة بادية على وجهها من سكنى البر . فانبهر طوبيس بروتهاه ولما رأى
اسنانها بد سرّ وقال وهو يئي خنو البساط الذي كانت في جالسة عليه « أن سرورني
تم بلقياك ايها الشاعرة البارعة . وقد كنت العجب لما اسمعه من شغف توبه فبك وما
يندفع من الاشعار بذكرك وانت زوجة سواه — فلما رأيت هذا الزوج حللت السر الذي
دعاه الى ذلك »

فلا سمعت ليلي اسم توبه علا وجهها الاحمرار وكأنها مختلطة وطأطأة راسها حبها
ثم رفعت بصرها اليه وقالت « وهل سمعت شيئاً من قوله »
قال سمعت كثيراً ولكنني اذكر هذه الايات فقط :

ولو ان ليلي الاخيلة سمعت * على * ودوني جدل وصنائع
لسمعت تسليم البناثة او زق * اليها صدى من جانب التبر صانع
وأغبط من ليلي بالا اننا الله * الا كل ما فرث بو العين صانع
ولم يتم كلامه حتى تبدل لون وجهها بالاصفار . وأدركت عن ذلك فيها فاجبت
مداعيها ولكنها قبل الشروع بالداعية دعها الى الطعام والفشل . فقالت انتها لا تحتاج
الى شيء وانتها انتا جاءت لزيارتها ماتحة لتصبح حديتها وتطرد بعذابها ثم تصرف
فقالت عندها « أملك قادمة من الشام »
قالت « نعم وقد وصلت المدببة الساعة وكان معه رفيق خلبتة في مكان وجده
الملك على ان اعود اليه عاجلاً »

فقطت عن لاشياح التي رأها سمية على شاطئ ذلك الجسر فقالت « اظني رأيت اشياحكم عند الفروب بن التحول »
قالت « كأن ثلاثة وصلنا عند الفروب الى ضاحية المدينة على جانا »

الفصل الرابع

حكاية ليل مع توبة

فأكثت عزة اتها في بعثها فعادت الى العبث بها فقالت « التهرين توبة »
قالت ليل « لم أفهم معنى سؤالك »
قالت « سؤالي يسعدك .. اعرف انك تهرين توبة واسع انه شاب جهل المخالفة شجاع
وانه يحبك ... فكيف تزوج هو سواك وتزوجت انت سواه »
قالت ليل وقد تغيرت صفتها وتزايد احرار وجهها « دعينا باعز من هذا
المحدث واسمعنا صوتاً بروج النفس ويسمعنا قلب الطريق »
فلم تفتأم عن ان تلهم عليها وعدت الى الحجلة فقالت « صدقتك ان تلك الذكرى
تؤملك ... هات الدف يا طوبيس »
فناولها طوبيس دفأ فنفرت عليه وغفت
وكفت اذا ماجحت ليل ترقصت « فقد رأيتي منها اللداء سفورها
على دماء البدن ان كان بعلها * برى لي ذيما غير اني ازورها
ولم تم هذين اليدين حتى نقلت ليلي وانتفع لوهما وقالت « ما هذا الفداء باعز
اني لا ازال اراك تسأليني عن سبب تركي توبة »
ففتحت عز وتجاهلت وهي تقول « وما علاقة هذا التمربك؟ ... اظن توبة
هو الذي قاله فيك ؟؟؟ »

قالت « اراك تتجاهلين واحسبي ما زلت تربدين ساع حديثي مع توبة .. فها اني
أقصه عليك وان كان ذكره يتوسلني : اعطي يا أخيه ان عادتني عن معابر البدو غير
عادات المضراهل المدن امثالكم .. فان الرجل متكم اذا احب فتاة تزوجها .. واحسن
ما يكون الزواج على حسب .. ولما نحن فاذ اعرف اهل الفداء ان شاءاً بعلها وخفية معنو

سها . وعكنا وقع لها مع توبه فانه كان يحبني ويتول . في الشرف الخليفي الى ابي فاختي ان زوجي لا وزوجي برجل من بني الادع هو زوجي الى الاـت . ولم يكنوا بذلك ولكن هدروا دم توبه وسكنوا له في الموضع الذي كان يلتفي فيه حتى اذا جاء في هوا يغلو . وكانت اذا جاء في قيل ذلك انبرق واختبأ منه على عادتها . فنكرت في طربة احقره يهمن غدرم بجوت لا يشعرون لهم اخراماً من ان اغبر عادي معة . فلما جاء في ذلك اليوم خرجت الى سافرة وجذست في طربو . فلما رأي على تلك الحال فطن لما اردت وعلم المكينة فركض فرسه فجأها ونظم في ذلك قصيدة التي مطلمها ناتك بليلي دارها لازورها وشعلت نواها واستمر مريرها

ومنها اليهان اللذان غببها — وهي طوبية »

وكانت عنق قد صعدت هذه النفة من قبيل ولكنها ارادت ان تسمها لطوبس . فلما فرغت ليلى من حديها قال لعنق « اى لم اكن اجهل حديثك هذا ولا غرور ولولا ذلك ما عرفتك من اليهين الذين بعثت بهما الى دليلك . فبماه الا ذكرت لي سبب قوله ذistik اليهين فلما يدلان على ائنة وعنة بدران في المدن »

قالت « صدقت .. فاعلي يا عزة ان العنة والمحب التي اما يكونان في اهل البداية وبنوعدرة اهل وادي الترى على مقربة من هذه المدينة مشهورون بهما . ولكن ذلك غير قادر عليهم وان كان غالياً فهم . قلت لك ان توبه كان يحبني واحدة ولم اسمع منه ما يدعوه الى ريبة ولكنني اجنبتني يوم بعد ان تزوجت وتزوج فقال لي كلة ظلنت انة قد دخض فيها البعض الامر فقلت له

وذي حاجة فلما لا لا تبح بها فليس اليها ما حبيب سهل
انا صاحب لا ينفي ان تخونه فانت لآخر صاحب وخطبل
وما اد اسمع منه ريبة بعدها فقط »

فضحك طوبس وقهقه حق كاد يستلقي ثم قال « ما اشبه هذه العنة بعنة عدنى المدينة
فالله ان البدائ حارة ولكنني لا احبها ... »

فقالت له ليلى « اذا شافت ذلك فعليك بواudi الترى انه فريب منكم وفيه بتو
عذرالذين تشرب بعذتهم الامثال وفيهم جبيل بهيمة وكثير عنق وغيرةها »

فضحك عنق واكتفت بالرجوع الى الغداء جواباً على ذلك . فعادت الى الدف
قطرس ليلى وطرب طوبس . ثم استبدل الدف بالعود فضررت عليه الحماة شجنة وكان

العود حديث المهد عدد العرب يومئذ لانهم اخشو عن الفرس بعد الاسلام
وكانت ليلى في أثناء الغناء تطرق واستغرق في التأمل كأنها تذكر في أمر ذي بال.
فلا فرغت عزة من غناها قالت ليلى « لند اطربلنا باعزة بفالتك وعددي أمر أحـبـ
ان اسرـهـ اليـكـ فـهـلـ نـسـخـنـ بـخـلـوةـ ؟ـ »

الفصل الثامن

رملة بنت الزير

فلا سمع طوبيـسـ كلامـهاـ خـرـجـ سـرـعاـ وـأـغـلـقـ الـبـابـ وـرـاهـ .ـ فـلـاخـلـنـاـ جـرـجـرـتـ لـلـيـلـىـ
نـهـمـاـ حـتـىـ دـنـتـ مـنـ عـزـةـ وـجـامـسـ بـهـانـيـاـ وـقـالـتـ طـاـصـوتـ يـقـرـبـ اـنـ يـكـونـ هـمـاـ
«ـ انـعـرـفـنـ رـمـلـةـ بـنـتـ الزـيرـ »ـ
قـالـتـ عـزـةـ «ـ كـيـفـ لـأـعـرـفـهـاـ وـهـيـ اـخـتـ عـدـاـلـهـ بـنـ الزـيرـ الـلـاـلـاـنـ بـالـخـرـمـينـ وـهـوـ
مـحـصـورـ فـيـ الـكـعـبـةـ الـآـلـاـنـ »ـ

قـالـتـ «ـ هـلـ هـوـ مـحـصـورـ ؟ـ وـمـنـ حـصـرـهـ ؟ـ »ـ

قـالـتـ عـزـةـ «ـ اـمـ نـعـلـيـ اـنـ اـقـامـ فـيـ الـخـرـمـينـ يـدـعـوـ النـاسـ الـتـيـ نـقـصـوـ مـنـ تـوـفـيـ مـعـاـوـيـةـ
وـتـوـلـ الـخـلـافـةـ اـبـهـاـ بـزـيدـ سـنـةـ ٦٠ـ »ـ وـلـمـ يـقـوـمـ اـلـاـ بـعـدـ مـقـتـلـ الـخـرـمـينـ وـمـوـتـ بـزـيدـ .ـ
وـهـوـ الـآنـ يـكـرـرـ الـخـلـافـةـ عـلـىـ عـدـاـلـهـ بـنـ الـلـكـلـكـ بـنـ مـرـوـانـ خـلـافـةـ بـنـ أـمـيـةـ بـدـمـنـقـ »ـ
قـالـتـ لـلـيـلـىـ «ـ اـلـيـ اـعـلـمـ ذـلـكـ وـاعـلـمـ اـيـهـاـ اـنـ اـهـلـ الـجـبـارـ بـاـيـهـ وـاـنـ الـاـوـرـنـ بـنـوـونـ
فـالـلـاـلـاـنـ وـرـدـهـ الـيـ بـعـنـمـ »ـ

قـالـتـ «ـ اـمـ تـمـعـيـ بـقـدـومـ الـحـجـاجـ بـنـ يـوسـفـ الـلـقـنـيـ مـنـ الـجـبـارـ يـأـمـرـ عـدـاـلـهـ
لـقـالـ عـدـاـلـهـ فـيـ مـكـةـ »ـ

قـالـتـ «ـ اـظـنـيـ سـعـمـتـ شـيـثـاـ مـنـ ذـلـكـ قـبـلـ خـرـوجـيـ مـنـ الدـاـمـ »ـ
قـالـتـ عـزـةـ «ـ وـقـدـ جـاءـ الـحـجـاجـ وـأـنـتـ تـمـعـنـ بـشـأـنـ بـطـشـ وـاسـنـدـادـ وـحـاـصـرـ عـدـاـلـهـ
بـنـ الزـيرـ فـيـ مـكـةـ وـضـيقـ عـلـيـهـ وـقـدـ خـرـجـتـ الـمـدـيـنـةـ مـنـ سـلـطـانـوـعـاـلـمـاـ الـآنـ مـنـ قـبـلـ عـدـاـلـهـ
الـلـكـلـكـ بـنـ مـرـوـانـ »ـ

فـاطـرـتـ لـلـيـلـىـ وـصـنـتـ كـانـ خـاـطـرـاـ طـرـأـ عـلـيـهـ فـارـجـعـهـاـ حـاـلـكـانتـ هـمـ بـهـ .ـ فـادرـكـ

عزة فيها ذلك فنالت لها « مالي اراك صامته ... قولي ما في نفسك »

قالت « جئت المدينة في مهمة شعلق برملة بنت الزبير ولكن حال اخيها مجهول دون الغرض من السؤال عنها ... هل هي معه في مكة ... ؟ »

قالت « نعم هي معه هناك واظهم في اشد الضيق من المصادر وقد قُلَ زادم ولا
تدري ما يا أول الوراء »

فأذفت لها وتنسرت ثم جعلت تحرك وراء اذها وتنتظر الى البساط بين يديها كأنها
تشعر في تقوش وهي لا تتكلّم

فنالت عزة « قولي يا أخي ما في نفسك فنـدـافـلـتـ خـاطـرـيـ بـسـكـونـكـ .. ماـ الـذـيـ
ترـبـيـتـ مـنـ رـمـلـةـ وـأـخـيـهاـ .. ؟ »

قالت « لا أخفي عنك ان أميرًا من أكبر امراء بيي امية اندبي للبحث عن رملة
واستطلاع احوالاً لانه يريد خطيبها فلم اجد من يصف لي جمالها سواؤك لأنك عشيرها
وعرفها فإذا تقولين ؟ »

قالت « على الخير وقعت .. اما رملة فاعيها من احسن النساء، خلقها وعقلها ودرابها ..
ولكنني اعجب لاقدام امير من بيي امية على خطيبها وال الحرب قاتلة بين الامويين وبين
أخيها كأنطرين »

فامسكت للي عن الكلام قليلاً ثم قالت « اخشى ان اصرح لك بالامام فالكون
قد يبحث بسرّ او ثمنت عليه »

قالت « لا تخافي من ذلك فاني مستودع اسرار اهل المدينة .. ولني اعادتك
على كثبان ما تقولين »

قالت « ان الامير الذي يهيي خطيبها أحسن امراء بيي امية عملاً وشعرًا وفصاحة
وعارضة ولله ولع خاص بعلم الكربلاء وهو ابن خليلة وخطيب خليلة »^(١)

قطعت عزة كلامها قائلة « قد عرفته .. انه خالد بن يزيد .. اليس هو ... ؟ »

قالت « هو هو بعينه فما قولك .. ؟ »

فاضطررت عزة هيبة ثم قالت « قد ادركت سر الامر وعلمت الهم الذي
سرّع خالد خطبة رملة وهي من اعداء بيي امية وان كان هو اموياً .. »

قالت « اما وقد فهمت سر الامر فاكتسيه عن كل احد .. وهذه هدية من خالد

بعث بها الملك » قالت ذلك ومدت يدها الى كعبا فاصحرجت عندها من التلوك
دمعة اليها . فتناولت عزة طائفتها على فضلها وقالت « هل عولت على خطبة رسلا
خالد ... ومن يخطبها لها ؟ »

قالت ليلى « ايس لي ان اصرح لك بماكثر من ذلك . ولكنني اطلب الملك
كما كان ما ذكرته حتى يأتي اجله فيظير »

قالت عزة « للسر عدي برقعية طيب نسأ فقرى عيناً »

ثم تغزرت ليلى للقيام فامسكها عزة ودعها للبقاء عندها . فاعترفت ان بعض
الناس يتذمرون في مكان ولا بد لها من موافاته لأمر لا يحسن تأجيله . فاطاعتها فخرجت
فليلت طويس في المسنان فودعنه وأفللت

وكان ليلي الاختيبة شاعرة بارعة كما تقدم وكانت تند على الملك والامراء تندهم
وتقال منهم الرعاية والجاشة . وكانت قد وفدت على عبد الملك بن مروان في ذلك العام
فاصدرحة ثم صارت الى خالد فمهود اليها البحث عن رسلا واستصانها من عزة . وبعث معها
شاماً من خاصته اسمه حسن كان في جملة من جاء مع عبد الملك بن مروان عند عدوه من
العراق الى الشام بعد قتل مصعب بن الزير واخراج العراق من سلطنة عبد الله بن الزير
وكان حسن في جملة رجال مصعب الفاطميين يقول الداعون الى دعوة أخيه في العراق
وحارب معه في قتاله الخدار بن عبيد التقى فالي بلاه حسناً حتى قتل المصار وخلص
العراق لمصعب . فلما جاء عبد الملك لحرب مصعب دافع حسن عنه جده حتى قتل أبيه
ووقع هو في أسر عبد الملك ورافقت الى الشام . فلقي هناك خالداً فاجهه خالد وجعله
من بطانته وكانت ينادي به وبعير له بما في نفسه على عبد الملك بن مروان لانه تولى
الخلافة دونه وهو أحق بها لانه ابن الخليفة بزيد بن معاوية وبين والدته وبين والد
عبد الملك حكاية سألي ذكرها

وكان خالد قد سمع برملة بنت الزير واحب خطبها . فلما جاءته ليلي سأله عنها
قالت اهلا لم ترها فخطبها ان تمطم عزة الملياء في المدينة وكتب الى اخيها عبد الله بن
الزير يخطبها منه وسلم الكتاب الى حسن وارسله مع ليلي وارصاه اذا أمرته ليلي
بالذهاب الى مكة ان يذهب ويدفع الكتاب الى عبد الله بن الزير ويبدل جده في
انفاسه . وكان حسن يحب خالداً جداً شديداً فعول ان يبدل ما في وسو لتنبيه راموس
وكان حسن في المدينة وطرأ محنٌ الى قضايا قبلة فكان لا يو دافع آخر للسير فاسرع

مع ليلى حتى وصلا المدينة سبع مساء ذلك اليوم كما قدمنا فخرج هو الى منزل يكث
فيورينا تعود هي

أما ليلى فلما عادت من منزل عزة امرت الخادم ان يذهب بالجمال الى منزل
سكنة بنت الحسين على ان تزفها الى هناك وسارت بمقابلة حسن في المتنق . فلقيته في
انتظارها على مثل الجسر فاخبرته بما دار بينها وبين عزة واوعرت اليه ان يسافر الى مكان
المهمة التي جاءه من اجلها ودعت له بال توفيق

الفصل السادس

حسن

فلما خلا حسن ينسو عاد لما يقند في قلبه من الوجد . وكان يحب² فناء عرفها منذ
اعوام وانعدما من الموت هي ووالدها في العراق في اثناء محاربتهما المختار بن عبيد وقد
عادها على الحسب وهو يعلم اهلا قيم في المدينة ولكنها لا يعرف ماترها فذكر في امرها طويلاً
فلم ير خيراً من ان يستطلع عنق فانها اخبرنساء المدينة بنسائهما . فسار توكلاً الى عنق
وكان لازال جالسة وقد خرج طويس من عينها . فاستغربت قدوة اليها في
اواخر الليل

وكان حسن طوبيل الثانية حسن الخلقة وفي وجيهه دلالات الشهامة وصدق المودة
وعيناه تقدان ذكاء وحدة . فلما اقبل على عنق استيقظت باشة ولم تسهجن قدوة لما تعودت
من كثرة الوفود عليها من سائر البلاد

فاغذر حسن عن جمارته ثم قال لها « اني قادم اليك في امر افتلي واحرضي الملام
وليس لي من برق ككري سواك »

قالت « قل ما يدلك »

قال « اني احب فناء من اهل المدينة ولكنني لا اعرف ماترها ولا ادرى هل هي
متيبة هنا ام سافرت الى بلد آخر »

قالت « ما اسمها »

قال « اسمها سمية بنت عربقة المتنق »

فهبت عنق عذ صاعها ذلك الايم وجعلت نترس في وجيهه كأنها تستطلع حفنتها

وقالت « ومن ابن عرفها وكيف أحببها وانت بعيد عن المدينة »

قال « قولي لي اولاً هل هي في المدينة وهل تعرفها جيداً؟ »

قالت « اعترفها كما اعرف نفسي وهي متيبة هنا وقد كانت عددي في هذا المساء

فنقل لي من ابن عرفها »

قال « اني من رجال مصعب بن الزير الذين ساروا معه الى العراق هاربة المختار بن عبد الله . وكان المختار هذا بعد قتل الحسين قد قام بدعو الناس الى الاخذ بشاره ونظامه ببايعة عبد الله بن الزير الائمه بالحرم الا ان فقتل المختار قاتلة الحسين جميعهم بمساعدة التوابين وم اهل الكوفة الذين خانوا الحسين ومسكوا عن نصره فلما قتل ندموا وقاموا بطالبون بدمه »

قالت « نعم اذكر ذلك جيداً ولكن المختار هذا كان يدعو الناس الى بيعة محمد بن الحسين اخي الحسين من ابيه وليس عبد الله بن الزير »

قال « لا بل كان يدعوا الى عبد الله في بادئ الرأي فلما فاز في حربه طبع بالامر لنفعه ونظامه على عبد الله بن الحسين ولا اشك ان عبد الله لم يكن له بذلك لامه زعم شيئاً لا يرضي بها محمد » قال « اخليك تعني الكرسي الذي رعم انة كرسى علي وصار بمحملة معه في حربه ويزعم ان جبريل يظهر له ويكلمه ^(١) »

قال « نعم ذلك اعني ولكنه لم يفلح لان عبد الله بن الزير لما سمع بما فعله المختار بعث اليه اخاه مصعباً ومعه جند شمارين وقتلوا بهم في مسجد الكوفة وكانت انا في جملة رجال مصعب . ففي يوم المعركة بعد ان تم لانا النصر وامتنا في رجال المختار قتلاً وتهياً لقيت عزيمة والد سمية طرحاً على الارض بين يدي بعض رجالها وقد هم بقتلو ثم رأيت سمية ابنته (قال ذلك وتهد) فد خرجت من الخبراء وشعرها محول على كتبها فوقع بصرها علىي فلما نظرتها انحر فاني غمرها غريباً وسمعتها تستشهد في لانا ناذ والدها من القتل . فصحت في الرجال فابعدتهم عنه وخلصته واوصنته الى ما امنه فقتل يدي وشكتي وقال انه لا يقدر على مكافافي . فقللت لا التمس مكافافي منك الا ان تزوجني ابنتك هذه فقال هي جارية بين يديك . فتواعدنا على ان اكوني المدينة وائز وجهها . وانتم امر خلاصه فاخبرتها من الكوفة وبعثت معها من اوصالها الى هنا وبنيت انا هناك وشغلت بامور كثيرة لا اعمل لذكرها فلم استطع المعي الا اليوم »

الفصل العاشر

ـ ـ ـ كشف السر ـ ـ ـ

وكان حسن يتكلم وعنة نطاول بعنفها لحاجة بقية الحديث . فلما وصل الى هذا الحد قطعت كلامه فائلة « أعلمك حسن ... »
قال « نعم ... وكيف عرفت ذلك ؟ »

قالت « عرفته منها ... فابشرك وأهشك بهذه النثارة فانها زينة قنوات المدينة وليس احد يعرف مكونات قلتها غيري . وقد طالما ذكرت اسمك لي سراً وأطاعته على خصالك وأشتت على افضالك . وكن وإننا انها لازمال على ودك ولو جتنا في هذا الماء لوجودها هنا »

قال « وهل من سبيل لرؤيتها ولنك على ما يرضيك »

فاطرقت عن هبته ثم قالت « لم يكن عليّ اهون من مرضانك لولا أن والدهما ضدين بها لا يأذن بخروجها من البيت لاي سبب كان وفي اذا جاءتني انا تحيي ، خلسة وربما اذن للدها بجعها الي اصحابها .اما اذا عرف انها جاءت مثل ما تريه انت فانه يغضب وربما اساءها وذكرها وقد يذكرني والرجل ذو نزوة لدى امير هذه المدينة فاذما لم يوذني راساً وشيء في وانهي عنها يذكر عليّ عيني »

فكث حسن ملة ينكر في أمر وقد اتفق بالمشقة التي تحول دون مجيئه . سمية لكتها لعظم شوфе استهل كل غسیر على انه لم بعد برى سيبلاً للانماح على عن باستفادتها فصر نسمة الى صاح الفد اذ يذهب لزيارة والدها وهو يهد فيه الىيل له في الرضي بو فلما عوّل على ذلك بھض فودع عن واستدل منها على بيت عرقحة فدللة ودعت له بالسلامة واعتذررت عن رفضها الغاسة فعذرها وخرج الى بيته

وبات حسن تلك الليلة على مثل الجمر وانفاق قيل التبر وأخذ بتأهيل للذهاب الى بيت عرقحة وقد اشتد هياقنه وخفق قلبه وجعل ينكر في لنباه سمية . وشق عليه انه لا يستطيع مخاطبتها بهذه يدي والدها ولا يقدر على بث شكواه لها . واشئ ما يلذد بو الحيون النشاكي بعد الفراق . فعلل نفسه بما قد يأتني به القدر من سوانح الترس وخرج

والشمس قد اطلت من وراء المنازل والناس يذهبون ويجهتون في الطرق وهو لا يلتفت الى احد لعظم ما قام في خاطره من امر تلك الملاقاۃ بعد ذلك الغاب الطويل حتى ان صورة سيدة كادت تذهب من ذهنه لطول البعد ويمتقر في مكانتها صورة اخرى غير صورتها وان كانت تشبيها . وما عرفة فلم يكن يذكر الا صورته ساعة اخطر رايو يوم انقضى من القتل في الكوفة

الفصل الحادى عشر

ـ عربة ـ

وظل حمن ماشياً وهو غارق في بخار المواجه حتى اشرف على بيت عرفة وهو بالقرب من بيت سكينة بنت الحسين ولكنها اضيق منه واقل قيمة . ووصل باب الدار فرأه متتوحاً فدخل ولم يقرع الباب ولم يتكلم فاطلل على باحة تحيط بها ثلاثة غرف وفي بعض جوانب الباحة خلة عظيمة رأى بجانبها فتاة عليها جلباب احمر زاه ولبس على رأسها ثياب وقد جلست امام الخلة واستدلت ظهرها اليها ووجهها الى جانب الدار بحيث لا يقع بصرها على الداخل من الباب . ولم ير حمن من وجهها الا صفة خدها وجانبه وفها . وحالما وقع بصرها على ايمانها سيدة مع انه رأى في وجهها تغيراً عارساً في ذهنه من صورتها ولكن قلبها دله على تزيانه فقدم الدخول بفتحة واصرم ان ينظر اليها او يدخل بلا اعتذان . ولكن الشوق اعمى بصيرتها فوقف مبهوناً وقلبه يختنق وهو بين عالمين متضادين الثوقي بدفعة الى التلبي من رؤيتها والمحاجة يدعى الى الرجوع وقرع الباب . ثم غلب عليه الحرج . وخاف ان يقع نظرها عليه فتجمل وربما اصايبها سوء من تأثير البغية فيقع في الدم فتهنئ حتى وقف بالباب وقرعة محللة من الحديد كانت ملعنة في خوختو ولبث ينتظر من يدعوه للدخول او من يأتي لاستقباله . فسمع وهو في الانتظار حركة مشي في الباحة فعلم ان سيدة تمشي الى احدى الغرف للاستئثار . وظل هو واقفاً مدة فلم يأت به احد فاعاد القرع مشي وثلاث . وبعد هنيمة سبع وقع اقدام فادمة نحو الباب عرف من شدها وسرعتها انها اقدام رجل ثم جاءه رجل في غدوة الحسين من عمر قصير القامة خيف البدن يكاد جلد يلتصق بعظامه لخفة عضلو

اشط شعر اللغة خفينة وعلى رأسه عامة صفرة وعلى كتبية مطرف البف به وكأن خديو حزرتان ووجهني اكتنان وإنك كتلة بارزة في منتصف وجهه ولله عينان غائرتان . ولو احسن حسن الترس فهو ثمين من سرعة اخلاقنا و عدم امكانه تثبيت نظره فيوانة من اهل الرياء والخيث

فلا وقع بصر حسن على الرجل عرف انه عربة والد خطيبته فمش له وهو يتوقع ان يعرفه ويرحب به . أما عربة فثبت برده ينظر الى وجه حسن وهو يتجاهله . فلما رأى حسن منه ذلك حمله منه محمل فهو فتحك وتقدم اليه والتي الحبة فرد عربة الغيبة ولم يتغير وجهه بما بدل على بغنة او استغراب . ولكن سهل سهلة رجل ينبه اهل بيته الى قادم غريب فقال حسن « أظنك لم تعرفي يا عاوه »

فلا سمع عربة كلامه ابسم بغير ان تبدو في حسنه ملامة الابسام والتي تسمى على وجعل يقبله ويرحب به ويقول « اهلا بك يا بني يا حسن من ابن ابيت » وامسكه بيده ودخل به الى الدار وسار نعجا الى غرفة هناك يستقبلها الزارين . فاستأنس حسن بذلك الترحاب بعد ان كاد يهز غرفة مخافة ان يعود من سارتو بخفي حرين . وابدره عربة بالسؤال عن حاله وعن سبب غيابه وسألته اذا كان في حاجة الى طعام . فاعذر عن الطعام ولكنه اخبره عن قدومه المدينة للزيارة . فجعل عربة يقفلة بالكلام اللطيف ليستطلع ما في قلبه . فاصحاحه حسن ففتح له قلبه واطلعته على شدة شوقه لسميه . وكان يخاطبه براقب ما يبدو من احسان او استحسانه . فلم يجد فيه الا انعطافاً وترحاً . وما قاله عربة ان سمية في خبر وانها ما زالت تذكر فضله عليها . فازداد حسن استئناساً وتوقع ان يدعوسية لزراء فلم يدعها فظنها اجل ذلك الى ما بعد الاستراحة . واستغرقا في الحديث في شؤون مختلفة حتى تطرقوا الى سبب قدومه المدينة فاخبره حسن انه اتاه جاء بهمة من خالد بن بزيد الى عبدالله بن الزبير . ثم قال « ام يعن لي يا عاوه ان ابلغ اميتي التي وعدت نسي بها منذ اعوام » قال عربة « وما هي يا بني » قال « هي سمية خطيبتي »

قال « هي جاريتك وطوع ارادتك ولكنك تقول انك ذاهب الى مكانة فرقى عدت من مهمتك كانت هي لك . واما الان فانيها ليست هنا وقد ذهبت الى خالها وهي عادت اخبرتها بقدومك ولا اشك انها تسر بتلقيك . فاذهب الان في مهمتك ومتى عدت نكتب كتابك وتكون كما نشاء »

الفصل الثاني عشر

القباء الصوف

فجئ حسن لأنكار عرقية وجود سيبة في المازل ولكن النفس له عذراً وشكراً أنه رآها ولو خلسة . على أنه كان وهو يخاطب عرقية متوجع أن يسمع خطوات سيبة أو بلع طرف ثوبها وهي مارة أو يسمع كلامها فلم يكن يرى إلا بعض الجواري يختلطن بالدار لقضاء بعض حاجات المازل وسكت كلها لحظة وكل يذكر في شأنه وشأن بين التكرين . ثم عاد عرقية إلى الكلام فقال « وهي عزمت على المسير إلى مكة يا بني ؟ »

قال « أني عازم إليها في القرىب العاجل وربما خرجت الليلة »

قال « وهذا الذي أراه فإن سرعة ذهابك بترب زمن زواجه فنرج بك وتتردف بصادرتك »

فسر حسن بما سمعه ولم يتفق لما كان بيده في عيني عرقية وفي حركاته من دلائل الخبث والغدر — ولا بعد ذلك سذاجة في حسن وإنما هي سلامه الثلب وصدق البهوة وكدر النفس لا ترى إلا إنسان غير الطيب . وزد على ذلك أن حسناً لم يأتِ بين يدي عرقية إلا ما يستوجب الجزا ، الحسن ولم يطلب منه إلا ما هو حق له . فلم يختلط في الواقع أن عرقية يتعدد في اتجاه طليوه فاقتنع بسرعة المسير فقال « أرى أن أخرج من المدينة الليلة »

قال « وهل تعرف الطريق ؟ ومن أي باب تخرج »

قال « نعم يا مولاي أني خارج من الباب المطل على قباء »

قال « أجعل خروجك نحو الغروب من الباب المودي إلى مكة فإنه أهل مملكتك ولكنني أخاف عليك برد الليل فهل احتضرت لذلك »

قال « عددي عرابة النف بها اذا برد الليل »

قال وهو يتسم وكأنه أهدى إلى سبيل لنفيذ مرامه « لا أرى أن تخرج من المدينة وأنت ملتف بعباءة ومن كان مثلك من ذوي الوجاهة لا يليق أن يمر في الأسواق ملتفاً بعباءة فاسمح لي ان أقدم لك قيادة يلقي بقائمك » قال ذلك وصانع غواص غلام

فقال « يا غلام هات النباء الاخضر المعلق في الحجرة »
 فعاد الغلام وعلى يديه قباء من صوف فتناوله عرقفة ودفعه اليه وقال له « ايلك
 هذا النباء فالبسمه وانت خارج على ناقتك في هذا المساء فانه اولئك من البرد »
 فتناول حسن النباء واثني على فضله وهو لا يرى حاجة اليه ولكنك لم ير من البساطة
 ان برده فاختن وقد ازدادت فتوه وفي حسن فصحت . ولحظ في حركاته ميلاً الى الانصراف
 فنهض فقبل بن وودعه وخرج وقلبه لا يزال في تلك الدار وقد شق عليه ان يخرج
 منها وهو لم يخاطب حبيبته . ولكنها علّ نسمة بساعة اللقا بعد رجوعه من مكة . وسار توكاً
 الى السوق ليبيع بعض البال استعداداً للدفاع في اثناء الطريق ولكنك لم يكن يعرف
 اين يبعون البال فرأى غلاماً رث الثياب على راسه فتفطن نوى الفر (١) وبضعه فيها .
 وهي احقر مهن اهل المدينة فان افتر الناس عدم يشتعل بالنشاط النوى للوقود او
 غنم . فناداه حسن « يا غلام » ف قال « ليك يا مولاي » . ف قال « ألا تعرف
 وجلاً يجري النبال في هذا الجوار »

قال « أعرف كثرين وهل ترى البال المربيش او التي بلا ريش »

قال « اني افضل المربيش منها »

قال « تعال معي فادلك على احسن من يجريها في هذه المدينة »

الفصل الثالث عشر

— سليمان —

فسار حسن في اثره حتى انتهى الى الطرف الآخر من المدينة فاُقبل بو على حانتوت
 امامه دكة وفي صدر الحانتوت رجل من اهل بنرب بن يدبو النسي والنصال وفيها
 المري وغیر المري بعضها من الخشب والبعض الآخر من القما وبحرو . فندفع الى الغلام
 درها وصرفة وتقدم الى الحانتوت والنباء على ذراعه فلما رأه الرجل عرف من لباسه
 انه من اهل الدام فرحب به واجلسه على الدكة . ثمجلس حسن ووضع النباء بجانبه واخذ

يغلب السهام بين يديه وفيها المريش المربيع أو المثلث ذو الحجاج الابين أو الايسر ^(١)
وجعل يتنقى ما يرى ثم قال للرجل « هل تبيع الجعاب (جمع جعابة) »
قال « كلاً يا مولاي وإنما هي من صنع الجعاب وجارى هذا جعاب يصنع الكانة
والجعبة من الجلد او من الحنف على اشكال فاذا شئت بعث اليك فيأنيك
باصادفها »

قال « أنا ذاهب اليك بعد الفراغ من انتهاء البال » ثم اتنقى ما احتاج اليه منها
ودفع الثمن وسائل الرجل عن حانتوت الجعاب وبهض وقد نسي القبا عد البال وسار
والبال يسرد امامته حتى اوصله الى حانتوت اوعى من حانتوت فهو جلد واخشاب
وجعاب معلنة . فرجع البال وتقدم حسن حتى اتى بباب الحانتوت . فرأى الجعاب
يخاطب شاباً يظهر من لباسه انه من اهل الوجاهة وهو بساومة على جمعة اراد اتياعها
فوقف حسن ينتظر فراغ الرجل من تلك الزيارة ولكنه حالما وقع بصير على ذلك الناب
استأنس بروبيه وذكري انه يعرفه . فجعل بناملة وبنهم كلامه وهو يسحق ذاك كتلعة يذكر
والشاب مشتعل بالمساومة . ثم التفت الشاب الى حسن وحالما وقع بصير عليه بفتح
ونشرس في سحته ولم يطل النظر اليه حتى ابسم وصاح فيه « حسن » فقال حسن
للحلال « نعم وأنت سليمان ؟ » قال « نعم » وتعانقا وسلموا سلاماً حاراً وجلما على متعد
من حجر بجانب الحانتوت وقد نسيا الجعاب وصاحبها . فقال سليمان « من أين أنت قادم
يا أخي ومني قدمت »

قال « أني قادم من دمشق وقد وصلت المدينة في مساء الامس »

قال « وهل تنوی الاقامة هنا »

قال « كلاً أني عازم على المسر الليلة »

قال « لا لا لا تsofar لاني منافق الى رويتك وقد مضى علي بضع سنوات وإنما
افكر فيك وانذكر اياماً قضيناها في الكوفة معاً وقد كانت اياماً سعيدة ولو انها ممزوجة
بالحرب والقتل »

قال حسن « لاربي انها كانت سعيدة عليكم لأنكم فرمتم بالامر الذي قدم له
وقتلتم فتلة الامام الحسين شرفلة ... اظنك لا تنسى منظر عبد الله بن زيد وهو
مضطجع بدمه في ساحة الحرب »

قال «لا انى منظره ولا اقدر على نسيانه فاني انذكره كلام شهيت رائحة الملك لاني لما فرغنا من الواقعه وقالوا قتل ابن زياد سرت لشاهده فما افقلت على الجنه حتى شهيت رائحة الملك قوية^(١) لانه كان كثير النصيح بالملك ... ولكنني لم افرح بقتل ابن زياد بقدار فرجي بقتل ذلك الابرص الذى قطع راس الحسين يدك ...»

قال حسن «اخليك تعفي شهر من ذي الحوش فتحة الله ...»

قال «هو اعني ... فقد رأيت هذا الخبيث في معركة اخرى متناولاً وعليه برده وقد عرفته من بياض برسو^(٢)»

فقال حسن «انها لذكرى حسنة ولكننا لا نستطيع الخوض في هذا الموضوع ونحن على قارعة الطريق»

قال سليمان «دعنا نذهب معكم الى مكان تضيق فيه بقية هذا اليوم فاني احببة من اسعد ايامي لانه يذكرني باليام الصر وان كما الان في ...» وقطع كلامه لشلاء يسمعه احد

ثم نهض فابناع حسن جمعه وضع البال فيها وسار وقد شغل بصديقه عن الافكار بالقباء وهو لم يتعد حملة

الفصل الرابع عشر

الراقة

وكان سليمان هذا صديقاً لحسن عرفة منذ الصبا . واقام سليمان مع ابيه في الكوفة في جملة دعاة الحسين . فلما قدم الحسين الكوفة في اهلها كان هو وابنه من جملة الذين خلّلوا عن نصره . فلما قتل الحسين في سهل كربلاه وقتل اهله معه اصبح سليمان وابنه من التوابين الذي ندموا على خلّتهم عن نصرة الحسين . وقاموا بعد قتلهم للخطابة بدمه ولجاجه الحنوار بن عبد النبقي ، الى الكوفة يدعون الناس الى بيعة عبد الله بن الزير

فانضم التوابون اليه كان سليمان وأبوه في جملتهم فقتلوا قتلة الحسين . ولما طبع المختار ابن أبي عبيدة (وليس ابن عبيد) بالامر لنسو وارسل عبد الله بن الزير أخاه مصعباً لحاربه كأن حسن مع مصعب . فلما غالب مصعب على المختار وقتلته تفرق رجاله فالتحاز بعض الى مصعب وفي جملتهم سليمان وأبوه وقد اختلف قتلا حسن وسليمان كثيراً . وكان سليمان يعجب بأخلاق حسن . فلما جاء عبد الملك بن مروان وحارب مصعباً بالكوفة وقتلته تفرق رجاله فسار حسن مع عبد الملك كاتقدم وجاء سليمان وأبوه الى المدينة فاقاما فيها

فلما تلاقى حسن وسليمان في المدينة على هذه الصورة لم يصدق سليمان انه لفي صدقة حسناً فانعطف اليه واحب النقاء . فلما مثبا دعاه سليمان الى منزله وقال له ان لي يسر بلنيك فذكر حسن ابا سليمان فقال « فاتني ان اسألك عن ايك كيف هو وما الذي يعلمه الان »

قال « انه في خدمة طارق بن عرو وعامل هذه المدينة من قبل عبد الملك ابن مروان »

قال « وهل هو بخدمه عن رضي »

قال « اراه راضياً بخدمته وكثيراً ما اظهرت عدم رضائي بخدمة هؤلاء القوم الذين قتلوا حبيبنا . وكما في الامس غردد السيف عليهم وطال عليهم بدم المتنبّلون فكيف بخدمهم الان .. ؟ ولكن رأينا راضياً فشكّ عـ .. واعـ له عـراً »

وكانا يتكلمان وهما ما شهدا حق وصلا الى بيت سليمان ولم يكن ابوه في البيت فكما هناك وتناولوا العدة معًا وسر كل منها بلئنها صديقو . فلما كان العصر بهض حسن واعتذر باضطراره الى الذهاب لوداع ليلي الاختلية في بيت سُكينة بنت الحسين وفي باطن سر انه ربما استطاع مشاهدة سمية عرضًا لان بينها بمحاسب بيت سُكينة فامسكت سليمان وتولى اليه ان يوجل سره الى الغد فاعتذر . فقال له سليمان اذا لم يكن بد من سفرك فاني ارافتك في اوايل الطريق لايك اذا خرجت من المدينة بعد الفروب لا تسير الليل كلها . فاذا رضيت برفيقي فاني اصحابك الى العقيق فشكّ هناك ساعة اثنى عشرها من حدثلك ثم تفرق

قال « حسن كيف لا ارضي بذلك وفيه راضي وحسن حظي »

قال « اذا اين نلقي ؟ »

قال حسن « نلقي بباب المدينة المؤدي الى مكة وخرج من هناك معًا »

قال « وهل تعرف الطريق الى الباب »

قال « نعم اعرفه فإنه على مقربيه من حانوت النبال الذي اشتريت له النبال من

اليوم »

ولما ذكر النبال تذكر القباة فبقيت وقال « وقد نسيت عنك القباة . وإنما إذا أردت الذهاب اليه أن تتوت الفرصة لمشاهدة ليلى » فابتدأه سليمان قائلاً « دع هذا إلى » فاما أمر بال وبالنبال وأخذ القباة منه واحتفظه لك الى المثلثي »

فشكوك حسن وودعه وخرج فسار كل في طريقه

الفصل الخامس عشر

سمية ووالدها

لا يلقي بها التجاوز الى ما وراء هذا الحد ولا ينسى للقارئ . حال سمية وقد دخل حبيبها بينما بعد غيابه بضع سنوات وخرج منها ولم يرها ولا يراطها . كانت سمية جالسة بالباحة كما قدماها ولا تدرى لما فرع حسن الباب هل دفع قلبها وهل حدثها نفسها ان الطارق حبيبها — او هي تذمرت من ذلك النادم لانه كسر عليها مفاهيمها في الخلاة فاضطررت بعد ساعي الترعرع ان تتزوجي في اقرب الفرق وتنعمها لا زوال عالمها بالاطلاع على من هو القارع لانها لم تجد في الدقة التي سمعتها ما يشبه دقات زوارهم في ذلك الجوار . وكثيراً ما ندلل الدقة على صاحبها وبعلم اهل البيت قدوة صديقهم من قرعوا الباب . ثم ان هيل سمية الى استطلاع حقيقة النادم لم يكن عن تعذر او فضول وإنما هو من ناتج التحجب — والانسان إنما يتعلّم الى ما يمع من الاطلاع عليه . وكان عرفيه من أكثر الآباء تفيفاً على بنائهم في امر الحجاب على ان ذلك لم يكن يبعها عن التعلّم الى النادمين من شفوق النواخذ او ثواب الابواب

وانتهى في ذلك الصباح انه لم يكن في البيت احد من الرجال غير عرفته وكان مشغلاً في تجهيز خصوصية له لا يدخلها احد غيره وفيها مخملة من خشب مقلوبة لا ينفعها سواه . فإذا

دخل تلك الحجرة اغفل يابها ولا بدري اهل البيت ماذا يفعل هناك . فينفي فيها ساعة او بعض الساعة ثم يخرج وينقل الباب وراءه . وكثيراً ما احياناً سمية استطلاع امر تلك الحنة ومشاهدة ما في داخلها فلم توفق الى ذلك . لأن الحنة من خشب متين لا منفذ للنصر فيه . فلما قرع حمن الباب كان عرقية متشظلاً هناك فابطاً في قمع الباب كما رأيت

ف لما فتح الباب ودخل وهو يخاطب حسناً ويرحب به كانت سمية تتظر من ثقب في باب غرفتها يطل على حجرة والدها فوق بصرها عليه وهو يخلع حداه بباب الحجرة وهي اول مرة رأتها فيها بعد ذلك الغياب الطويل ولم تكن تنبه حتى شعرت بهزة قوية وخفق قلبها خنوقاً شديداً ولكنها ظلت نفسها مخطئة فغيرت فيه جيداً فاذا هو حسن يعيده ورات اباها يخاطبه ويرحب به وقد فهمت ذلك من اشاراته وملامحه لانها لم تكن تفهم الكلام بعد المسافة وخصوصاً بعد ان دخلوا واغلقا الباب . ولكنها لم تخرم من جارية تتصل من جانب تلك الغرفة وتعود اليها بما سمعته . والجواري أكثر الناس رغبة في نقل الاحاديث وخصوصاً اذا كانت من هذا النيل . فكانت تلك الجارية تظاهرة بخروجها لغرض تزيين من السنان او الباحة فتفق هناك بمحبت نعم ما يدور وربما سمعت بعضاً فتكمي الحديث من عندها وتعود الى سمية به . فاحتللت سمية بذلك على ما دار بينها حرفياً . فسأله اباها والدها عن ان برية اباها ولو من وراء حجاب ولكنها سرت ابها رأته واطنان بالما انه لا يزال على حبها . ولما اخبرتها الجارية انه جاء بعلمهها من ابها زاد اضطرابها واصطدكت ركبها ولم تعد تستطيع الوقوف فثبتت وسادة كانت يجاورها وجلست عليها وعيها على شق الباب . على ابها ما زالت ترجو ان يعود حسن الى طلب رؤيتها فواذن له والدها لكنها ما لبثت ان علمت انه غير الحديث وعول على الخروج من المدينة في تلك الليلة وعرقية حبيب اليه الاسراع في ذلك واعطاه القباء . واستغربت الحجاجة عليه باخذ القباء وهي تعلم بخلة على ان ذلك اكذ طارضاً عن تلك الخطيبة فانبعثت نفسها وتعللت بقرب اللقا . بعد الرجوع من مكانة

ف لما خرج حمن ونعته عرقية لوداعه طارت عيناها شعاعاً الى حسن ولكنها ما لبثت ان غاب عن مرسل بصرها من ذلك النسب . فلما رأت والدها راجعاً خرجت من الغرفة للقاءه وقد توردت وجنتها من عظم التاثر وباتت دلائل الحب في وجهها . فلما رأها عرقية في تلك الحال انقضت نسمة وظاهر انه في شاغل عن الحديث معها

اما في فلم نكن نصر عن استطلاع افكاره ولكنها امسكت عن الكلام عيناً لانها كانت تخافه كثيراً وتحتى غضبة وقد فاست منه الامور الصعب على اهها كانت تحسن الفتن بـ . فقولت الى حجرتها وهي متقطعة النفس ودخل عرقفة تجربة اخرى وقد لحظ ما في نفس ابنتو ولم ينفعه اعلاءها على ما دار بينه وبين حسن . فبعثت اليها فجاءت وليس في المكان سواها . فوقفت وقل لها يعنق وهي لا تستطيع الناطع الى ايهما ولا تدري ما يريد منها . فشار اليها فجلست على وسادة بالقرب منه وهي تشاغل باطراف جدائها المرسلة . وكانت تضرر شعرها عادة في طرة اشتهرت في المدينة يومئذ باللطنة السكينة نسبة الى سكينة بنت الحسين لابها اول من ضفرها على تلك الصورة^(١)

لشت سمية برهة وهي تشاغل بذلك والدها ينظر اليها وينامل عواطفها فلم يزدد الا وثيقاً بتعلها بذلك الشاب وهو لا يحب ان يتقارب منه بوجه من الوجع ولكنه لم يذكر ذلك لسمية صرحاً . على انه كثيراً ما حاول ان يزوجها سواء فلم تقبل . وكان لما طال غياب حسن عن المدينة ظلها مات او قتل او امه عدل عنها وانشغل بغيرها . فلما رآه في ذلك الصباح وخفق اثناء ما زال حباً بفت واستعاد باشة ولكنه عد الى الخب وريراً ، فنقلب على عروضه وبش له واستدناه منه واظهر له ما اظهرون من اللطف والانس على اهل ان ينفك بوعلهة . فلما رأى سمية في ذلك الاضطراب قال لها « اراك يا سمية مضطربة ... ما الذي دعاك الى هذا الاضطراب »

قالت وهي لا تزال مطرقة وقد صعد الدم الى وجهها فزاد احراره « فاي اضطراب تعني »

قال « اعني ما يبدو في وجهك من الاحرار على اثر الاصدار وكافي اسمع دقات قلبك ... فما هذا ؟ » قال ذلك بسمية واطنه رفقاً بها واحتياجاً في استطلاع سرها وقد كان يحب رضاها ولكن لا يريد ان تعلم عملاً تستغل به عنده . وكان اهل المدينة يخذلون سميلاً سمية واطنهما وكان والدها يريد ان يغير بذلك الحال فيزوجها بعامل او امير فيكتسب بزواجهها منصب او مالاً . وكانت لها مصانع اخرى كثيرة ترجع كلها الى الطاعم وحسب الاشرطة مع خبث الطاوية . وحسب الاشرطة مع سلامه الطوبية فلما يضر الناس اذ ليس في البشر من لا يحب ذاته وينصلها على سائر الناس . فإذا حسب الاشرطة سلامه القلب وطيب العصر لم يكن منها ضرر . أما اذا صحبتها خبث النيمة وسوء

الخلق فانها تكون وبالاً على الناس لان عيوبها لا يبالي بها قد يضحي بها من الانفس او الاعراض في سبيل نيل اغراضه . وكان عرفة ذات مطاعم كبيرة جداً وكان ذلك شأن كثرين في ذلك المهد على اثر تزعرع اركان الخلافة وانقسام الناس وكثرة الدعايات . فكان هنا يدعوا الى بيعة عبد الملك وذلك الى بيعة محمد بن الحنفية وذلك الى بيعة عبد الله بن الزبير فضلاً عن دعاية آخرين في البلاد الأخرى . فاصبح الامر فوضى وربما خطر لعرفة ان يدعوا الى احد هؤلاء او غيرهم ولو اتيح له ان يدعوا الناس الى نسو اهل ولائحة لم يكن يطبع بذلك وهو من ثيف وكانوا مختفين بجانب الفرشين . وكان الحجاج والختار بن أبي عبيدة تنبئين ايضاً فلما أرادختار ان يستائز بالملك ظاهر بالدعوة الى محمد بن الحنفية كما قدمنا

الفصل السادس عشر

الاستبداد

اما سمية فلما سمعت سؤال والدها ولم تر في نفقة الجناه اجابت وهي تكاد تذوب بخجل « انساني يا سيدى وانت اعلم الناس بسبب ذلك » فضحك وهو ينصب الفحلك اغصاناً « اظلكت محيرين هذا الشاب ... » قالت « لا اقول اني احبه ولكنني اعلم فضله علينا لانه انقذنا من الموت وقد اشتهرت حمله وعدناه وافتلا نقوم بالوعد ... »

وكانت تتوسل ذلك بالجهة المنصر وهي تنظر في وجه والدها لاتها اختفت امر الحب وطالبت بحق شرعى عليه وكانت شوقي ان يكون جوابه الاذعان الصريح . ولكنها رأت ان احسن انسام الاستخفاف ثم هر راسه وجعل بين عدد اسفل طويلاً بلاعيب اطراف شعرها بالمالو وهو بتقول « ما شاء الله ... واي فضل نعمون يا سمية ... »

قالت « الم يتذمّن هذا الرجل من التليل وتخفي في الكوفة الم أخرج اليه محلاوة الشعر واطلب بمحانك فمارس هو في اقاذتك ... ؟ ولا أراك تذكر ذلك عليه الى الان » قالت ذلك وهي تنظر الى وجهه بعارف عيوبها وشوق اذعاته فاذاك هو قد تغيرت سمعتها وبيان الشر في عينيه وكان بين منتاج الحجرة فرمى به الى الارض من شنة

الغرض وقال « لا اقدر على ساع « هذا الكلام ... ان الذي يدعي علينا مثل هذا التضليل يجب ان يموت »

ف لما سمعت سيدة ذكر الموت اقشعر بدهنها وامتنع لوبها ونظرت الى والدها والمجموع مل « عيبيها كابتها تستعمله بالخنو والدلي وهي لا تصدق انه يعني ما يقول . ولكنها حاالت ان رأته بهض وجمل « نشي في ارض الحجرة ولحينة رقص امام عقو وعنهانه محبلتان واناملة ترثيف . فتمبيت واطرقت دموعها تساقط على ثيابها وهي هادئة لا تحرك ساكنا ولسان حالمها يقول « وبلك ياظام »

اما هو وبعد ان شئ هيبة عاد فوقف امامها وقال لها « لو كنت تخفين والدك ما رضيت ان يكون مثل هذا الغلام فضل عليه . كف نفسك وهذا الغلام منه علينا ... وتوابون ذلك جهاراً ؟ لا شئت انك تخبين اكتر ما تخبيني »

فقالت والبكاء يختنق صوتها « كيف تقول ذلك يا اباها . وانت تعلم قلبي وتعلم انني لا احب احدا سواك . واما هذا الشاب فان له علينا ضلالا لا يذكر . هل سمعت الخضر الذي تنا فيرو وكيف انتدنا وعني بايصالنا الى هذا المكان ... ؟ وانت الذي وعدنا في ... فاذما كنت انا احبه فاما تكون انت دعوني الى ذلك و ... »

فقطاع عرقية كلامها وقال « أمال هذا المخد بلطف وقادحتك حق توفي لي انك تخبيئي وتعيدي ذكر فضلو ... وذكر هذا التضليل وحد يدعوني الى قنلو ... »

فاقشعر بدن سيدة واضطربت جوارحها فجشت عدقدي عرقية والدمع يتتساقط من خديها وينزج بالعرق المنصب من جيبها وقالت « وارحمتنا يا سيدى ... بالله لا تذكر القتل ... دعوة لا تقبل ولا غرض لي يو ... فانا لا اخرج عن طاعتك في امر من الامور ... لا تذكر القتل لانه ينفع قلبي ... افضل في ما نشاء افي طوع لك ... اشنق على دموعي وارحمني ... »

ف لما سمع بذلك ظنها اروعت عن محبوه فامسكتها وانهضها وسع دموعها يرديه وقال لها « خذني علىك يا بابية وكوني حكمة عاقلة وانذى امر هذا الغلام من ذهلك وارجعي الى رأيي فاعلني اني لا افضل الا ما يعود الى سعادتك وراحتك »

قال ذلك واجلسها على الوسادة وجلس هو الى جانبها فانكأت على صدره فخفق انها اذعن لامر واستسللت الله فلم يعد الى ذكر حمن . ولكنها اغمى هذه الترسدة وقال لها « يظهر انك كنت في جهة اليماء . والحمد لله انك فهمت ما انويه المك ... كيف

تعيشين مع رجل تعلمين انه ذو فضل على ابيك .. اليه ذلك متنبئ النزل والضعف
 ...؟ كيف اقدر على حفظ متزلي بين الناس وفي الدنيا رجل يقول انه اقدرني
 من الموت ... وله علي "فضل ؟ ... "

فطالات سوية صامنة مخافة ان يعود والدها الى ذكر القتل او نحوه ولكنها استغرقت
 اعظامه الاقرار بالقتل لا هلو . وقد فانها ان من الناس من يتمددون الابقاء بالمحضين
 اليهم لان مجرد تصور فضلهم : يوم حدم حق يتودم الى التنك لهم ليقلصوا من ذكر
 تلك الملة . واما الـ هؤلاء قليلون والحمد لله — وكان عرقه واحداً منهم ولم يحمله على
 قتل حسن الا سابق فضل عليه — وتلك غاية الدناءة والخسنة
 ولم ترسية خير امن المكتوب على مسامعه ورأته ولكن ذلك لم يغير شيئاً من عواطفها اهل
 هي زادت تعلقاً بحسن وتعلق ذهنها بمحاباته خوفاً عليه من والدها فمولت على السعي في
 تحذيره . كانت تنكر في ذلك وهي متكونة على صدر والدها وقد بللت قميصه بدموعها
 فانهضها وقبلها وقال لها « قوي يا سمية الى شائق وارجعي الى رشدك فاني سازوجك
 باعظم رجال يحدث به المسلمين الآت لتعلمي اني اسانك باقراطي لاحسن
 اليك بافعالي »

الفصل السابعة عشر

— المناجاة —

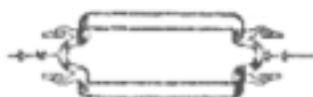
فهضت ومشت وهي صامنة نسخ عنينها يكها حتى انت جمرها فدخلت
 واقفلت الباب واوصدته واستلقت على فراشها وقد قتل لها عظم الارتكاك المحيط بها والخطر
 الذي يهدد خطيبها فاخلفت الدنيا في عينيها فاستغرقت في البكاء واطلقت الدموع العنان
 ثم استرجعت وذكرت في امرها ومركتها بالنظر الى رأي والدها وما تعرضت له من الامر
 العظيم اسبب حجاها لحسن فجعلت تناجي نفسها قائلة «كيف تعلمت بهذا الرجل الغريب
 وفي تعلي بي خطر على حياتي وحياتو ...؟ اليه هذا والدي الذي رباني وكفلي ولا يريد
 لي الا الخير والسعادة ... كيف اعصاه واطيع هواي اليه من الفعل ان انصاع
 لوالدي؟ ... نعم ... لا ... لا ... حسن حبيبي ... ولكن ماذا بربطني بي ...؟

الحب ... ما معنى الحب ؟ ... ان هذا الحب سبب عذابي وعذاب والدي وعذاب حبيبي ... لا ... الحب عذابة عذب ... آه ما احلى الحب وما اشرف عواطف المحبين ... كيف يعيش الناس بدون الحب وما الثالثة من الحباوة بلا حبة ؟ ... الى لا ااري في العرش لذا لا افتكر بمحن ... حمن ... حمن ... آه ما الفلف هذا الاسم ... ولكن كثيراً ما كنت امسحة قبيل ان اعرف الحب فلا اللذ بلنظرة كلام اللذ الا ان ... فانا انا لازد بالحب ... آه ما احلاه وما احلى لنظرة يحيى وذكره يذكرني وما احلى صورته بيت عيني ثم مسحت دموعها ولبنت هادئه برهة وهي تذكر في والدها وقالت « ولكن والدي ربانى بعد وفاته اي وحدت ولم يتزوج من احلى وهو يحيى وبريد سعادتي وكيف اغصبة ؟ ... »

ثم قالت « ولكن والدي خرج في معامله عن حقوق الوالدية ... اذكر هذا الرجل فضلاً كبيراً له علينا ... بل اراد قتلنا من اجل ذلك الطفل ... اراد قتلنا ... قتل حمن حبيبي ... ان والدي ظالم والظالم لا يحبه الله فكيف احبه ... وحسن شرم استهلك في سبيل نجانتها وبكتني انه يحبني واحبه حماً عذر يا نقيباً لا عيب فيه ... يا اهلي ما هذا الحب ... اذا كنت ترى اني اخعلني في ما اقول فاتزع حب هذا الشاب من قلبي ... لا ... لا تزعره ... او ازرعه يا اهلي ... او كاتنه ... آه لا ااري هذا كنه الا ما يزبدني تعلقاً وهباماً ... الله هو الذي أراد ان نحب احدنا الآخر والحب الذي يكون خالياً من الدنس وغاية شربطة اغنا هو من عند الله »

قضت سبعة ساعات في مثل هذه المواجهات ... ثم تذكرت ما سمعته من تهديد والدها تخافت ان يتمكن من حمن وهو غافل ... فرأيت من واجبها بيان توصية ان يكون من والدها على حذر حتى ينفي الله امرأً كان منهولاً ... وحدثتها نفسها ان تترى مدة الى مدة ولكن تعمقها واديهما زجرها عن الافكار في ذلك ... على اهلا اصحابها بعد ما لاقت في سبيل حبيبي لا اصر عن رؤيتها لشكوكه ما في قلبها ويعاهدا على الاخداد والصبر ... فتذكرت عزمها على الخروج من المدينة في تلك الليلة وعلمت انه خارج حوالي الفרוב من الباب المؤدي الى مكة فعمولت على اغتنام النرصة بانشقاق والدها او غيابه فخرج نحو الغروب وتنف لاه في الطريق وتحاطله

اما عرفة فقد كان بين ويين طارق بن عرو وعامل المدينة يومئذ صداقه ودسانس وكان طارق يكرم عرفة لانه نافى من قبيلة الحجاج وكان الحجاج قد اوصاه بآخرليس لانه ثقى فقط ولكن الحجاج كان قد عرف سمه وطلب الاشتراك بها فاعف عنه عرفة بذلك ولكنه استهلا ر بما يسترضيها ولم يشا الحجاج ان يحملها ابوها على ذلك بالكتن خلافة ان تشکو الى الخليفة عبد الملك بن مروان فبأمره بالغلى عنها كا اتفاق له مع عبد الله بن جعفر لما خطب الحجاج ابنته ام كلثوم على مال كثير ثم امره عبد الملك بن مروان بطلقاها . وجليمة الخبر : ان الحجاج خطب الى عبد الله بن جعفر ابنته ام كلثوم على التي الف في السر وخصائص الت في العلانية فاجابه الى ذلك وحملها اليه فاقامت عنده ثانية أشهر ثم خرج عبد الله بن جعفر الى عبد الملك بن مروان واغدا ونزل بدمشق فاتاه الوليد بن عبد الملك (ابن الخليفة) على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد « لكك أنت لا مرحاً بك ولا أهلاً » قال عبد الله « مهلاً يا ابن أخي فلست أهلاً هذه المقالة منك » قال « لي واش وبشر منها » قال « وفي ذلك » قال « لانك عدت الى عقبة نسا ، العرب وسوية نساء بي عبد مناف فخرضتها على عبد شيف ينخذلها » قال « وفي هنا عبيت علي » يا ابن أخي ؟ » قال « نعم » قال عبد الله « والله ما أحق الناس ان لا يلومني في هذا الا أنت وابوك لأن من كان فبلكم من الولاية يصلون رحمي ويعرفون حتى والك واباك معنافي وفديك حتى ركني الدين . أما والله لو ان عبداً حبيباً معدعاً أعطاني بها ما اعطيتني عبد شيف لزوجتها منه انا فدبت بها رفيقي » فما راجحة الوليد كلة حتى عصف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال له عبد الملك « مالك يا أميا العباس » قال « انت سألهت عبد شيف وملكته حتى تأخذ نسا » بي عبد مناف » وقص عليه الخبر . فادركت عبد الملك بغرة فكتب الى الحجاج بقسم عليه ان لا يضع كتابه من يد حتى يطلعها ففعل ^(١) . تخاف اذا فعل مثل ذلك بسمة ان تشکو الى عبد الملك بواسطه سکينة لعلو انها تحب سمية وطا متزله وكراهة عبد الملك



الفصل الثامن عشر

رسول الى سمية

واما حسن فانه ودع رفيقة وسار ماشياً وحادمه يتدو نافقة وراءه . وتوجه نحو بيت سكينة وقبل ان يصل اشرف على بيت عرفة وابوال ما وقع بصري على خبلو اخلج قلبها في صدره ووقف كأن شيئاً استوقفه بالرغم عنده وتصور انه شخص الى مكة وهي محصورة فلا بدري مني يعود منها ولا ما يمكن حدوثه في غباوه . وكيف يسافر وهو لم يرسية . ثم تحدثت له سمية كما رأها في صباح ذلك اليوم فاعادة الى جذع الخلة حرثة رأسها ولم يرى جانب وجهها . فلما نصور بذلك زاد هبامة واضطربت جوارحة وظل برهة كأنه فاقد رشك لمعظم ما اكتتبه من الهاجمين . ولم يتبه لنفس حق خاطبه خادماً وهو رجل من ثقيف اسمه عبد الله واصلة من الطائف وكان في جملة خدم المختار بن أبي عبيدة اثنا . حرثه في العراق فلما قاتل المختار سار في جملة الارى الى الشام ثم دخل في خدمة حسن عدد ما سمع بهزء على المدينة رغبة منه في الاقتراب من اهلو في الطائف . وكان عبد الله يعرف عرفة لانه من قبيلته ولم يكن يخترقه ولا يشق ياقونه ولو لكنه لم يكن يعلم بما بين حسن وسمية . فلما رأى سيداً مهيبوناً استغرب ذلك منه خاطله فاعتلا « ما بال مولاي ؟ هل يذكر في أمر سمية فاقضيه له »

فانتبه حسن لنفسه وأشفي من خادمه ولكن تذكر الحال ما بين هذا الخادم وعرفة من رابطة القرابة فلاح له ان يستقدمه في ذلك لعله يأتي بناية فقال له « أعرف عرفة يا »

فاجاب عبد الله وهو لم يصر الى تمام السؤال وقال « كيف لا أعرفه وهو في الد سمية »

فلما طرق ذلك الاسم اذن حسن خنق قلبها ولو انت عبد الله لوجه سيد لرأى الاختراض ظاهر في عيشه ولكن لم يكن يتعرض في وجهه لشرط احترامه له . اما حسن فقال « وهل تعرف سمية ؟ وكيف عرفتها ؟ » فضحك عبد الله وقال « كيف لا اعرفها وهي من قبيلتي »

قال « وهب أنها من قبيلك فهل تعرف كل بنات قبيلتك ؟ »
 قال « كلاً ولكن سيدة مشهورة بجمالها ونعفتها ولطفها وقد اتنق لي في رأيها
 غير مرغب يوم كذا في العراق »

فسر حسن بهذه الصدفة وإراد أن يستخدم عبد الله في البحث عن سيدة أو مخابرها
 فقال « إذاً أسمع يا عبد الله .. أريد منك أن تسير إلى سيدة في مهنة هل تذهب ؟ »
 قال « كيف نامر في ولاطبيع .. »

قال « ولكن يجب أن تفهم الغرض من تلك المهمة بدون أن أقول شيئاً عنها »
 ففهم عبد الله وأطرق خجلًا وقال « لا احتاج إلى زيادة إيضاح فإن سيدة مولاي
 وانت مولاي ... »

فأعجب حسن بلطف نبيه وقال له « بورك فيك يا عبد الله فاعلم أنني
 قدمنت في هذا الصباح إلى عزفحة وقضيت معه ساعة ولم أتمكن من مشاهدة سيدة لأنها
 كانت مشغلة وخرجت الآن سائرت إلى مكة ولا ندرى متى نعود .. فهل أخرج من المدينة
 قبل أن أراها ؟ .. »

قال « كلاً بل يجب أن تراها وتحاكيها .. هل أسلماً موعداً للقاء ؟ »
 قال « لا تسخجلي يا عبد الله .. فاني أخاف أن يغضب والدها إذا اطلع على
 ذلك لاني سمعت بصراحته في تمجيئها فلا يليق لي أن أراها خلسة عنه وخصوصاً بعد
 أن خطبها منه »

فارسل عبد الله بصريحه وفقال « اذاً هي خطيبتك .. ولكن
 لا بأس من رؤيتها اذاً لم يعلم والدها .. أنا ذاذن لي بالدخول إلى هذا البيت والاستئهام
 عن عزفحة فاحتال بإصال موعدك إليها ؟ .. أين تقابلان ؟ »

فاستعظم حسن الاقدام على هذا الأمر ولكن رغبته في رؤية سيدة هونت عليه ذلك
 فقال « اني ذاهب إلى منزل سكينة وإنما أعلم أن سيدة كبيرة الترداد إليه وسكتة تجيئها
 وتغيرها فإذا قالت لها ان تواجهني إلى هناك الآن يبكي »

قال « سمعاً وطاعة » وتحول إلى منزلها وهو يقول « سأحمل إليك الجواب في
 منزل سكينة إن شاء الله »

الفصل التاسع عشر

أشعب القطاع

اما حسن فشي حتى وصل منزل سكينة بيت الحسين فرأى بجانب الباب زرنيه تربط فيها دوابها ودواب من يقدم اليها من الوفود لأن منزلها كان منتصداً للشمراء والادباء واهل الوجاهة من قريش وغيرهم ^(١) وكان حسن قد سمع جماعة الحال وجالية الخدم قبل وصوله الى الدار . فلما وصل رأى كثيرون من الدواب واكثرها للاضياف ورأى بهمها حمل ليلياً الاخليفة

فلا انتهى الى باب الدار او هو باب البستان دخل ولم يمتاذن لأن الناس يدخلون منه الى دار الا ضياف وغيرون بلا استذنان . وشي في باحة كبيرة اشبه بمعنوان كبير رأى في بعض حيابو غرفة عديدة في صن واحد عرف انها دار الا ضياف ورأى في صدر البستان يتناهى منفون البناء على باب الخدم عرف انه مسكن سكينة . فتحول الى دار الا ضياف لعلة برى ليلي هناك فتيم معها ربيعاً ثانياً سبة ف تكون له وسيلة في مقابلتها . فوصل دار الا ضياف فوجد الخدم مشتغلين في اعداد الاطعمة من الذباخ وغلوها . وقد سرع انشغالهم عنده لكي يتمكن من البحث عن ابيه . فضافت الغرف غرفة فلم يجد احداً يعرفه فظل ماشياً وهو يسبح ضجة من جهة مسكن سكينة بعدها من الخدم في الخارج والبعض الآخر من الداخل . وكان يدخل الفجوة قهقهة وقوفاً مثل قوقة الدجاج . فشي الى مكان التجمع فإذا هو في غرفة بجانب باب المسكن وبابها بضعة رجال لم يعرفهم فدنا منهم والتي الغيبة فردوا السلام وإصرام شاخصة الى داخل الغرفة فأطل حسن من فوق اكتافهم فرأى هناك رجلاً قصيراً ديبها قليل العلم ازرق اللون أحول البصر اقرع الرأس انتط الغيبة ^(٢) وقد جلس الترقصاء على اكبه من الذين الممزوج بالزمل ^(٣) كان يهضم شيئاً وهو ينون كأنه نتوء الدجاجة فاستغرب حسن ذلك ونظر الى احد الوقوف نظره الاستهلام فاستغرب الرجل نظره وقال له « لا تعرف هذا الرجل ؟ » قال « لا ... ومن هو ؟ »

قال « هو اشعب الطاعن الذي اخذته سكينة بنت الحسين تديها يازحها »
 قال حسن « اسمع اسمه واعرف بعض اخباره المفعكة ولكن منظار اصحابك من
 اخباره ... ما الذي افتعل هذا المتفعل وهو بنوقيه كاتبه يحضرني يهذا ؟ »
 قال الرجل « بل هو يحضرني يهذا حقيقة عتاباً لاذ على ذنب ارتكبه بين يدي سكينة
 مولانو فامرته ان يتبعه على هنا اليهض حتى ينقض ^(١) وقد مضى عليه ايام وهو على
 هذه الحال ... »

لتحصل حسن وانشغل بذلك المنظر عن قلبه في انتظار خادمه واراد ان يشغل
 نفسه هدية اخرى فقال « يا اشعب ما الذي اجلسك هذا المجالس »
 قال « اجلسني اياه مولاني سكينة فهني ففيكم من يخرجني من هذا الحبس » اي
 « اجلسني اياه مولاني سكينة فهل فيكم من يخرجني من هذا الحبس » لان اشعب كان
 في لساوه لفحة ^(٢) شجاعاً جلا الو !

فقال حسن « ومن نرى يقدر على التوسط لك في هذا الامر »
 قال « كأني رأيت ليلي الاخيلة داخلة دار مولاني اليوم فإذا كانت في هنا فلا
 ارى أقدر منها على التوسط باخراجي من هذا المكان لأن سكينة تحب الشعراء وخصوصاً
 بنات جنها »

قال حسن « هان الامر فلك على ايو اوسط ليلي في العنوانك »

الفصل العشرون

مجلس سكينة

ولم يتم حسن كلامه حتى سمع صوتاً ينادي به فالثنت فرأى خادمة عبد الله واقفنا على
 بعض خطوات منه فقال حسن « ما وراءك »
 فدعا عبد الله منه وقال « دخلت البيت وسألت عن عربقة فقبل لي انه خرج
 في الصباح ولم يعد بعد ولا يعرف احد متى »
 فابتدأ حسن فائلاً « وسمية ؟ »

فقال « وسألت عن سيدة فنالوا لي أنها ذهبت إلى مكينة من برهة قصيرة فسررت بذلك وأتيت لا خبرك فهل رأيتها هنا ؟ »

قال « لا لم أرها ولعلها في البيت مع النساء وكيف أصل إليها . . . بورك فنك يا عبد الله فما كنت أنت بالباب مع الخدم والجمل معك حتى اخرج أو احتاج إلى في شيء »

قال « سمعاً وطاعة » وخرج

وعاد حسن وقد شغل عن أشبع ونجاته بالبحث عن سيدة ولما تصور أنه ممكِّن من مقاربتها خفق قلبه . فلم يرَ وسيلة إلى ذلك الاً لبني فجاء باب الناعورة التي تستقبل سكينة فيها ضيوفها فرأى عليه رجالاً واقفين وقف الحاجب فقال له حسن « هل في مجلس بنت الحسين أحد ؟ »

قال الرجل « إن مجلسها غاص بالناس وفيهم جماعة من الشعراء والشاعرات »

قال « وهل فيهم لى الأخيبة »

قال « نعم »

قال « فلليلى أن حساناً بالباب يدعوك اليوم »

فدخل الرجل ثم عاد ولily معه فلما رأت حساناً رحبت به فمشي بها إلى خلوة وقال لها « أني مسافر الليلة وقد جئت لوداعك »

قالت « رافقتك السلامه ووفقاً لك الله في مهنيك »

قال « ولكن اعرض عليك امراً ارجو مساعدتك فيه الآن وهو لا يتعذر »

قالت « وما هو ؟ »

قال « أنت معرين سيدة بنت عريفة »

قالت « نعم اعرفها وقد رأيتها من برهة وجنة جالسة بجانب سكينة تناطها وسكنة لاظفها لأنها تحبها كثيراً . وأنت ما شانك معها ؟ »

قال « شاني معها شأن الخطيب وخطيبتو فهل هي لا تزال هناك ؟ »

قالت « لقد سرق المك خطيبتها فانها زينة بنات المدينة . وأما الآن فاظفها باقية لأنها أرها خرجت . وعلى كل حال تعامل معى فتدخل الناعورة فشككت أنت مع الجالوس من الرجال وأدخل أنا إلى مجلس النساء وراء النعارة حيث قائم سكينة وصحابتها فاجهشت عن سيدة

فقطع كلامها وقال «فانتدم اليك ان تجتمعين بها ساعة لا يرانا فيها احد سواك لاني خطبها منذ ثلاثة اعوام وحيث المدينة بالامس وهو اني خارج الان ولم اشاهدها او اخاطلها»

قالت «لك على ذلك»

قال «ولكن فليكن عاجلاً لان الفروب قد دنا وإنما مسافر عبد الفروب»

قالت «ألا توجل سرك الى الغد؟»

قال «كنت اود ذلك ولكنني وعدت صديقًا لي ان نسير معًا وسياوافي خروج الفروب الى باب المدينة . فاصنعي معرفة وتعجبلي .. ثم اني اوصيك باشعب الطاعع فانه يحضرن يفاصي هنا عندي اذن ارتتكها وقد وعدته اني اخاطلك بالتوسيط لدى مولاتي سكينة فلا تنسى»

ففتحت وقالت «فتحة الله ما اكثربونه ولكنها وافق سكينة لانها تحب المازحة وقد احكت لي عن سبب حبسه هذه المرة ولها تعودت على معاقبته مثل ذلك العقاب من قبل فانه يحضرن يفاصي مني فخررت فرار يحتم فنلات الدار وسكينة تمييز بنات الشعب ... اني ذاهبة وساكلها بشانه .. ولكن تعامل معي واجلس مع المجالسين فاذًا ثبتت سمعة اومأت اليك فخرج»

الفصل الخامس والعشرون

مجلس الشعراء

فدخلت ودخل هو في اثرها بعد ان خلع غطبيه بالباب ووضعها في ناحية يعرفها . ثم أطل على القاعة فاذًا هي واسعة وقد فرشت أرضها بالطنافس الندينة وحوطها الوسائد المزركنة وفي صدرها ستارة عليها صور اشجار وطيور ملونة جامت خلفها سكينة ونساؤها يحيطن ترى ضيوفها ولا يرونهما

ورأى في القاعة جماعة قد نصرد منهم خمسة عليهم لباس البدو جلسو في صدر القاعة
 فقال حسن « ومن هؤلاء المنتصرون؟ »
 قالت ليلى « م الشعراء ... الا لا نعرف احداً منهم؟ »
 قال « اظني اغفر احدكم المجالس على الوسادة المثانية فقد عرفته من خمامه بـ
 وعيوبه وجهه وغلوطه ^(١) أليس هو الفرزدق؟ »
 قالت « لي هو بيبيو ... الا تعجب من اجتماعه هو وجرير في مجلس واحد مع
 ما اشتهر بهما من المهاجنة؟ »
 قال « وأيهما جرير؟ »
 قالت « هو ذلك الذي قد كتب شعره واده من وقت تكلم سمعت لكلاهونه
 يخرج بها الكلام من انفه كان فهو نواماً » ^(٢)
 قال « ومن هو ذلك الرجل الفصیر الدميم العظيم الهامة مع احمراره؟ » ^(٣)
 قالت « هو كثيرة العاشق المشهور »
 قال « اعاد الله عزه من منظرة فانه قبيح ... ومن هو ذلك الناب الجميل الطويل
 بين المكينين الحمن البرقة ^(٤) ... وكأنه جالس الترقضاء؟ »
 قالت « ذلك هو جميل بشينة أحد عذاق بنى عذرة ... الا تراه حزيناً؟ فلما
 علق بمحب بشينة وما اشتهر حبه لها منعة أهلها منها ... »
 قال « ومن هو ذلك الاسود؟ ... اني لاستغرب منظره وبين الشعر في السوء
 فلن هو؟ »

فضحكت وقالت « هو نصيبي ^(٥) الشاعر الغول ... واما سواده فمن امو لابها أمة
 واما ابيه فمن فضاعة ... فها قد عرفت الشعراء وستنبع حدتهم وحديث
 سكينة معهم ... اجلس على تلك الوسادة والتفت الى هذه الناحية كل برقة لعلي ابعث
 من يشير اليك بالخروج ... »

فدخل وهو يخاف فيات الوقت ولكنه لم ير جملة مجلس في جملة المجالس ...
 ولم يك يستقر به المقام حتى سمع لغطاناً من وراء المثابة فاستبشر بكلام دار بين لهي
 وسكنة او يها وبين سيبة ... ثم رأى جارية وضيحة خرجت وقالت « ابكم الفرزدق؟ »

(١) الاقافي ج ١٦ (٢) الاقافي ج ٧ (٣) الاقافي ج ١١ (٤) الاقافي ج ٤ (٥) الاقافي ج ١

وكان حسن يقع ان تنادي فلا سمعها تنادي الفرزدق الفتى البو فرأه يقول
« ها انا ذا »

قالت « انت الفائل

ها دلاني من ثالثين قامة كا الخط بازأقتم الريش كاسمه
فلا استوت رجلاي بالارض قالنا أجي فورجي أم قبيل خاذره
فقلت ارغموا الامراض لا يشعروا بها وافتلت في انجاز ليل ابادره
قال « نعم » . قالت « فما دعاك الى انداء السر ؟ خذ هذه الالف دينار والحق
باهلك » فاخذتها وانصرف . ثم دخلت الجارية على مولاتها وخرجت فقالت « ايك
جرير » قال جرير « ها انا ذا » فقالت « انت الفائل

حرقتك صائنة الناروب وليس ذا حون الزياره فارجي السلام

تهري السواك على اغفر كانه برد تحدى من متون غام

لو كان عهدك كالذى حدثنا اوصلت ذاك وكان غير ذمام

اني واصل من اردت وصاله بحال لا صلف ولا لواه »

قال « نعم » قالت « او لا اخذت يدها وقلت لها ما يقال لهنها ؟ انت عنيف

وفبك ضعف خذ هذه الالف والحق باهلك » فاخذتها وانصرف ثم دخلت على مولاتها

وخرجت وقالت « ايك كبير » قال كبير « انا » قالت « انت الفائل

واعجبي يا عز منك خلاقن كرام اذا عد الخلاقن أربع

دونك حتى يدفع المعامل الصبا ودفعك اسباب الملي حين يطعيم

وانك لا تدرى بت صبا مطابع اي شدد ان لافقك او يتضرع

وانك ان واصلت عملت بالذى لم يجد لك الدهر مطابع «

قال « نعم » . قالت « قد ملحت وشككت خذ هذه الالف دينار واذهب باهلك » ثم

دخلت وخرجت وقالت « ايك نصيبي » قال نصيبي « انا » قالت « انت الفائل

ولولا ان يقال صبا نصيبي لقلت ينفي الشا الصغار

ينسي كل مهضوم حدتها اذا خللت فليس لها انتصار »

قال « نعم » قالت « ريندا صغاراً و مدحتنا كباراً خذ هذه الالف دينار والحق

باهلك » فاخذتها وانصرف ثم دخلت وخرجت فقالت لجوبل - مولاتي ترقتك السلام

ونقول لك « مازلت مشتاقه لرويتك منذ سمعت قولك :

ألا ليت شعري هل ايتين ليلة بيلادي الترى الي اذاً لسعيد
كل حديث يهمن بشاشة وكل قبيل عدهن شهد «
فجعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهاداً خذهن الالف دينار والحق باهلك ^(١)
فأخذها وانصرف

وكان حسن ينظر ويسعح ولا يستغرب مثل ذلك المجلس كما قد يستغربه اهل
هذا الزمان لأن اهتمام النساء بالشعر والأدب وجلوسهن بذلك المطارحة كان
شائعاً في تلك الأيام ونفع من النساء شاعرات ماهرات منهن أولى الأخلاقية وغيرها —
ولما استغرب حسن اهتمام سكينة على رغفة مقامها بباحثة الشعراء في ما قاله ونظبوه على
انه كان يصح ويرى وهو قلق البال لتأخره وفيه عنه ولم يكن يدرى كيف يستدعيها
او يستعملها فرأى ان يسمعها صوتاً فانقل امرأً يحيز له الكلام — ذلك انه رأى
على السنار الماجز بين مجلسي الرجال والنساء صور طيور والشجارات وكانت امثال هذه
الابتعدة المؤونة كثيرة الشبوع في المدينة للستانار والوسائل والاغطية . ولكن بعضهم كان
يعبر اهتمامها عملاً ببعض الحديث . وكان حسن اول ما وقع نظره على السنار ساعة
دخوله الغرفة قد اكبر امرأه فرأى له جهائد مسوعاً للكلام . فلا راي المجازية فرغت من
محاضة الشعراء ورأى الشعراً قد خرجوا وهمّت هي بالرجوع وقف حتى اقبل عليها
وقال « تهلي يا بنته »

فوقنت والفتت اليه فقال لها « لئن باحثت هؤلاء الشعراء وأفحشتهم فانصرفوا فهل
اسألك سؤالاً؟ »

قالت « قل ما تشاء »

قال « ارى على ستاركم صوراً وقد قال رسول الله (صل) « ان اشد الناس
عناداً يوم القيمة المصرونون »

ف وأشارت المجازية اليه ان يهمل ودخلت الى سيدتها حسن بانتظارها . فلا عادت
قالت له « وما يضرنا وما نحن من المصرونين »

قال ولكلكم الخدم تلك الصور ستاراً . ولو كانت صور اشجار فقط هان
امرها ^(٢) ولكنها صور ذات ارواح وقد قال رسول الله (صل) « ان الملائكة
لا تدخل بيتها فيو الصورة » ولم يتم حسن كلامه حتى سمع صوتاً جهورياً من وراء السنار

يقول «ولكنا (صلم) قال ايضاً - الا رقا في ثوب - »^(١) فعلم حسن انه صوت
لبي فسكت وعادت المغاربة الى مکالمها ولبس هو على مثل الجسر لا يدرى ماذا يفعل
ولا ماذا يقول . والنفخ الى الخلاء من نافذة عالية فرأى التمس قد مالت الى الفروب
فازداد قلقه مخافة ان يحلول انتظار صاحب سليمان بباب المدينة

الفصل الثاني والعشرون

الفشل

وفيما هو يذكر في ذلك مع لفطاً وراء السنار غيبة ضمك كبير وصوت يقول «قد
اطلتنا سراحه اذهبي يا بناهه واخرجيو فجحة الله ما اخبتة» فعلم حسن انه صوت سكينة
ولكنه ظلمها يريد اخراجها هو فاضطر - ثم ما لبث ان رأى لبي خارجة وهي تشير اليه
ان يتبعها فدار في الزها حتى خرجا من القاعة فدلت منه وقالت «لا تخف انها لم
تامر باخراجك ولكنها امرت باخراج اشعب الطاع لاني اوصي بها بو علاء باشارتك
فقطع حسن كلامها قائلاً «بورك فيك ... ولكن ابن سمية ...

قالت «ليست هنا ... كانت في هذا المجلس وخرجت قبل ان اراك»
فاستعاد حسن بالله وانقضت نفسه ثم قال «هل انت على يقين ما تقولين
قالت «بعثت كثيراً وتحتفظ خروجها فاعلمها خرجت الى يمت ايهها لا لها لاستطاع
الغاب طويلاً عنه»

وفيما ها يتكلمان رايا اشعب مهرولاً وهو في ما وصفناه من قصر النامة وقلة اللم
وفرع الرأس وحول البصر حتى اقبل على حسن وهم يوكانه يريد ان يقبل به
وطلاق يقول «جزاك الله عن خيراً فقد اخذتني من عذاب طوبى لان اليه لم اكون
ارجو ان ينقض قبل بضعة ايام فاطلب اليه تعالى ان يقدر في على مكافئتك - هل استطيع
خدمتك في شيء؟»

قال حسن «الي لم ا فعل بما يتحقق هنا النباء فادع لي ان الا في خانبي ...

ثم التفت الى ليلي كاتبه برب الرجوع الى الموضوع فتلقى اشعب قليلاً فقال حسن
«امبودعك الله بالليل وارجوان اراك في خبر» ثم التفت الى اشعب وودعه فقالت له
ليلي «اتوسل الى الله ان ينصرك في امرك ...»

واحب حسن الاختصار في الكلام للاستعمال في الخروج لعلة يلاقي سيدة في الطريق
او في البيت او في مكان آخر . فخرج فلتقي خادمة عبد الله في انتظاره ومعه الجبل
فركب والشس قد آذنت بالزوال وبان الشنق فاستحق جملة حق دنا من حافظ عرفة
فاحس بشيء استوقفه بفتحة وما هو الا عامل الحب او فتحة بمحابي بيت الحبيب . فلم يفالك
ان نادى عبد الله فوقف عبد الله بين يديه وهو يقول «هل اسأل عن سيدة لعلها عادت»
فاستحسن حسن نهاية خادمه وشعره معه وابضم ولم يحب فاسرع عبد الله الى البيت
ثم عاد وهو يقول «انها لم تعد يا سيدى»

فارتبك حسن في امره وخاف ان تكون سيدة باقية في بيت سكينة ولم ترها ليلياً او
انها رأتها واختلفت امرها لفرض لها . وتذكرت عليه المواجه وتراءكت الظلون — ولحسنه
سي . الظلن كلما اشتهد حبة كثترت هواجره وزاد سوء ظلو بحبيبه وكثره من قبيل
الغيرة . فاذا رأى حبيبه يخاطب احداً منها يكن من شانه او مقابلاً او قرابةً تبادر الى
ذهنه انه يغازله او يمساه في امر . و اذا ابطاً عليه الز يارة سبق الى فهو انه في موعد
مع آخر او انه لا يحبه او يحبه سواء . وقد يخيل له ان اهل الحبيب كلهم ضئل واهم يعنونه
منه فاذا تخططوا هساً او قصرروا معه في شأن خول له انهم يريدونه سواً او م
يتصبون له احتجولة — فالذهب كثير المواجه سبي . الظلون

فلا تلم حسناً اذا ساء الظن بليلي . وحسبيها تآمرت على اخفاء سيدة عنة . قضى
حسن بربعة في هذه المواجه و هو على جملة ثم اتبه فاذا بالظلام يتكلّف ولذلك صدّيقها
سلبان فاجمل وشق عليه تأخر عن الموعد مع ما ابداء الرجل من الرغبة في مرافقته بعد
ان بالغ في اكرامه والتقارب منه . فاستحق جملة وطلب بباب المدينة وقد ينس من
مشاهدة سيدة وظل نسخة بمقابلها عند رجوعه من مكانه



الفصل الثالث والعشرون

—
القاء بنته
—

مثي حسن بضع دقائق فاشرف على باب المدينة ومن ورائه المحتفمات واللالل وغابات النخيل وقد بعد عن منازل الناس وهو ساكت . وفيما هو ينظر إلى ماوراء الباب إذا هو بشجع وقف له في الطريق وهو ينادي « حسن ! » فاثنت حسن وقلبة يختنق لمنه وقع ذلك الصوت على آذنه ولاغر فانه صوت الحبيب . فلما سمعه أمسك زمام جمله ونظر إلى الشبح فإذا هو امرأة فحدتها قلبها منها سمية فوثب عن الجبل حتى وقف بين يديها وتنجي عيده الله وقد أخذ بزمام الجبل ونشغل باصلاح الرجل
اما حسن فانه نادى « سمية ! »

قالت « نعم ... ومن هذا الذي معك ؟ »

قال « هو خادم امين لا تخافي منه ... ما الذي جاء بك الى هذا المكان في هذا الليل ... سمية ؟ ... أنت سمية حقيقة ؟ ... ما الطف هنا اللئام وما اسعد هذه الساعة ... سمية ... حبيبي ... قولي ما بالله ؟ ... »

فتهدت واستندت كتفها إلى حائط هناك ونشغلت باصلاح ثيابها ولو استرت وأسخنها التور لرأى حسن وجهها يتدفق حياة وجاهه ولا درك أثار الوجل عليه ولكنها قابضه متنه والوقت ليل على انهم يمكن بطبع منها بأكثر من ذلك وقد كفاه أنها سمعت في ملاقاته وهو دليل الحب الشديد . وأول مانفتق إليه نفس الحب ان يتحقق مبادلة الحب مع حبيبه فإذا تحقق ذلك هان عليه كل شقاء . وما يهيب كل ما يشكوه أهل الفرام من العذاب والشقاء في الحب إلا الخوف من حب السوى أو فتور الحبيب — فارتاح حسن لما رأه من سعي سمية في ملاقاته ولكنه اوجس خيفة من سبب ذلك اعلمه بصراحة والدها وشدة سلطانه عليها فقال لها « اني لا أرى في هذه الدنيا أحداً اسعد مني الآن وقد بذلك الوضع في سبيل الحصول على هذه المقابلة فلم افرج عن انتي السعادة عنواناً فاخمسد الله . ولكنني اخاف ان يكون هذه المخاطرة سبب يسووك » فتجبرت سمية في ماذا تخيمه وماذا تتول له فلقيت صاحبته فارداد حسن فلما فتاك قولي « ما بالك قولي ... تكلي ... ألملك علمت بذهابي الى مكة فلقيت علي المفتر هناك ... »

فلم يمتنع لفظ المخابر من فيه اجاية والبكاء يهتف صوتها «نعم اخاف عليك وليس من مكمة فقط بل ...» وشرقت بالدموع فانقطع صوتها
 فانقطع قلب حسن ومد بين فأسنك انالمها وهي اول مرة تبص بها على تلك الانامل
 فانشعر بهذة واحس بحركة لا يعبر عنها الا بالجري الكهر يأتي وقال لها «بل ماذا؟ ...»
 قولي يا سمية ... يا مالكة قلبي ... هل تخافين علي؟ احدهما في هذه المدينة ايضاً؟ ...
 لا تخافي علي ... باسس طالما كنت انت لي ... قولي انت تخيفيني والبك لا تخفين سواي ولا
 اهالي بعد ذلك اذا كان اهل الارض اعداني ...»
 قالت «واذا كنت انا عدوتك؟»

فحمل منها ذلك محمل المزاح وقال لها «اذا كنت انت عدوتي فلا غرض لي في
 الحياة ... بالله قولي ما في نفسك ... من تخافين علي؟ ... فاريك دمه
 مسلوگاً ولو كان حولة جيش جرار ... قولي ...»
 فتهجدت ومسحت دموعها بطرف ثيابها وهي تقول «لا أريد ان ارى
 دمه مسلوگاً ...»

فتحجب وقال «وماذا اذا ... افصحي يا سمية ... يا مهني قولي ... من تخافين
 علي؟ فقد ناد صيري وطال تأخرى عن الخروج من المدينة ولي صديق يانتظرني
 في الخارج ... قولي ...»

قالت «اقول بعد ان التيس ملك العذر لاني اعدت قولي عقوبة لا ياتق بيهات
 الناس ... ولكنني اسرى حبك لا ارى لي راحة الا بك ...»
 فانقطع حسن كلامها وقد ادرك ما تربده فقال «قد فهمت ما تربدين ... انت
 تخافين علي من والدك ...»

قالت «نعم» واستغرقت في البكاء حتى كاد يغص عليها وكان هو لا يزال ممسكاً
 بسراها فاسنك يدها الاخرى وقال لها «ولامدا يهبني طالما كنت انت تخيفيني ...
 الا تخيفيني يا سمية؟ ...»

فضعدت الرفرات ولم تجتب فعلم انه جواب لا يجاب
 فقال «فاذا كنت تخيفيني وانا احلك فمن ذا يحول بيني وبينك؟ ...» وسكت
 برهة وقد عظم عليه الامر ثم قال «وما الذي دعا والدك الى يغضي والحق الاذى في وانا
 لم ارتكب لدبو منكرا ولا اسأت اليه في شيء ...»

قالت « ذنبي انك احسنت اليو ... او لم ذلك من سوء حظي ... مالنا وهذا ان الوقت لا يأنن بطول الشرح . فاخبرك ان والدي لا يريدك وآخاف ان يسعى في اذيفك وقد علمت ذلك على اثر خروجك من منزلنا ولم امتنع صرفاً عن اطلاعك على جلية الامر تكون على بصيرة ... »

قال « اما الحق الاذى في فاني لا اخافه باذن الله ولكنني اخاف ان يلحقني الاذى بك »

قالت « اماما فقد أظهرت له الطاعة والرضى ربها اراك ثم افعل ما تأمرني به » فاطرق حسن ثم قال « اما نا فاني مغلول اليدين بما أخذته على نفسى من امر السفر الى مكة عاجلاً في مهمة لرجل احبه وله عليٌ فضل كبير . وقد ادعوك للذهاب معي ولكنني سائر الى مكان محاط بالعدو وال الحرب فائقة فهو فلا اريد تعريفك لهذا الخطير ... »

فقطعت كلامه قائلة « وكيف تعرض نفسك للخطر ... ومكة اليوم في اضيق المصار واهلا في ضيق شديد ... باهلا الا عدل عن الذهاب ... ثم تعلم ما تريده »

قال « اما الذهاب فلا بد منه فاما كفى انت هنا واظهرى الطاعة حتى اعود ونرى ما يكون ... ولا اخاف يساساً ولا خطراً طالما كانت سمية لانجب سواي » ثم سمع جمعية الجبل فانبه للوقت وقال لها « وكت اود ان لا تنترق مني الا ان ولكن الفرورة لها احكام . فاني مرسل عبد الله معك الى مثلك لان الليل قد اظلم ولا آمن عليك المسير وحدك . فهل تسيرين الى بيت ابيك ؟ »

قالت « لا ولكنني اعود الى بيت سكينة لان ابي يعلم اني سرت اليها فاذا استبطأني سال عنى هناك فاعذر عن تاخرى وذلك خور من ان يراني عائنة الى البيت وحدي في هذا الليل ... ولكن كيف افارقك ... »

قال « تخديدي يا سمية ان ساري هذا لا بد منه ولكن آخر الاسئر باذن الله ثم نعود ونعيش معاً ... »

فلما قال ذلك بكت سمية حتى سمع حسن صوت بكائها فانتظر قليلاً وقاد بشاركتها بالبكاء . لولا انه اعظم البكاء . وهو في موقف الخطير ففجأه وقال لها « لا تبكي يا سمية بل انكلي على الله واعالي اني عائد اليك على عجل باذن الله ... » قال ذلك ونادى عبد الله

وقال له « أوصي سمية الى بيت سكينة والمحظى في الطريق المؤدي الى العنف فاني سابقك الى هناك ... فقد ابلاط على سليمان واخاف ان يكون قد سقطني او عاد الى منزله »

الفصل الرابع والعشرون

جمعة الجل

فشت سمية وهي تقول « سر بجراسة المولى نصر الله على اعدائك وحماك من كل آذية ». وكان حسن يسمع كلامها حتى توارت عنه فركب جملة وساقها الى باب المدينة ولم يكن متقدلاً فالثالثة يوم وبررة فلم ير سليمان فخرج وهو يمشي الموسينا وبصريح به فهو لملأ يسمع صوتاً وجعل يصدق بعيشه لعلة يرى احداً فسار والجمل دليلاً بين تلك المتنقفات . ولكن لم يسر طويلاً حتى سمع جماعة جمل عن بعد فجتمع جملة فامتنقفة وأصبح يسمعه وحول الزمام الى جهة المدحوت وساق الجمل سوقاً يطريقاً فمضى بدن الخروف والظلام سادل ستاره والسكوت سائد لا يسمع فيه صوت . وكان الجمل هيباً لذلك المدحور فسكت ايضاً فلم يكن يسمع غير ونع خناقه على العشب او العابرين

ونعد قليل سمع حسن صوت بكاء وابين فوقف واصغى فسمع الصوت عيناً وعرف جهته وخف اذا سار بالجمل ان يجمع ابريل فيوش الصوت فنزل عليه وعقله وشد الى خلة ومنى على قدميه وهو يجلس الارض خائفاً ان يخوض في الاحوال حتى تخول عن الطريق الاصلي الى ساحة لا تخلي فيها ولا عشب فرأى جلاً معتولاً وشجاً متهدداً الى جانب وفوق رأس الشيخ شبح آخر يبكي ويتحبب . فاخته حسن في منعطف بحيث يرى ويسمع ولا يراه احد فسمع صوتاً ياتول « يا لتعاسي وشقائي ... لند فشك بك يا ولدي وفللة كبدك ... اظانني استوجب هذا النهاص . ولما انت فما ذنبي ... ؟ تباً لي ما انتس حظي ... ولدي حبيبي كلثمي يا سليمان ... سليمان ... سليمان ! ... »

فلم يسمع حسن ذكر سليمان علم انه صدقة فاقشعر بدنه لثلا يكون قد اصابه موه اسبابه فهض ومنى وبه على قبة سبونه حتى اقبل على الشبعين ولم يتبه له احد

ثم مع الشيخ الرائد يقول بصوت ضعيف « لا يخزن يا أبي فلذ ذهبت فداء
صديق لي هو أحق بالحياة مي »
فقال الآخر « أظلك ذهبت بذنب هذا الشيء لأنهم يف شهاده ... عاهدت
الله على الصرعة للحسين وإنما نافثة في سيلو وجعلت نسي في عداد النهايين ثم رجمت خدمة
هؤلاء الضفاعة ... وكثيراً ما رأيتك غير راض بذلك مي وإنما لا أصفي لك حتى ضراري
الله هذه الفربة على قلبي ... »

تفحى حسن أن الرائد سليمان فإنه في ضيق فلم ينالك عن الصباح « سليمان ... ! »
فاجفل الرجل الحال وحسب الجن خاطئه فوقف الحال وقال « أني أنت أنت أنت
جي ... ! » وكان الرجل كهلاً في نحو السنتين من عمر والتهب قد جلل رأسه وهو
طوبى اللامة دقق العضل فصبر الحبة صدر العائمة — ولم يتم الرجل - والله حتى كان حسن
يدين بيده وقد أكب على سليمان وهو رائد على ظهوره وفوقه القبا، وقد تطلع بالدم
فتنسر بيء عينيه فإذا هو ينبعها دمًا ضعيفاً وبنالم فامسكته حسن بيده وقال له
« سليمان ! أخي سليمان ! ... »

وكان لذلك الصوت وقع عظيم على اذني ذلك الجريح ففتح عينيه وصاح « حسن
حيبي حسن ! ... اشكر الله الذي تحملت الموت عنك ... »
ولم يدل سليمان بذلك حتى تقدم الرجل الآخر ونادي « حسن ! أنت حسن ! ...
يا الله ما هذه المحبة التي وقعت بها من اجلك ... ولكن الذنب ليس ذنبك وإنما
هو ذنبي أنا الشيء العيس ... »

الفصل الخامس والعشرون

العلاج

فعلم حسن لحال ان الكهل والد سليمان بإدرك انه كان يترصد فاصاب سليمان
خطلاً . فاهم حسن اولاً في حياة سليمان محاول افعاده وقال لا يبو « الي بالماء » ثماء
 بشيء منه من مسنفع قرب فرش سليمان به وحصل مكان الجريح في أعلى الصدر وكان
قد اصيب ببلة استخرجها أبوه له . وكان حسن قد تعلم بعض الوسائل الطبية من معاشرة

خالد بن يزيد الاموي في دمشق . لأن خالداً كان شديد التعلي بالعلوم الفيقيها حتى فاق بها سائر فريش وكان صيراً بحصنه الكبيرة ، والطلب متناسباً لها والتف بذلك الكتب والرسائل وقد أخذ العلم عن راهب امامة بانس ^{١١١} ولم يكن مجلس خالد في دمشق يخلو من أهل العلم وكان حسن بن حاتم ويسعى أقوافهم واستفاد بعض القائمة . فلما غسل جرح سليمان ضفت على الجرح بانامله وامر أبا سليمان بابناد اذار فلوقدهما بالزناد حتى تكون الرماد فاخذ بعضه وذرره فوق الجرح وربطه ثم سأله عن ماء الشرب فقال الرجل « ليس ماء قرية »

قال « حسن اسد صدر لا تدرك بعض الماء من قرني » قال ذلك ويفهم تمثيل خلو الخلة التي عزل جنة عدنها فلم يجد الجمل هناك فصار صواباً لأن كتاب خالد بن يزيد في حسب الرجل ثواب العمل خيراً هناك حرصاً عليه من راصد او قاش فضلاً عن ان الجمل عزيز عنده وعليه عدته وبيانه ولاته وكل شيء . فلما افتدى على تلك الصورة بفتح ولكله لم يضع فرصة فنظر في آثار العمل فوجد العمال خطولاً حلاً لا يدل على عطف فصادر الى ذهنه ائمه لم يعتنوا عقولاً . حيثما فاحصل العمال واطلق سراح الجمل ففر . فجعل يذكر في الطريق الذي يمكن للجمل ان يسرر فهو فلاح له الماء يطلب المراعي

فتشى حسن يطلب الجمل وقلبه مضطرب وهو خائف لانه غريب في تلك البلاد . وبعد مسيرة مرأة وقف ونظر الى ما حوله من الفياض والساين والذلال حالم ذلك فحين له ظلل يتراءأ بين التغليس امامه فتبرس جيداً واصفي بسمعه قصيم شغور جمل فطلب المكان فرأى ذلك الشبح ينبع عنة فصار في اثره وهو يعبر بالاعجاب والاجبار ونظر شاهق الى جهة الشبح لا يالي هل هو يسر على شوك او يخوض في بحر لزط قلبي ولو اتيح له ان يرى وجهه برأة في تلك الساعة ارأى عبيوه مملائدين متسمين وراجعيه مرتقين حتى لغشت جهنه كأنه يربد ان يلتقط ذلك الشبح بعينيه . وما زال يعني والشبح يعني امامه حتى خرجا من بين التجليل الى الللاء . فتبرس حسن بالشبح من وراء الاشق فإذا هو جملة يهوى فصار في اثره وكان الجمل أحبل من شيء فجعل يجر طرداداً وقد مد عنقه وبسطاً قيائمه ورفع ذيله وحسن يهجه على غير هدى من الطريق وينادي بكل أدوات الرجر والجمل لا يزيد اداً هروباً حتى نوارى عن بهبه وراء

بعض الليل . فضل حسن سائرًا بقاعة الاستقرار مدفوعاً برغبته في النبض على الجبل
حرقاً على ما يحمله من الأدوات التسبيحة

الفصل السادس والعشرون

وادي القرى

وفيا هو برّكش وبليث اذا هو بشيخ بشي وعليه لباس الرعاء عاري الرأس
وقد غرس عصاء في قنطرة طوقه وعليه عامة فصيرة وخشنوة البداؤة بادية في وجهه
مع شدة الظلام . فناداه حسن « يا أخا العرب هل رأيت بغيراً راكضاً من هنا ؟ .. »
وما ألم حسن سؤاله حتى اسرع الرجل اليه واسكناه بذراعه وضغط عليه وأشار
بيده فوجئ ان « اسكت وانتظر » فالثالثت حسن الى ما حوله فرأى شجرة كبيرة على
اكيه والشيخ ينظر الى الشجرة ورأى هناك ظلاً يغرك فقال له حسن « ما شأنك ؟ ..
آخرني »

قال لقد اتفق لي حادث غريب في هذا اليوم مع رجل الغيت به ولم اعرفه
فإذا اصفيت لي فقصصت الخبر عليك على عجل ثم نذهب ونسقطلع بيته معاً عند تلك
الشجرة »

قال حسن « ولكن اخبرني قوله كل شيء هل رأيت جلاً راكضاً من هنا ؟ .. »
قال « نعم رأيته وإنذنه طلب هذا الوادي ولا تخف عليه فاني خاصم استرجاعه
لاني أعرف رجال هذا الجي وهم يعروفونى فالي لا نزال سارحة هناك ولا خوف عليها
باذن الله »

قال حسن « واي واد هو ؟ .. »

قال « هو وادي القرى »

قال حسن « ليس هو مقام بني عزرة المعروفة بشدة عشقهم وعشقهم » ^(١)

قال « على وهو بعيتو .. وإلحادث الذي جرى في اليوم يكشف لنا عن حقيقة
ما تسمى به هؤلا ، اعرفي سمعك لاقص عليك الخبر .. »

قال حسن إلى ساجع الحديث وأهل الفرام ييلون إلى حوادث الفرام
قال الرجل :

ففيت في هذه الأودية معظم فصل الربيع وإنما أدرى إني لجأة في في أصول هذا البو
رجل طوبيل الشامة مطلع على رجله كأنه جان قسلم على ثم قال «من أنت يا عبد الله»
فقلت «أحد بي حضرة» قال «فانسِب» فاتَّهَتْ حتى بلغت إلى مخزني الذي
أنا منه ثم سأله عن بي عذرا ابن زلوا فقلت له «هل ترى ذلك السمع فاتهم
زلوا من وراثو» قال «يا أخي بي حضرة هل لك بغير تصطمعة إلى فواش لو
اعطيني ما صحيت نسوق من هذه الأليل ما كستْ بأشكُرْ مي لك عليه» فقلت «نم
ومن أنت أولاً» قال «لأسألَّي من أنا ولا أخبرك غيري في رجل بيبي وبين هؤلاء
ال القوم ما يكون بين بي التم فان رأيت ان تأتهم فالمك خجد القوم في مجلسهم فتندم -
بكراً أدماه تخرّ خنها عدلاً من السمة - فان ذكرها المك شهداً بذلك ولا استاذهم في
البيوت وقل ان المرأة والصبي قدبر بان ما لا يرى الرجال . فإذا اذنوا المك ادخل بين
البيوت واشد اهلها حتى لا تدع أحداً تصيبة عينك ولا يهنا من يومهم الا اشتدت
ذلك فيو» - قال الشيخ - فأتيتَ القوم فادام على جزور يقتصوهما فسلمت واغتبت
هم ونشتم خالي . فلم يذكرني بي شيئاً فاستاذهم في البيوت وقلت ان الصبي والمرأة
يريان ما لا ترى الرجال . فأذعوا - فأتيت اصحابها يهنا ثم استقر بها يهنا بينما اشتد
هلاك دكرون شيئاً . حتى اذا اتصف الهبار وآذاني حر الشمس واعطشت وفرغت من
البيوت وذهبت لأنصرف حانت في العاشرة فإذا بالثلاثة ايات فقلت في نسي «ما بعد
هولاً الا ما عند غيرهم» ثم قلت لنسي «سواء .. وشق في رجل وزعم ان حاجته تعدل
كل ما لي ثم آتاهو خاقول عجزت عن ثلاثة ايات؟» فانصرفت عاصداً إلى أعظمها
يهناً فإذا هو قد أرخي موخره ومقدمة فسلمت فردوا على السلام . وذكرت خالي
فقالت جارية منهم «يا عبد الله قد أصبت خالك وما أظلك الا قد أشتد عينك المحر
واشهمت التراب» قلت «اجعل» قالت «ادخل» فدخلت فأتنى بصفة فيها نهر من
ترهيز وقدح فهو لعن والصفحة مصرية متفضاً واللداح لم أر أنها قط احسن منه . فقالت
«دونك» فاكثت التبر وشربت من اللذن حتى رویت . ثم قلت «يا أمة الله يا الله
ما أتيت اليوم أكرم منك ولا أحق بالفضل فهل ذكرت من خالي شيئاً» قالت
«هل ترى هذه الشجرة فوق الشرف» قلت «نعم» قالت «فإن الشخص غربت أمّن

وفي تعريف حوصلة حوال الليل «بأبي وبهابا» فظننتني فهمت مرادها ففهمت وجزيهم الخير
وقلت «ولألا تندنني وروبيت» فخرجت حتى أتيت هذه الشجرة فأطلقت بها فوانس
ما رأيت أثراً فأتت صاحبى فإذا هو منش في الأبل سكانى ورائع عنبرته يغنى
قلت «السلام عليك» قال «وعليك السلام ماوراءك» قلت «ماورائي من شيء»
قال «لا عليك فأخبرني بما فهمت» فاقفظت على النصوة حتى انتهيت إلى ذكر المرأة
وآخرها بالذى صنعت فقال «قد أصبت طلبتك» فجهيت من قوله وإنما لم أجده شيئاً ثم
سألت عن صفة الآباءين والصلوة والتداوى فوضفتها له فتشس الصدقة، وقال «قد أصبت
طلبتك وبعك» ثم ذكرت لها الشجرة ليهانها بعافها فقال «حمسك» ففهمت أنها
ضررت لها موعداً للقاء، عند هذه الشجرة بعد الغروب - فمكانت حتى إذا آتت إلى الماء
باركيها دعونة إلى العشاء فلم يدن منها وجلس معي يزجر الكتاب - فلما طعن في
قد نعمت زمرة قمام إلى عيبة له فاستخرج منها برد بن فائزه بأحدتها وزردي بالآخر
ثم انطلق عاملداً نحو الشجرة^{١١} وهو الذي زراء جالساً هناك بقرب جزع الشجرة وسرى
ما يكون من اجتماع الحيوان - «أنهى كلام الشيخ



الفصل الرابع والعشرون

الموى العذرى

ثم أمسك الشيخ حسناً به وشن نحو الأرض فلمس وجنس الرجل بين ثياراته وأشار
اليه بدون أن يتكلم فرأى شهقاً صاعداً من الوادي وعليه لباس النساء، وعنة شبع آخر -
فقال الرائي «هذا هي الفتاة خادمة ومعها خادمتها» واختفى لبرى ما يكون
فانيطضاً وخداعياً افترى من الشجرة واختفى في مكان محبت بر بستان الائتين وبسماعان
ما يدور بينها

واول ما وصلت الفتاة إلى المثلث كان الشاب في انتظارها على مثل الجمر فلو كانت
الليلة مفروضة أو كان الوقت بهاراً اظهر على وجه الشاب ملامح لا يخفي وجه العائق منها
ولو كان على غير موعد من الحبيب - فكيف وهو على مثل ذلك الموعد - فاقبضت الفتاة

وخدعها فوقت لها الشاب وتقديم لفقاتها وهو يحسب نفسه في خلاه وظلماء وقد كان قلبه حمن في اثناه ذلك يضرب ضربات متواترة مخافة ان يرى من الحبيبين ما ينجلط او يهجي غيره فندم على أصفانه للشيخ الراى لما في ذلك من اختلاس اسرار الناس وهوامر مذكر . على انا أحسن يبل شديد لاستهلاع ما يدور بين هذين . واستهلاع مثل هذه الاسرار ما تبقى الي النفس . ولليل الى ذلك عام في الناس على اختلاف طبقاتهم وان تناولوا في احترام تلك الاسرار والاغضاء عن استهلاعها عملاً بالآداب العامة وملقى الحبيبين على هذه الصورة ثليل النفس الى رؤوسه وخصوصاً عند اهل الفرام فلا عجب اذا اخذوا قلب حسن واصطبكت ركباه وافصرع بدنـه . ولم يكن بهم ذلك الا شر لا توقفه امرأ يخاف ان يراه ولا يرد ان ينونـه . ولكنـ ما المـش اـن رأـيـ الرجل وافتـهـ لـردـ التـجـةـ حقـ عـرـفـ منـ طـولـ قـامـهـ وـغـدـ صـوـتهـ الـجـيلـ الـذـيـ رـأـهـ فيـ اـصـيـلـ ذـلـكـ الـوـمـ فيـ مـوـلـسـ سـكـنـةـ . فـخـفـقـ حـسـنـ جـيـلـ اـنـ النـشـاةـ مـعـشـوقـةـ بـنـيـةـ لـانـ كـبـيرـ اـمـاـ كـانـ يـسـعـ هـاـ بـهـاـ مـنـ اـحـادـيـتـ الغـرامـ وـكـيـفـ مـنـهـ اـهـلـهـ مـاـهـاـ وـهـوـ لـازـلـ بـهـاـ حـبـاـ مـفـرـطاـ وـهـيـ نـجـبةـ . وـكـانـ حـسـنـ مـنـ الجـهـةـ الـآخـرـ يـسـعـ بـحـبـ هـيـ غـزـرـ وـعـنـانـ وـأـكـثـرـ لـمـ يـكـنـ يـصـدـقـ اـنـ مـذـلـ ذـلـكـ الـمـلـقـيـ فـذـلـكـ الـخـلاـهـ عـلـيـ غـنـيـةـ مـنـ الرـقـبـ . يـتـصـرـ بـهـنـ ذـيـكـ الـحـبـيـبـ عـلـيـ النـفـاءـ التـجـةـ

وكانت النـيـةـ مـنـهـ جـلـستـ عـلـىـ حـجـرـ وـجـلـسـ حـيـلـ عـلـىـ حـجـرـ لـاـ هـسـ نـوـبـاـ نـوـبـاـ وـلـاـ بـدـهاـ . جـلـداـ مـتـنـاـبـلـينـ يـنـظـارـ اـحـدـهـاـ اـلـىـ الـآخـرـ وـلـاـ يـنـوـهـ بـكـلـمـةـ خـارـجـةـ عـنـ حدـودـ المـعـانـيـ وـالـشـائـكـيـ لاـ يـتـوـلـانـ خـتـاـنـاـ وـلـاـ هـبـرـاـ . فـاسـتـهـبـ حـسـنـ مـاـ رـأـهـ مـنـ الـعـلـةـ الصـادـقـةـ تمـ سـعـيـهـ الـنـيـةـ تـجـاهـيـ خـادـمـهـ وـكـانـ الـخـادـمـ فـيـ خـتـاـنـاـ بـهـدـعـهـاـ . نـجـاتـ وـهـيـ خـيـلـ قـصـعـةـ مـنـ الغـنـامـ . فـجـلـساـ بـاـ كـلـاـنـ وـيـخـادـمـانـ فـلـاـ فـرـغـاـ مـنـ الـقـاعـامـ قـالـتـ بـنـيـةـ «ـ بـلـغـيـ اـنـكـ نـظـيـتـ فـيـ اـشـعـارـ اـهـلـ تـحـفيـ بـاـ حـيـلـ ؟ـ »

قال «ـ لـاـ أـرـىـ فـيـ لـغـةـ الـشـرـ لـفـاظـ يـعـرـ عـاـيـ فـيـ قـلـيـ خـوـكـ . فـإـنـ اـعـظـمـ مـنـ الـحـبـ وـاـشـدـ مـنـ الغـرامـ وـارـقـ مـنـ الصـادـةـ لـاـ دـرـيـ مـاـ هـوـ بـاـشـيـةـ . فـإـذـاـ اـكـتـبـتـ بـدـعـاـتـ وـحـيـاـ فـيـ لـاـرـاءـ بـوـدـيـ مـاـ فـيـ قـلـيـ ...ـ »

قالت «ـ وـكـيـفـ اـذـاـ ؟ـ »

قال «ـ لـاـ دـرـيـ يـاحـبـيـ ...ـ لـاـ دـرـيـ كـيـفـ هـوـ وـلـاـ مـاـ هـوـ »ـ ثمـ صـمـدـ الرـفـرـاتـ وـقـالـ «ـ وـلـاـ اـعـلـمـ اـنـكـ حـسـبـ عـيـنـيـ اـيـهاـ سـرـتـ وـحـيـاـ جـلـستـ وـكـيـنـاـ نـظـرتـ ...ـ اـنـ بـنـيـةـ اـمـامـ

عني ارها جمأً واشحأً وما عدتها من الناس اتساح او اذلال . ولم يذكر اسمها بون
يدني الا اضطررت جوارحي واقشعر بدني وخنق قلبي ولا أرى في راحة الا بالبكاء . كان
الذوق نار والدموع ماء يطئه — حتى قات
خليبي فيها عندها هسل رأينا فتيلًا يك من حب فانلو قلبي

الفصل الثامن والعشرون

— جبيل وبشدة —

قالت بشدة « اذا كنتم انت كذلك فكيف انا ... ؟ ولكن جس الساء محكم عليه بالتعب والنفاه فلا تقدر الواحدة منا على ستر شكوكها الى احد لا يعلم عرضها . واما انت بعمر الرجال فذكركم الحريمة في ذلك ... وانت تزعم المك غبي حما تقول المك لاندرى مقداره . فمن يبلغ حما الى هذا الحد كيف يغير حبيه ولا يسأل عنه . ثم اني لا اعلم ما تسمى او تقوله في اثناء هذا الغواب الطويل . ولا ادرى اين موقع بشدة ما يقع بصرك عليه من الناس » قالت ذلك بغم الدلال فازداد جبيل هماماً وقال لها

اني لا حظت غبىتم وبرفي اذ ذكرت بين بصالح ان نذكري ويكون يوم لا ارى المك مرسلأ او شفقي فهو على كشهر يا لبني التي المدينة بشدة ان كان يوم القاتكم لم ينذر لا تخسي اني هجريتك طائماً حدث اعمرك رانع اني هجري هوك ما خشت التواد فان امت ينبع صدائي صداك بين الافير فما بالك بشدة عد سعادها قوله عن السكوت وفدي غصت بريتها ثم قالت « وهل امت ناظم هذين البدلين ؟ ...

الآ ليت شعرى هل ابيتن لبله بوادي النرى اني اذا امعيد وهل الذين فرداً بشدة مرأة تجود لها من ودها وتجود »

قال « نعم »

قالت « وما الذي ترجو ان تجود به وتخون بتوعدة ؟ »

قال «لا اطمع منك بغير الحديث والنظر ولو كان من وراء ثواب ... على حد قول النائل

لا والذى يتجدد الجباء له ما لي بها تحت نوبيها خير
ولا بغبها ولا هممت بها ما كان الاً الحديث والنظر^(١)
فأطرقت بثنية بخلان ثم قالت « ذلك عهدهما جبيل ولو لا ذلك ما رأيته انى
البك وحدى »

فلا تحمل عن استغراب حسن والرأي ما رأياه حتى احتر حسن تهمة لامة لم يكن
يفطن اذا التي سمعة انه يستغطى ما استطاعه جبيل

فعني جبيل وثنية ساعة في مثل ذلك تم هضت في فودعنة احسن او داع فودعها
مثل وداعها واصرف كل منها الى تاحية وكل منها يحيى خطوة تم يادمت الى صاحبها^(٢)
فلم توار باهض حسن من بين الاعتاب وهو مدحهش وقال الرجل « لند شاهدت
منظاراً طالما نافت نعمي لما دعوتني سمعت منك من كل ضعف النساء دفعه
الطبع ... ان العفة يا ابا العرب ما في النسائل خير منها »

فقال الشيخ وهو يفر عصاه على عياده لتفق التراب عنها « كيف لا وقد سمعت
ان عباس رضي الله عنه بنول قال رسول الله (صلعم) من عشق ففت فات فهو
شهيد » وقال اياها « عقولنا تلف نساواكم »^(٣)

فقال حسن « صدق رسول الله ولذلك فان في عذرة كلام شهداء فقد بلغني مثل
ذلك عن كثبر من عذائهم ولكنني لم اكن اصدق حتى رأيت ذلك راي العين »

ثم انبه حسن لما هو فهو من ضياع الجميل وحال صدقيو سليمان من المخرج والام

فقال لزارعي « اين الجميل يا ابا العرب فقد وعدتني باحضاره »

قال « ترخيص في هاربها آتيلك بـ » قال ذلك ومحول حتى المخدر في الوادي
وبعد قليل توارى عن النظر وظل صوت الاتجاه اذ محرجة على اثر وقع قدميه ببرقة ثم
استولى السكون مجلس حسن تحت الشجرة ولبس ينتظر عود الشيخ وقد استوحش المكان

فهي جبل وثنية بخلان ثم قالت

الفصل التاسع والعشرون

ـ المقيق ـ

ولما خلا حسن بنسو تحت تلك الشجرة جالت به هواجنه في عالم الخيال فانتقل فكره ما شاهده في ذلك المساء إلى سيبة وحاله معها . فتذكّر خادمة عباده وناخر ثم انتقل إلى سليمان وأبو وعاد إلى الجبل وعليه كتاب خالد فرأى أنه أهل الحصّ عنه يترصدو هناك لمشاهدة ملتقى ذيتك الحبيرين . ولكنه علم أنه إنما فعل ذلك بالرغم عنه ولو لم يطع الشيخ الراعي بالترخيص وظال على مسيرة في ذلك البَلْ لما وجد إلى جمله سبيلاً لأنَّه يجيءُ
ذلك النَّجَاع ولا يعرف طرقها

وفيما هو يذكر في ذلك والظلام حالت لا يرى على الأكاك والأودية المفروضة بـ «الآ»
أظللاً ضعيفة سمع خربشة بين الأعداب فوقف يفتنه ثم اتبه إلى أنها خربشة ضب سارح
فلم يلتفت اليه . ولكنَّه خال وانفأ وقد ترايد قلقلاً لنَّا خَر الراعي وود اللحاق به ولكنَّه خاف
أن يختلط في الطريق فيكون ضياعة الثاني شرًّا من الأول

ولما طال انتظاره ملَّ الوقوف هناك فتشى على غير هدى وهو لا يخاف الفباء لأن
الشجرة تهدِّي إلى المكان ولو عن بعد . وجعل مسيرة إلى جهة الوادي الذي سار اليه الراعي
في آخر الجبل وهو يتوقع إما أن يلتقي بالشيخ وهو عائد أو يسمع جموعة الجبل عن بعد أو
يعود إلى مكانه . ولذلك فإنه كان كلما مشيَّ بعض خطواته التفت إلى الشجرة مخافةً أن
يشوارى عن بصيره وراء بعض الدلال فتشى مسافة طويلة لم يسمع في أشجارها صوتاً ولا رأى
 شيئاً . ثم نسي أمر الشجرة فانحدر في الوادي وهو يتسلق الأرض ولا يرى الطريق . فنادره
كانت تزلق رجلاً وطوراً ترتعض أصابعه من فوق التلال باصول الاعشاب الباقية بعد
المراعي وهو بين أن يحملق نحو الوادي يعنيه أو يصبح ياذبه أو يترس في الطريق بين
يديه . فلما طال به المسير ولم يهند إلى شيء ندم لنزوله من مكانه

وبعد مسيرة طويل على تلك الصورة سمع نباح كلاب في الوادي فالفتت إلى جهة
الصوت فرأى نوراً ضئيلاً فثار الصوت فإذا به يتعاظم كلما اقترب حسن من التور فعلم
أنه على مقربة من بعض قرى ذلك الوادي لأنَّ وادي القرى فيه قرى كثيرة^(١) منتشرة

في بطن وعلی جانبيه . ولکنه استغرب الناح في الليل لعله أن ذلك لا يكون الا اذا طرق
الحي غاز او لص . فوقف لستريح وبذكر في امنع فالنفث الى ما يحيط به فإذا هو في واد
بين حلين والظلام حلال . وللمكان موطن ولكنك انس بتلك النار على بعدها قتلوا
خوها وإذا هو يشح بعدو صاعداً من الوادي كله غزال نافر . فلما استغرب منه علم انما
الراعي واستغرب بمحنة وحدث فصاح فيه « ما وراءك يا اخا العرب . ؟ ابن الجمل »
فت قال « ما الذي جاء بك الى هذا المكان ؟ »

قال « جاءني على الجمل وإنما كما قلت لك في عجلة لأسباب هامة »
قال « وما العائدة من العذارك في هذا الوادي والليل دامس وانت لا تعرف
الطريق وقد تعرضت للخطر بغرورك هذا الذي ليلاً فان الكلاب أعيثت لك ونعت
واما انا عن الكلاب التي لكثرة تردادي الى هذه القرى . . . »

فقطفع حسن كلامه قائلاً « ما لما وظفنا في ابن الجمل . . . »
قال « لم اعتذر عليه في المكان الذي كتب اخطئ فيه والظاهر انه قد مات آخر
وقد كتب ذاتياً للبعث عنه في العقيق بحوار المدينة بدون ان اطلعك على الامر »
فاستعاد حسن يامله وقال « يامله ما هي المصيبة . . . »

فابتدره الراعي قائلاً « لا يخف ياسيدى ان الجمل لا يضع ولو عاب عنك طويلاً
فإن اهل البادية يرسلون ايام للرجى وقد لا يروها اياماً ثم تعود ببندهما او يعود بها
غلام او فتاة . وقد كان ذلك شائعاً في زمان الجاهليه وكيف ونحن الان في ظل الاسلام .
ولما اشت معاهراً اهل المدن فان الرجل سكم اذا خليل عن عامي وحاف اختلطناها . . .
فهل حمن من جدال الراعي فت قال له « ما لما وظفنا الجمال ابن الجمل وكيف
السيء اليه ؟ »

فت قال « يغلب على ظني انه سار الى العقيق وهو ما لا يخرج اهل المدينة اليه فينبئون
عن ساعات او اياماً في خيام يحملونها معهم وربما ذبحوا الذبايح وأدوا الولائم . . . »
فقطفع حسن كلامه قائلاً « فهمت تم ماذا . . . »

قال « فالعقلق مجتمع اهل الرخاء من البشر بينن وهو بذلك في ايام الشباب فقد
كان العقيق موعدنا للقاء بنساء المدينة . . . لا تغتصب ياسيدى اتنا سايرون الا
جنوبياً نحو المدينة والعنيق في طرق بنا اليها . . . »

الفصل السادس

— قيافة الآخر —

فاستغرب حسن بعث عن المدينة من جهة الشمال وعلم انه صار على مسافة بعيدة من المكان الذي ترك سليمان وإياه فيه قفال الشيخ « هلم بما اذا » فتشا والراغي مع شقيقه اسرع عدواً من حسن لانه تعود المثل في الوعر . أما حسن فلما صدر من ذلك الوادي الفت الى الماء وتبين الكلواكب فعلم انه في اواخر الليل فبقيت لفباع الوقت وهو لم يعمل علاً بعد وتشاءم ما تأقى له في ذلك الماء وهو انما امسك عن رؤية حبيبه رغبة في المسير الى مكانه على عمل فكيف بعد قضاء كل الليل في الماء والنفق يعود الى الوراء فضى منه وهو سائر في اثر الراغي على ارض اكثراها من الرمال وبعضاً رطباً يا يرشح فيه من الماء وفcken تائه في امثال هذه المواقع حتى رأى نجم الصبح قد طلع فعلم ان الغير دنام رأى الراغي وقف وأشار اليه قائلاً « لا ترى الماء امامنا عن بعد . » قال « اني ارى سخفاً لاماً وكأنّي ارى في سواه اخرى من انعكاس انوار الكلواكب »

ولما رأى حسن الماء شعر بالشراح الصدر واستبشر بلوغ انبئه وجعل يتذمر في ضيق ذلك الماء لعلة بري انما او جحلاً فلم ير شيئاً ثم سمع الراغي يقول « ما انت على ضيق العتيق ولا نرى فيه احداً سوى آثار اناس كانوا هنا ورحلوا في اواخر الليل فاقعد على هذا الحجر واغسل رجليك في هذا الماء واستريح ربنا آتيك بالخير » قال « دعني امير معلمك »

قال « لا ... امك عدك واشل رجليك وانا اعود اليك على عمل فاني لا اخفي الامر حتى اطوف حول هذا الماء . فلا حاجة الى مدرك معي فقد تعبت ولو كت في عنفوان الشياط لان اهل المدن لا يقوون على المدير مثنا » قال ذلك بالغ العباءة وسار حسن بجهة ينظر حتى توارى . فعاد حسن الى « حاجه » ولكنه ما لبث ان سمع الشیخ يناديه فهمض واسرع حتى اقبل عليه فذاه هو وائف تحت شجرة ميسحلة الا غصان وند قيس بيت على ثني « وهو يقول « متى خرجت من المدينة ؟ »

قال حسن « نحو الفروب »

قال « هل اضطرت الجمل قبل خروجك »

فخbir حسن « اذا يحب لانه وكل امر الجمل الى خادمه فقال « اغلن الخادم الملعنة » فسيط الشوخ ينهى وادا فيها ابعار فقال « ان هن الابعارات الجمل من جمال المدينة جاء وحده الى هذا المكان من ملة قصورة ورجع »

فاستغرب حسن حكمه في الامر شيئاً وقال « وكيف عرف ذلك ؟ »

قال « عرفته من هذه الاوساخ فان فيها التوى وهو علانق جمال المدينة لأن التوى كبير عندم . ويظهر من فمه جانها انها وضعت من عهد فریب . ولم ار واشمها بالطبع انة عاد »

فوجد حسن كلاماً مغنولاً ولكنه لم يتسع ان الجمل الذي يشير اليه هو جملة اذ لا يبعد ان يكون جمل اناس آخرين فقال له « وما الذي يبيتك انه جمل وليس من جمال اناس مررت بهذا المكان الليلة »

ففتح حسن الشیغ وقال « لو كانت اتعار جمال كثيرة لرأيناها اصنافاً والوايا . وإنما سللت اهنا جمل واحد قلت لك ان هذا الجمل لم يتم هنا الاً قليلاً . واي جمل من جمال اهل المدينة يخرج الى هذا المكان بعد منتصف الليل الاً ان يكون فارماً مثل جملك ؟ »

فأعجب حسن بساعة اهل البادية وذكر اشتهراتم بقيافة الاثر ولكن ما زال مشككاً في ان يكون ذلك الجمل جملة فقال « لا أرى مائعاً من ان بعض اهل المدينة خرج الليلة على جملو يلمس بعض الاجها . فتر بالعنق ليشرب او يسقي جملة او يستريح »

قال « قد يكون ذلك ولكن في غير ما اراه من حال هذا المكان . لاني لا ارى على الارض آثار خطى الادميين . . . »

فقطلع حسن كلاماً وقال وهو يظن نسأله « الظاهر ان الراكب لم ينزل عن جمله وإنما وقف بوربه اشرب ثم ساقه »

قال « لا يمكن للجمل ان يقف تحت هذه الاغصان المدببة وعليه راكب لاهما تس ظهر اجمل بانبهالها والختالها وليس عليه احد »

قال حسن « وربما يرك الجمل »

قال « لوفعل الشاهد بما آثار رکو . . . فما الجمل الذي مرّ من هنا الاً جملك وادا

صبرت هنهة أربتك الطريق الذي سار فيه فهو عليك طلبة «
 قال » وكيف ذلك « وكان البحر قد لاح وتبعت الأرض جيداً فنظر حسن إلى
 ما حوله ورائع ما قاله الشيخ فترجع لديه قوله وتحقق ما كان يسمعه عن مهارة أهل
 البداية في قيافة الاشراف فلم يلوي ما ينعمله الشيخ فإذا هو قد منى خطوات قليلة ثم قال
 « انظر إلى هذه المخطى فإنها آثار خناق جعل يمدو عدوه أسريعاً كأنه يسير طرadaً - بذلك
 على ذلك عمنها وعدم انتظامها . . . ويفتهر لي أن الجمل عاد إلى المدينة »

الفصل الخامس والثلاثون

﴿ وَجَدَنَاهُ ضَائِعًا ﴾

فالتفت حسن إلى يساره وقد بان الصبح فإذا هو مشرف على المدينة عن بعد ولا يرى
 بدأ من الذهاب إليها . فذكر حبيبة فيها ولتكن عاد إلى الافتخار في أمر الجمل فقال
 « ألي لا تستغرب ما رأيته اليوم من جمل و لم يكن عديو مثل ذلك من قبل »
 قال « للحال طبائع غريبة وقد يكون الجمل هادئاً ساكناً فلا تراء إلا وقد دلق
 لسانه فارغى فاز بدوارك إلى الترار كأنه أصيب بجهة وقد يصبه ذلك على اثر خوف
 أو رعب أو نعف أو جوع . وبما يكن من الأمر فاطلب جملك في المدينة . وأما أنا
 فاني استاذك في العود إلى ما شبقني عفاقة ان يكون قد أصاب اليه ما أصاب جملك
 وهي وحدها هناك الأعلام وأمة تركتها لحراستها »

فاثنى حسن على الشيخ وودعه وسار يائس المدينة وقد انهكه النعف والثاقب
 وأحس بالجوع ونشام ما انتق له فعول على ان يسررنـا إلى المسجد للصلوة والذيرك
 ثم يبحث عن الجمل . ثم تذكر حديث سليمان عليه وما فيه من الاشارة إلى الثنك بو ف قال
 إلى استطلاع سرأني سليمان قبل دخول المدينة ثلا يكون فيه ما يمنعه من دخولها . فصار
 يائس المكان الذي تركها فيه بالامس . فاستدرى عن آفة قرب سور المدينة فرأى
 قرب المستنقعات شيئاً كالجمل البارك ثم ما لبث ان سمع جماعة فأسرع حتى دنا من
 الجمل فإذا هو جملة يعيو وقد وقع عند حافة المستنقع وكسر لخدن ولم بعد يستطيع التهوض

ولكثرة رأه عارياً لا رحل على ظهيره ولا خطام في رأس فشك في ان يكون جملة بعبو وظنا
جلا آخر بشبهة فندرس فيه جيداً فلم يرقا بهما وبين جمله ثم تذكر ميسنة وهو العلانة
التي يسمون بها الجمال بسات البانيل . فنظر في المؤس فذاها هو الميس الذي يعرفه لخنقه انه
جملة وأنه لم يعد يقوى على المدى . فلم يهمه ضياعه وود لو ان «لاري رافقة الى هناك
لهمة الجبل فيتعزز لاهلو — ولكنك فكر في الرجل وما كان عليه وما في جيوبه وخصوصاً
كتاب خالد بن يزيد فزاد نشاؤمه من تلك السنة وقال في نفسه « لم يعد لي وطري
المدينة الآن » . ووقف برفة تم مشى نحو الجهة التي ترك فيها سليمان مطر وحده وبناد
مجانيه فرأى المكان حالياً الا آثار الدم على صخر ميسطر ورأى مجائب المفتر نوراً
معنراً فرقعة فذاها هو النباء وقد ثلثوت بالدم وتنق قطعاً قطعاً فاستغرب برقه فنظر
بعياده وفكرة أمر سليمان والكتاب فقال في نمو « لعل أبا سليمان غادر على الجبل
وهو سائر الى المدينة فلما رأه مغطلاً حمل رحلاة معه على نهره ان بدفعة الى عند المثلث » .
فأرناح حسن الى ذلك التكروه هذا اضطرابه وترجع لدوبي ان ابا سليمان حمل ابا الـ
منزله في المدينة لما داونه فعول على الذهاب اليه

وفيما هو ماش نحو المدينة رأى غباراً يطأثير في عرض الافق ما على طريق مكة
فوقف بانتظار ما يكون فذاها هو ثلاثة من الأهل عليها ثلاثة رجال قد شتموا وساقوا
البغن سوقاً حينها ثم سمع قرقعة للنجم فعلم أنها البريد ^(١) اذ كان لدى البريد عدم
رقعة خاصة كأن ارسالها من سلاسل الحديد او لعلم كانوا يستلون في اعتامها جلاجل
او نجومها . فشك هيبة ربها مرغب البريد فعل من نواس الرجال وهبة الركوب ابر من
العراق فترجع عن الله يريد المحجاج بن يو-نف الى عامل المدينه

الفصل الثانى والثانوان

— سليمان وأبیوه —

فلم امر البريد سار هو في أثر ينتسب بيت سليمان من أقرب الطرق فوصله حالاً
قطا وصل الدار استفهم عن سليمان فقيل له انه من يرض فتحق انه هناك فائضاً ذن وائل

على حجرة رأى فيها سليمان متوسداً وابوه الى جانب خلخ نعليه بالباب ودخل فوقف له ابو سليمان ورحب وواراد سليمان المبوض فامسكة حسن واجلس وجلس على طرف الفراش الى جانبه وجعل يسألته عن حاله فقلماً انه احسن كثيراً وان التفل في شعاعاته . فقال حسن « ولا اظن المصيبة جاءتك الا على يدي »
فقال سليمان « اشكرا الله لانه نجاك من هذا المطر اياها »

فقدم ابو سليمان للحال والدمع ملء عينيه وقبل حسناً وقال له « ألا غرت زلتني يا اي فان الله قد بهدتني بالتفاصيل حتى خوفي ضيق ابني ووحدي ولكنني اشكره على السلامة ولأنه اكمني اينما آخر ... »

فنظر حسن الى ذلك الکهل فاذا هو على ما وصفناه من طول النازمة ونخافة العضل وفسر اللحمة وصفر النازمة ولكنه رأى في وجيه دلائل السوبينا . وتأناس النس حتى اذا اتيهم اما يبتسم نكلها وادا ترك ساعة او ساعتين ظل صامتا لا ينوه كأنه يذكر بـ مصاب عذق بـ

ثم سأله عما كان من سبب غيابه فنص حسن عليهما الحديث مختصرًا . وكان يتكلم قال سليمان يصفي ابو وهو نسبت بصره فيو وكأنه لم يعر كل انتهاه . فلما جاء على آخر الحديث وذكر لذاته الجحمل وضياع الرجل قال « فلما رأيت جلي بلا رحل على مقربة من المكان الذي كا فيه ظلمكم عاترم على الجحمل ورأبتموه معملاً فحيث رحلة معكم لفظنطوه لي فهل صادف ظلي مكانه ؟ »

قال ابو سليمان « كلا يا ولدي فانا عدنا في الليل ولم تلتفت اليه ولا يسمع لاشغال بالنا بجرح اخوك سليمان . وانت هل وصلت الى المكان الذي كا فيه ؟ .. قال « نعم وصلت ابو فرأيت اثر الدم ووجدت القبر مرققاً وعلى جلط الدم ثقبت لجزيئه »

قال « الرجل لا تعجب يا ولدي لفزيتو لانه مزق قلبي فانتقمت منه فاعذرني ولو كان قياءك ... »

فاستغرب حسن ذلك وقال له « عزمت عليك أن تقص على خبر هذا القبر »

قال له « اغتنى من خبره واقعنه بما قلته ولو نسبحها »

قال « وما ذا قلت ؟ »

قال «ألم أقل لك إن هذا النهايـ هو الذي مرق قلبي لأنـ كان دليـ علىـ المـ تـرـبةـ المـ طـلـوـبـةـ فـاـذـاـ فيـ وـلـدـيـ وـفـلـتـ كـيـديـ ٤٠»

الفصل الثالث والثلاثون

اكتشاف الحقيقة

فقطـنـ حـسـنـ لـاـمـورـ كـثـيرـ كـانـتـ فـيـ حـلـ الشـكـ عـنـهـ وـنـذـكـرـ أـنـ ماـ فـيـ الـعـالـمـ اـحـدـ يـعـلـمـ بـوـجـودـ ذـلـكـ الـقـيـاءـ مـعـهـ غـيرـ عـوـغـيـةـ لـانـهـ أـخـدـ مـنـ عـنـهـ وـلـمـ يـاـسـيـقـ قـطـ .ـ فـاـخـاطـ بـوـ الشـكـوكـ وـتـارـيـخـهـ الـمـواـجـسـ وـظـلـ صـامـنـاـ بـرـهـةـ لـاـيـكـمـ .ـ .ـ .ـ نـمـ قـالـ «ـ الـأـنـتـوـلـ لـيـ مـنـ أـمـرـكـ بـقـتـلـيـ .ـ .ـ .ـ أـرـىـ أـنـ تـقـولـ لـيـ لـلـأـلـأـ إـنـمـ أـنـمـ أـمـرـيـاـ .ـ .ـ .ـ فـلـ وـلـوـ اـجـمـالـ»ـ .ـ .ـ .ـ قـالـ «ـ أـعـلـمـ بـاـ وـلـدـيـ أـنـيـ أـمـرـتـ مـنـ أـعـظـمـ رـجـلـ فـيـ هـذـهـ الـمـدـيـةـ وـهـوـ صـاحـبـ السـلـطـانـ الـأـقـوىـ فـيـهـاـ»ـ .ـ .ـ .ـ

فـهـمـ حـسـنـ أـنـهـ بـرـيدـ عـاـمـلـ الـمـدـيـةـ طـارـقـ بـنـ عـمـرـ وـكـانـ يـعـلـمـ بـاـ يـوـنـ طـارـقـ وـعـرـبـيـهـ مـنـ الـمـلـاتـ الـوـدـيـةـ .ـ فـتـرـجـعـ لـدـيـهـ أـنـ لـمـ يـوـهـ هـذـاـ دـخـلـاـ فـيـ هـذـهـ الـمـيـاهـ لـكـنـ كـمـ مـاـ فـيـ نـسـوـهـ وـعـوـلـ عـلـىـ الصـيـرـ الـنـرـاعـ مـنـ مـهـمـوـهـ الـمـكـةـ .ـ .ـ .ـ وـإـرـادـ سـلـيـانـ أـنـ يـذـعـبـ الـأـنـيـاضـ عـنـ صـدـيقـهـ فـقـالـ لـيـوـ «ـ كـيـفـ رـأـيـتـ هـذـاـ الصـدـيقـ بـاـ وـلـدـيـ»ـ .ـ .ـ .ـ

فـتـهـدـ أـبـوـهـ وـحاـوـلـ الـأـبـسـامـ وـهـوـ يـتـوـلـ «ـ لـمـ أـكـنـ اـشـكـ فـيـ مـاـ فـاتـهـ لـيـ وـلـكـ سـوـهـ حـقـلـ سـافـيـ إـلـيـ مـاـ اـرـنـكـهـ وـلـكـيـ أـحـدـ أـشـفـ عـلـ خـلـاصـهـ مـنـ هـذـاـ الـخـطـرـ»ـ .ـ نـمـ اـنـتـ الـهـ حـسـنـ وـقـالـ «ـ وـاـمـ أـتـ فـاعـتـرـ إـلـيـكـ لـتـعـدـيـ فـتـلـكـ عـنـ غـيرـ مـعـرـفـةـ بـكـ وـلـاـ أـظـنـيـ دـفـعـتـ الـهـارـيـكـابـ ذـلـكـ الـأـلـاـ بـاـ جـيـوهـهـ مـنـ الـذـنـبـ بـرـجـوـيـ عـنـ الـمـطـالـبـ بـدـمـ ذـلـكـ الـمـتـنـوـلـ ظـلـلـاـ»ـ .ـ قـالـ ذـلـكـ وـشـرـقـ بـرـيـوـ فـسـكـتـ بـرـهـةـ وـحـسـنـ يـنـظـرـ إـلـيـوـ وـيـهـبـ ثـمـ عـادـ أـبـوـسـلـيـانـ إـلـىـ الـكـلـامـ فـقـالـ «ـ كـتـ مـنـ الـتـوـيـهـنـ الـذـيـنـ نـدـمـوـاـ عـلـ تـخـلـيـمـ عـنـ الـحـسـنـ رـحـمـهـ أـشـحـيـ قـتـلـ ظـلـلـاـ فـيـ هـيـلـ كـرـبـلـاـ وـلـكـنـ لـمـ أـشـتـ عـلـ نـوـيـ فـاـنـظـمـتـ فـيـ خـدـةـ الـذـيـنـ قـلـوـ»ـ .ـ فـلـارـبـ أـنـ عـلـيـ لـمـ يـرـضـ الـحـقـ سـجـاهـةـ وـنـعـاـيـ فـاـعـيـ أـلـآنـ تـكـبـرـاـ عـنـ ذـلـكـ الـأـلـاـ تـكـرـبـ مـاـ بـيـنـ مـنـ جـيـانـيـ لـصـرـهـ اـعـدـاهـمـ وـقـدـ بـاغـيـ الـكـ صـائـرـ الـمـكـةـ فـهـلـ تـرـىـ فـيـ رـفـقـيـ تـعـاـدـ لـكـ .ـ .ـ .ـ وـالـأـ فـانـيـ هـائـمـ عـلـيـ وـجـيـ فيـ هـذـهـ الصـحـراءـ .ـ .ـ .ـ

قال حسن « اذا رأفتني فاني آنس بك واتخذك والدًا لي لان سليمان أخي ولكنني أرى ان ... » وسكت كأنه أراد التكلم واسكنه المحبة
 قال ابو سليمان « تكلم يا بني » ولا تخف فاني بمنزلة ايك بل أنا خادم لك
 ولا استكفي من أمر اجربه في خدمتك .. قل ما يدار لك «
 قال حسن « اذا كنت ترى ان تفضل عليّ وتعاملني معاملة الوالد لولوك فان لي
 عندك غرفة اسخي ان أكذاك به »

قال « لا تستحي يا بني » .. قل «

قال « احب فناء في هذه المدينة وقد خطبها وانا مخضطر للسفر قبل العند
 عليها ولا يخفى عليك قلب ملي في هذه الحال » ..

قال « نعم .. ماذَا ترید معي هل ترید ان اوقف نفسي لخدمتها ؟ .. »
 قال « كلاً فانها في بيت والدها ولكنني .. قليل الثقة بن هم حوطا ..

قال « من هي الفتاة ومن هو والدها انقول لي ؟ .. »

فوجم حسن سرعة ثم قال « اذا لم يكن بد من معرفتك اسمه — ولا ارى بدًا من
 ذلك — فاخبرك اهلا سمية اية عرفحة النفي »

فلم يتم حسن قوله حتى بدت ابو سليمان واسطع لونه او زاد انتقاماً وأطرق
 وصارت لحيتها ترقص في صدره وكان حسن يلاحظه وقد أدرك ما جال في خاطره . وجعل
 ابو سليمان هم بالتكلم ثم همسك بمنة لانه كان يرى عرفة يتربدد الى مجلس طارق وبسامه
 وعرفة مشهور في المدينة بخيانته وسوء نيته

اما حسن فلم يهلهل ربيعاً يتكلم فابدره فانياً « لا اكذبك باطلاعي على شيء »
 نظرة سرّاً فند فهمتُ وفهمت وهذا يكفي . أما الفتاة فانها خطيبتي والعهد بينا شديد
 الوثاق لا يمكن ان ينطليها او ينطلي شيء . واما انتقام اليك ان توصل الى البحث عنها
 والاستئام عن أحواها وهذه وصيبي اليك فاذا قابلتها كان ذلك فوق ما اتفاه »

قال ابو سليمان « انا على ما ترید واعلم اني اهتم بهذا الامر اهتم بولدي
 هذا .. كن في سكينة وراحة بال »

فلا فرغ حسن من امر سمية عاد الى التذكر في الكتاب والخادم فنadar الى ذهنه
 انه ربما في خادمة في المدينة فيساعد على البحث عن الكتاب وعول اذا لم ير الخادم
 ان يمير ينفعه ويكتفي بالبلاغ الشفاهي لعبد الله بن الزبير وبرى ما يكون . فنهض

واعذر بعزم على السفر . فقال لها أبو سليمان « اذا لم يكن بد من سفرك فاجعله من غير الطريق الذي رحنا فيه بالامس — اخرج من باب آخر وإنما أرسل معك خادمي بهديك الى الطريق وبسوق جملك بدلاً من خادمك واقدم لك جللاً احسن من جملك فاتم بالاً وكمن على ثلة انتانا انا وسلیمان في خدمتك حتى تبلغ مرامك .. » ثم نادى « بلال » فجاء عبد خليف المواد حسن الملائج كأنه موأد وما هو زنجي بمحث لتناسب اعضاء وجوهه فقال له في « الجمل الاشرم والبلال القرب ما » « واعد زاد السفر » فذهب بلال ثم عاد وقد أعد كل شيء فقال ابو سليمان لحسن « اذا كان لا بد من سفرك فسر على عجل ولا تنف او تستراح حتى تبعد عن المدينة »

فقطع حسن كلامه وقال « وقد فاتني ان اخبركم عن ابل البريد فقد رأيت ثلاثة منها دخلت المدينة في هذا الصباح واظهرها قادمة من مكة »

قال ابو سليمان لا يبعد ائمهم جاً! يطلبون بحصة او مدد او خبر فتح او غير ذلك وعلى كل حال فاني سائل من هذا البيت الى سواه واخافي يومين او ثلاثة حتى لا يرباني أحد ثلا يطلبو في المسير معهم »

ثم ودعهم حسن وركب الجمل وسار بلال في ركبته وبود حسن لو يبعد النظر الى سبعة قيل سبع ولكله اراد الهيئة وخاف الوقوع في ما هو اشر من ذلك

الفصل الرابع والثلاثون

— سُبْحَةُ فِي مَنْزِلِ سَكِينَةٍ —

فلترك حسناً سائرًا الى مكة مع بلال ولنعد الى المدينة لنرى ما كان من امر سبحة بعد سفره فقد تركها عائنة الى بيت سكينة ومعها عبد الله خادم حسن يصبر في خدمتها . فلما وصلوا الى باب البيت قالت له سبحة « قد وصلت الى ما مأني فانصرف » وكانت قد استأنست بو لانه ثقني مثل والدها . فلما ودعها للانصراف قالت له « قد علمت يا عبد الله منزلة حسن في فاحتنتظ ووكن صادقاً في خدمته »

فقال « اني عذك وعدك يا مولاي ولا ہوت علي الا ما برضيكانني اني افديكما

بروسي . . .

فاطلَتْ سُبْحَةُ وَإِشَارَتْ بِرَاسِهَا إِشَارَةً الْوَدَاعَ فَنَفَولَ عَبْدُ اللَّهِ وَسَارَ مُسْرِعًا يَلْتَمِسْ بَابَ الْمَدِينَةِ لِيَتَبَعَ سَيِّدَهُ

أَمَّا سُبْحَةُ فَانْبَثَتْ عَلَى بَابِ سَكِينَةِ وَعِنْدِ الدَّرِيبِ وَالْخَدْمِ وَالنَّاسِ لَا يَزِدُونَ هُنَاكَ حَوْلَى الْمَشَاءِ فَنَظَاهَرَتْ إِنْهَا كَانَتْ فِي بَعْضِ جَوَابِ الْمَنْزِلِ وَسَارَتْ إِلَى مَجْلِسِ سَكِينَةِ وَفِيهِ لَبِلِي وَغَيْرُهَا فَرَحِيتْ سَكِينَةَ بِهَا وَسَأَلَهَا عَنْ سَبَبِ خَلْفَهَا . فَقَالَتْ لَهُنِي كَسَتْ مَشَغَلَةً فِي بَعْضِ الْغَرْفِ هَذَا قَالَتْ لَهُ لَبِلِي « قَدْ بَعْدَنَا عَنْكَ فَلَمْ يَخْدُكَ إِلَّا تَفَاقَى وَالدُّكُّ يَسْتَبِطُكَ » فَقَالَتْ رَبِّهَا أَسْتَطَعْ إِلَّا وَلَكَنِي هَذَا فِي مَا مِنْ مِنْ غَصْبٍ وَمِنْ أَسْتَطْعَلَنِي بَعْثَ في أَثْرِي » فَلَا سَعْنَاهَا سَكِينَةَ تَقُولُ ذَلِكَ اسْكَنَهَا يَدُهَا وَجَرَتْهَا إِلَى جَانِبِهَا حَتَّى أَقْعَدَهَا مَعْهَا عَلَى الْوَسَادَةِ وَضَعَهَا وَقَبَلَهَا وَقَالَتْ لَهُ « أَهْلَأْ لَكَ بِسَيِّدِكَ إِنْكَ مِنْ أَعْرَالِ الْأَحْمَاءِ » وَكَانَ سَكِينَةُ تَسْتَلْعَفُ سَبَبَهُ وَتَخْبَهَا وَتَغَارِي عَلَيْهَا

فَقَالَتْ سُبْحَةُ « لَا حَرَمَنَا إِنَّمَّا مِنْ مُحِبِّكَ بِمَا نَتْسَطِ الرَّسُولُ إِنْ أَفَمْتَكَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ بِرَكَةٍ وَسَعَادَةٍ لَنَا جِوْعَانًا »

ثُمَّ جَاءَ الْخَدْمُ يَدْعُونَ سَكِينَةَ إِلَى الْمَائِنَةِ وَقَدْ مَدَتْ الْأَسْمَعَةُ كَجَارِيِّ الْمَادَةِ فَقَامُوا لِلْمَشَاءِ . وَأَمَّا سُبْحَةُ فَعَادَتْ إِلَيْهِ مَوْجِهَهَا وَاسْتَغْرَبَتْ سَكُوتُ وَالْدَّهَاءُ عَنْهَا إِلَى ذَلِكَ الْخَرْبَنِ . ثُمَّ حَطَرَ لَهَا إِنَّهَا غَائِبَةٌ عَنِ الْبَيْتِ وَهُوَ يَحْمِلُهَا فِيهِ . فَرَأَتْ أَنْ تَسْتَأْذِنَ سَكِينَةَ فِي مِنْ يَوْمِهَا إِلَى الْبَيْتِ فَأَذْنَتْ لَهَا وَبَعْثَتْ مَعَهَا بَعْضَ الْجَوَارِيِّ

وَوَصَّلَتْ سُبْحَةَ إِلَى بَابِ الْبَيْتِ فَقَرَعَتْ فَرْعَةً يَعْرِفُهَا الْخَدْمُ فَأَسْرَعَتْ جَارِيَةً إِلَى فَتْحِهِ وَاسْتَفَلَتْ سَيِّدَهَا وَهِيَ تَوْلِي « لَئِنْ أَبْطَلَتْ عَلَيْنَا الْلَّيْلَةَ وَشَفَلَتْ بَالَّنَا » وَكَانَتْ تَلِكَ الْجَارِيَةُ حَسِيبَيْهِ الْأَصْلُ إِمَّا إِمَّا أَمَّةُ اللَّهِ وَكَانَتْ تَخْبَرُ سُبْحَةَ كَبِيرًا وَسُبْحَةَ نَسْنَانَ بِهَا وَتَكْرَمُهَا فَلَمَّا أَبْطَلَهَا فِي تَنَكِ الْلَّيْلَةِ اشْغَلَتْ بَالَّجَارِيَةِ كَبِيرًا وَلَمْ تَسْتَطِعْ رِفَادًا فَلَمَّا طَرَقَتْ سَبَبَهُ

الْبَابُ كَانَتْ فِي أَوَّلِ مِنْ سَعْنَاهَا لَهَا دَخَلَتْ سُبْحَةُ تَرَامِتْ أَمَّةُ اللَّهِ عَلَيْهَا وَقَبَّلَهَا وَرَحِبَتْ بِهَا فَقَالَتْ لَهَا سُبْحَةُ « أَلَمْ يَأْتِ وَالَّذِي ؟ »

فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ « جَاءَ نَحْنُ الْفَرَوْبُ وَدَخَلَ الْجَنَّةَ الْمَعْلُومَةَ وَاقْتَلَ الْبَابَ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَرَى هَذَا وَلَا يَدْرِي أَحَدٌ مَاذَا يَعْسِلُ لَانَّهَا إِنَّارُ السَّرَاجِ وَحَلَّةُ يَدِهِ إِلَى الْفَرَغَةِ عَلَى جَارِيِّ الْمَادَةِ

فدخلت سية غرفتها وخلفت ثيابها لِنوم والدها اذا رآها انت في البيت من من طولية ولم تستغرب مكثة في تلك الحجر طويلاً لانه كبيراً ما كان يفعل ذلك وأهل البيت يستغربون نكتبة ولا يمرون ما في تلك المخزنة هناك . ولو لا خوفهم من غضب واستنداه انوصلوا الى فحصها ولكنها يخافون سلطونة لهم بقليل وشدة وطأته فرأيت سية ان تتجه الى النراث وتنام قبل خروج والدها من غيابه مخافة ان يراها وبسأله عن سبب غيابها وربما ساء اللسان بها الجلست على فراشها واستدعت امة الله وطلبت اليها ان تنشط شعرها قبل النوم فجذت الجارية وراحت ظهرها وجعلت نسراح الشعر ونشسلة وسمية مستنقعة باحة الدار بوجهها وكانت سية ترناح الى معاذه امة الله بعض الشؤون الخصوصية فنالت لها وهي تنشطها « هل شغل بالكم غياب الليلة »

قالت « نعم يا مولاي وخصوصاً لاتك قلما نطلبين الغياب وبالخصوص بعد ان جاء

عبدالله للسؤال عنيك »

قالت « وأي عبدالله ؟ »

قالت « الرجل الذي جاء في صباح هذا اليوم »

فعلت سية الله عبد الله خادم حسن في وقت لعلها انه فارقها مستعجلًا لخاق بيته فأدارت وجهها الى الجارية وقالت لها « مني جاء »

قالت « جاء قبل وصولك غليل »

قالت « وهل جاء وحده »

قالت « لم أر معه أحداً »

فكدرت سية في الامر فوجدت انه جاء بعد ان فارقها باساعة او ساعتين فتبارد الى ذهابها انه لم يأت الا لامر ذي بال — اما الغرض اراده حسن منها ولاما لشر اصحابه فتفاظرت عليها المواجهات واستغرقت في الافتكار وعادت الجارية الى نسيطها وهي في غفلة عن كل ذلك

وفيما سية غارقة في لحج الهم لاحت منها الذهاب الى تلك الباحة فرأيت فيها نوراً يقرئك ثم سمعت صوت باب يُفتح فلعلت ان والدها خرج من تلك الحجر السرية . ثم رأيت النور يختفي وسمعت تصفيقاً فلعلت ان والدها يدعوا الخادم فخافت ان يكون عازماً على استدعائها فنطاعت به الى الرقاد وقالت الجارية « لم يعد لي طاقة بالجلوس فقد اخذ مني العباس ما اخذناه عظيمًا فاتركني لانام واذا سألك عن والدي قوله

لله التي نائمة من مدة طولية » فنهضت الحمارية غرضاً ففتحت حشكة محكمة لمخرج صوتها
وقالت لها « لا تهافي (اي لا تخافي) »
ونسجدت سيبة ونظاهرت أنها استقررت في اليوم وبعد قليل سمعت الخادم يسأل
الحمارية عنها وسمعتها تقول له إنها نائمة فانصرف
وأصبحت في اليوم التالي وهي لا تزال مائلة إلى التوم فطلبت في التراش . وتهضي في
الضحى فنجاً بها جاريها أيام للغسل وطعام فمسأله عن والدها فقالت « أفتقييل الصبح
على فرع الباب ثم علمت أن بعض الناس جاؤها يطالعون سيدى على عجل فخرج وهو لم
يتم لف عمامته فأنظاهراته طلب لامر مستجل »
فأطربت سيبة وفككت قليلاً فخدتها نفسها أن هذه الدعوة علاقة بخطيبها . ولما ذكرت
سوه فقد والدها وما سمعه من قドوم عذالة إليها بالامس تبادر إلى ذهنها أن شرّاً عظيمًا
اصاب حسناً — وذلك شأن الحب وهو بعيد عن حبيبو فانه يكاد لا يطعن بالله عليه وإذا
سمع أحداً بذلك لا ينadar إلى ذهنه إلا خير السو . وقد ينصر الاشارات ويجعل الرموز
ويتوصل الحوادث ولكنها قدماً يووّلها إلى الخير — فكيف سيبة وهي تعلم ما يتوصل والدها
لخطيبها . فلم تتناول من الطعام إلا قليلاً وملكت جالسة تود البحث عن سبب
ذهاب والدها وتخاف أن تسع السبب ثلاثة يكون فهو ما يسوها

الفصل الخامس والثلاثون

— اطف مخيف —

قضت معظم ذلك البار في الفتن والاضطراب وهي نارة نشي في الدار وأنه نخرج
إلى المستغان وهي توقع أن ترى عذالة آتياً أو تسمع خبراً جديداً . ثم سمعت اذان المصر
فالتفتت إلى صوت الآذان وهو من جهة باب البيت فرأته والدها داخلاً وبالغة باديه
على وجهه مخنق قليلاً ولبسه تنتظر ما يبدوا منه . فدعا منها إلى إسمونادها إليه فتبعته وهي
لانزال في اضطراب ولكنها ظاهرت بالارتياح حتى أقبل على غرفة الجلوس فوقف بالباب
وخاطب سيبة وهو يتزعزع نعالة قليلاً « كيف قضيت يومك البارحة عند سكينة » .

قالت وهي تتبعه إلى وسادته التي تعود الجلوس عليها « قضيتك براحة ولكنني عدت وأنت مشغول في المجرى فمضت وتهضي في هذا الصباح فنزل لي إنك خرجمت بدعوة مستحبة فانشغلت بالي »

فقطع كلامها متوجهًا ودعاهما إلى الجلوس بجانبه والإبتسام لا يليق بذلك الوجه الملوك خطأً وعشناً . فلما جلسوا فربها منهوضها وقبلاها فأشعرت ببرد شنفيه وأشعرت بدهنهما لاحظها شعر لحيته بدقها وعفتها لعظم ما كانت فيه من النهج العصي الناج عن القانون ولكنها قبالت به . فاذا هي ابرد من شففيه على أنها توقيت ان تصعد منه شيئاً بعد هذه الفيلق فإذا هو يتول لها « أظلتك انقضت من طول المكث في هذه المدينة »

قالت « اذا كنت انت في خير وسعادة فكل حال ترضي »

فأعجبها قوله وألقي بنها على كتفها وجعل بلاعب شعرها بين انامله ثم قال « يورك فيك من ابتك مطربة ان مثل هذا التول يجير قلب الوالد . هذا هو البر الذي كتب ارجونه منك . فالحمد لله ان التكر الذي كان يخامر ذهنك قد زال الآن وعدت الى ما هو جدير بأمثالك من الرجوع الى خطاطر آباءهن » في كل شيء »

فتوهمت سمية عند ذلك التعریض أن صخرة وقعت على رأسها ثم أسرع خلفان فليها . ولو فنه والدها وهي مستلبة على صدره لمع دقات قلبها أو شعرها او لأدرك اضطرارها على الاقل او لعله ادرك وتجاهله خشأ ورباه . ثم قال ولم يترك لها مجالاً للذكر « أنتدين هذا التردد للرجوع للنس في العقيق فاتحة مبتزة جبيل ؟ ... نأخذ طعامتنا وشرابها وتذهب يومنا هناك »

فجاءت سمية بذلك الاعتناء . وإن كان من والده لان والدها يدرك ان يخاطبها بالحسنى او يلاطها الا اذا اراد منها امرًا حتى اصبحت لاسمع منه ملاطنة الا توقيت شرها ولكنها لم تكن تستطيع غير مداراته فقالت « اشترك يا اي على هذه المسابقة ... »

فقطع كلامها وقال « لا حاجة في الى شركك يا بنتي فاني ابيوك وهذا هو شأن الآباء فلنذهب غداً صباحاً وسأخبر الخدم ليعدوا لنا خياماً وطعاماً ويسيروا اماماً الى العقيق قبل الغير ثم تركب انا وانت عند طلوع الدهار تذهب يومنا في العقيق فقد مللنا المدينة واسوانها وغبيها » قال ذلك بقعة الاب الحبون فلم يسع سمية الا عباراته على أنها كانت اشد حاجة منه الى الليلة وخطره لها ايضاً انها رهباً استطاعت في اثناء مرورها بالشوارع والطرق ان ترى عبد الله او تستطلع خيراً عنه او عن حسن » فائت

على والدها وفدت بن فقيها . ثم صدق فجاءه عبد اسود كان عرفة قد فرض اليه ادارة شؤون منزله وجعله رفيقاً على اهل بيته . وكان ذلك العيد فريح الحلة عظيم اللذة المنلى افضل الانفس يكاد الشرر ينطاه من عينيه . يندران بنيسم اذا فعل فانه يكسر عن ابايه تكثيراً فلما وقف بين يدي عرفة قال له « يا قبر انتا عازمون على الخروج في صباح الغد الى العتبة فاعدد ما يلزم لذلك من الخيم والاطعمة وهي المودج لركوب سية واذهب انت والخدم عند الغروب من ثم غلق بكم عند طلوع النهار » قال « الامر ملولاي » وخرج

ثم هض عرفة ودخل الحجرة السرية وتحولت سية الى غرفتها وطلبت من جارتها امة الشان ثمياً لمرافقتها في صباح الغد في المودج لانها تستأنس بها دون سواها

الفصل السادس والثلاثون

عسكر طارق

بانت سية تلك الليلة فتوالت عليها الاحلام المزعجة فرأت حسناً في خطر ورأت مناظر مخيفة فهضت وهي في انصراف شديد فاذاد والدها قد خرج وهياً للرحيل وجاءتها الجارية فمشعلتها والستiera تباهي . وركبت سية المودج فوق الجبل والجارية معها وركب والدها بغلة وساروا وقد اسكن بغلة الجبل غلام من خدمة المنزل وجعلت سية منذ خروجهم وهي تعلل من خلال المتنور الى الفرق ندرس بالماركة فاستغربت امة الله ذلك منها لعلها مجشتها . وزاد استغرابها شدة ما يبدوا في وجهها من التلق . فلما خرجوا من باب المدينة بالغت سية في النطلع نحو الطرف بق الذي بوادي الى مكة لعلها ترى اثراً او تستطلع خيراً . فرأت بجانب باب المدينة خياماً ورابيات ومحولاً وجالاً وقد نفرق العيد بين الجبل وحول المستنقعات يجمعون العيدان الوقود فاندفعوا ولم تفهم أمر هذا العسكر فلم تر بدلاً من استئهام والدها فنادته فلم يجيئها فاخرجت رأسها بين المتنور لتبحث عنه فإذا هو قد أركض بغلة نحو العسكر فنظرت انه ذهب لاستقلال الخبر فامر العلام ان يظل في مسبيه . فسار حتى بعدوا عن العسكر

وسمة لاتزال تشرف على الطرق وتعلل كل جهة واللائق باد في عينيها وفيها هي شعلة سمعت جمجمة جمل ينام فالتمنت فرأت جمل حمن الذي ذكرنا امره ولم تكن هي تعرفه لانها لم تره الا في اثناء مقابلتها حسنا في المساء ولكن بالنظر الى هول تلك المقابلة اندرس في ذهابها كل شيء شاهدته في تلك الليلة — وذلك طبيعي في الانسان فانه اذا جرى له حادث اثر في عواطفه يتطلع الحادث وكل مارافقة من الشاهد والاحاديث في ذهنه — فاذا رأى شيئا من تلك الشاهد او سمع حدثا من تلك الاحاديث تذكر كل مارافقة — فلما رأت سمية الجبل خنق قلبها كأنها تحصلت منه رائحة الحبيب فوقفت المودع عده ونظرت اليه فرأت انه لم يكن جمل حمن فان بشبها كبيرا على ان هواجسها راحت انة هو هو يعني فقط شعرها وجعلت تذكر في حالها وتصورت حسنا مفولا وقد أخذ فنانوه رجل الجبل وخطامة وتركوه — فلما

تصورت ذلك تساقطت الدموع رغما عنها وهي تحاول امساكها وكانت امة الله تلاحظ قلق سيدتها ولكنها لم تجسر على الاستئهام الا لما رأت دموعها تساقطت فقالت لها هبها الناعم الرجم مع ما فيه من صبغة الجمجمة « ما بالك يا سيدني تكون لا أراك الله سوا ... قولي ما بالك ؟ » فلما سمعت سمية سؤال الجارية ثم فحالت عن البكاء حتى علا صوتها ناصيتها امة الله وقبلت بدها وقالت لها « بالله كفي عني البكاء واخبريني ما سبب ذلك اطلعوني على سرك لعلي انزعك في شيء ... قولي لي ... »

فنهدت سمية وسمحت دمعها يكدرها من فوق الاساور والدمالج فذهب الكهل من عينيها ولو لم يكن لون رديانها فاما لبان الكليل عليه — فلما انتهت نوبة البكاء وهذا روع سمية التمنت الى خارج المودع فلم تجد والدها عاد ولا رأت أحدا يسمعها فنصلت على جاريها الحديث فعنصرت واطلعتها على مكتوب فلابها فاحمت للحال ان المصيبة خانت عنها — فشاركتها الجارية بالبكاء ثم لامتها على مناساة كل ذلك مجرد الفتن — وقالت لها « لم تفتخري ان هذا الجبل جملة ولكن هي انة جملة فما ادرانا انة اصيبي بمدحه ... ؟ وأما ما نظيرته من امر سيدني والدك فع علي بتساؤله فرأى ايقاعه بصريح بعيدا — ومع ذلك فلا يجوز الحكم ب مجرد الفتن — ولا أحس بـ هذا الجبل الا لبعض اهل هذا المعسكر انكسر فتركته ... »

فارتاح فكر سمية لهذا التعليل ولكنها عادت الى الافتخار بعد اذاته ورجوعه الى متزطا في تلك الليلة فحالت « ولكن ما هو سبب رجوع الخادم اليها في تلك الليلة ؟ ... »

قالت الجارية « قد يكون انه جاءك برسالة من حسن فلم يجدك فعاد وسافر معه ولولا ذلك لرأيتوه أمس . وقد مضى طول النهار وهما في ضياليوم الثاني ولم نر » فقطعت كلامها وقالت « انقلين اذا علم بسوء اصاب اب حبيبي يتصل بذلك الخبر اليه

وفيها ها في الحديث والجمل ما شدّعنا وقع حواري البغة فعلينا ان عرجحة عاد اليها وبعد قليل وصل الى معاذة المودج فنادي سبة فأطلت وسلت على أيها فقال لها « العلي غبت عليك كثيراً »

قالت « نعم يا مودي وخصوصاً لأننا رأينا خياماً وجلاحاً وخيبولاً فلم نفهم سبب هذه الحركة »

فأجابها وهو يحاول اصلاح الرسن في رأس البغل « ان هنا المعسكر معسكر طارق بن عمرو عامل المدينة وقد خرج برجاله وجنده فاحداً مكة

قالت « ولماذا ؟

قال « جاء بريد الحجاج بن يوسف بالامس يستلزم طارقاً ورجاله مددأة في حصار مكة وعا قليل يسافرون » قال ذلك وساق بعلة ونظاهر انها ركضت من نفسها فانقطع الحديث . وسررت سبة بانقطاعه انعود الى الافتخار بحسن لعلها تلمس تعليلاً يرجح بالها عليه - والمره بحال الى الناس مثل ذلك التعليل والناس يتناولون في متذرهم على ذلك . فبعضهم اذا وقع في مصيبة هان عليه تعليق عناطقه على تلك المصيبة فيجعل لنفسه مخرجآ من سوء عوائدها ومنهم من يزكي الافتخار قلقاً ولكنك لا بلست وان طال فلنطة ان يصل الى حل ينوكاً عليه ربما يرى ما يأتى به الفدر

وكانت الجارية قد رفعت استار المودج منذ خرجوا من المدينة وبعدوا عن الناس وسمة نسرح نظارها في ماحولها من المضائق البحار وبرك الماء وغابات الغيل وهي كأنها لا ترى شيئاً لاستغرافها في عالم الخيال . فلم تنتبه الا وقد شئت رائعة الشواه فالذئب فادا هي على مقرية من ثلاث خواص التدين قرب الماء وواحة متفردة بظل خلة كبيرة . فنظرت فرأت نفسها على غير ماء العقيق لانها كانت تعرفه فخولت نظرها الى ما حولها فادا هي لاتزال على مقرية من المدينة وخواص المعسكر لاتزال ظاهرة . ونظرت في الخream حولها ورأت الخدم فادا هي خيامهم وخدمهم فاستغربت ذلك ولكنها لم تعلق عليه أهمية كبيرة اذ لم يكن لها رغبة في المتعة ولا غير

وجاء الخدم فاناخوا المودج بقرب الخبيرة المنفردة فنزلت سمية وجا ربهما ودخلتا الخبيرة
أما عرقية فرائنه سمية وأفيا مع عبده على افراد بيكلمان وكانت تكر ذلك العبد كرها
شديداً لغاظ طباعه وقطاعة خلته

الفصل السادس والثلاثون

ـ حديث ذو شجون ـ

ف لما دخلت الخبيرة عادت هوا جسها اليها فنكرت في حسن والجمل وتصورت ما يخشاه
من أمر فازداد بالبلاء . ثم خرجت امة الله لمساعدة سائر الخدم باعداد الاطعمة وطللت
سمية في الخربة وجدتها

وفيما هي على تلك الحال سمعت تحدثها أليها ثم رأته فادماً والعبد معه وقد فرغ من
المساره ومشيا نحو خيمتها فاستعاذه بالله وخافت شر ذلك اللدوم . ثم رأت العبد يعطى
بالمسير ويشاغل بإبها يسرع حتى وصل الخربة فهضت له فناداهما فائلاً « كيف رأيت
هذا النهار ؟ انه نهار جميل »

فظاهرت بالابتسام وأرادت ان تخادثه فقالت « انه نهار جميل ولكنني سمعتك
تقول انتا ذاهبون الى العقيق وارانا لا زوال بباب المدينة ... »

قال « ان العقيق بعيد فاحببت الاستراحة هنا ثم اذا شئت المسير الى العقيق سرنا .
ولما غرضي ان تكوني مسروقة فرحة ولا أراك الاً منه بشدة النفس ومثلك يجب ان تكون
مثال أهل السرور . لان أباك يحبك حباً شديداً وقد انقطع عن العالم من اجلك .
ولا يترك وسيلة الاً ابتعها في سبيل راحتكم وسعادةكم ... »

ف لما رأت ذلك الناطق منه خافت ما وراءه وطللت ساكنة فعاد هو الى امام
حديبو فقال لها « ولند سري منك الصياعك الى مشورة أبيك بهذا ذلك الشاب
وعدت الى ما هو جدير بما تملك . ويسري ايضاً ان ابشرك بسعادة قد توفقت اليها
ل JACK ويندر ان تناها فتاة من فتيات المدينة بل هن يخسرن عليها كافة ... »
فازداد قلتها وتوجهت من وراء ذلك الكلام بشرى « تزيد اضطرابها فقللت

سأكنته وقلبها يختنق وبالتالي استطلاع ما في نفس والدها ولكنها خافت أن يكون في استطلاعه ما يسوءها فلبت صامتة لاندرى ما قتول . ووالدها ينظر إلى وجهها خلسة وهو يتناول بالجهة بين انامله . وكان يتوقع أن يسمع منها استئناماً أو جواباً فلما رأها صامتة دننا منها وهي متكتكة إلى عدوه الخيبة ووقف أمامها واستد برأسه إلى العصود وجعل يد الأخرى على كتفها فاقشعر بذاته وارتعدت فرائصها لعظام قلتها ولم تعد تصير عن استطلاع ما في نفس عريفة فإذا هو يقول لها « لماذا لم تُأْنِي عن تلك السعادة ؟ لا أخالك اذا علمت بها إلا محبة بها يبذلها أبوك في سبيل راحتك ... انعلمين انك متصررين عاقلليل سيدة نساء هذا الجيش ؟ ... » قال ذلك وأشار إلى المعسكر

فلم يسمع قوله علمت أنه يعرض بخطبتهما لأحد كبار ذلك الجيش فتحققت موس ما أخافه لها في الآمن وإنها مفلحة على خطر شديد فارتبت في أمرها ولم تدركها إذا تجوب ولكن الأضطراب بدا على وجهها . ولو ترس ولدها في قرهطها لرأوها يرتعشان ارتعاشاً يجاكي خلقان قلبها . وما ارتعاشها إلا من رفع ذلك المختنان . وأحررت وجهتها بفتحة فتشاغلت باصلاح دماغلها في مقصها وهي تنظر إلى الدماغ وكيف أنها لم تكون ترى شيئاً لأن الدمع غشي بصرها ثم تساعدت تساعدت اللؤلؤ على مقصها . فلما رأى ولدها ذلك تخفق أنها لازالت عالفة الثلب بحسن فأراد أن يقطع إليها منه فقال لها « ما بالملك لأخيبيين ؟ ألم تعيشك ما دربه لك من أسباب السعادة ؟ أم أنت لم تنهي مخزي كلامي - ألم تهيبي ما أقول لك ؟ ... إنك سمعك زين سيدة نساء هذا الجند وجدت بي أمية المعاصررين لملكة الآن ... وإذا اشتكى عليك فهم مرادي أقول لك إنك متزفين إلى الحجاج بن يوسف كبير أمراً مولانا الخليفة عبد الملك بن مروان وهو من ثنيف مثلياً ولا أزيدك يائماً عنه من علو شأنك ... »

فلم يسمع تصريحه لم تعد تهالك عن البكاء . فخطبت وجهها بكلها واستد رأسها إلى العصود وطلت صامتة وقد حبس نفسها عن البكاء أو التهدى حتى كادت تختنق وهي لاندرى بما ذاقت تجوب ولدها ل أنها خافت اذا ردت قوله أن ينزلك بها فلم تزيلها لترجع كربها غير البكاء . فلما رأها عريفة تبكي علم أنها لازالت تذكر في حسن وترجو قدرة فامسك يدها وإندها عن العصود بالظبط فطاوعته وهي تبالغ في الاطرافق فقال لها « أحسب صورة ذلك الفلام لاعمال تردد في ذهنك مع اعتقادك أنه لاسبيل اليه ... فإذا كان في قلبك بذلة أهل بي أزعجيلا لآلة قد مضى وقضى إلا أمر ... »

فاجعلت سيدة ولم تمالك ان رفعت رأسها ونظرت الى والدتها وعيناها تقطزان
دمعاً كالماء تهرين هزل فولو من جده فابدرها فائلاً « صدقوني انه لم يعد لك سهل
الى حسن ولا هولة سهل اليك لان امر قد انتهى ... والاموات لا يعودون
في هذه الدنيا ... »

الفصل الثامن والثلاثون

فبراير

فلا سمعت قولة صاحت صبيحة سمعها كل من في الحمام واطمانت وجهها وقالت
« حسن مات ؟ ... مات ؟ لا لا حسن لم يمت .. الله هي ... »
قالت ذلك واستغرقت في البكاء، وجلست على برش من سعف الخيل كانوا قد فرשוه في
ارض تلك الخبطة وجعلت رأسها بين كفيها واطلقت لنفسها العنان ووالدها لا يزال
ياقفاً وقد بعثت لها رأة من نسكتها على الله قال في نفس نفسها ان تخرج ان شرخ من البكاء
فهي تخففت موته عادت الى رأيه - فصبر هيبة وهو يظهر الاستخفاف بها بما منها ثم عاد
فنال ما « اراك تكذين قولي وانت تعلمين يا سيدة ان لم اكذبك فقط ... صدقوني
ان حسناً قتل في اثناء خروجه من المدينة فلا سهل الى رجوعه - انفلون نفسك
معه ؟ ... »

فصاحت « نعم اقتل ثقني ولا غرض لي في المواجهة بعد ... قتليها ظلماً وغدرأً
؟ ... وبلك باظام ... كيف قتلتة ... اقتلني معه ... اقتلني ... » قالت
ذلك وعادت الى الشهيف - فلما رأى عرقية تصليها عد الى الملاينة فقال لها « ألام اقتلته
ولكنه قتل بدنيه ... وبع ذلك فما الفائدة من البكاء ... عابرو واشكري الله انه مات قبل ان
يقتربن بك فانك حياثر لاتدين حظوة في عيني الحجاج ... »

فقطعت كلامه وقالت « واي الحجاج ... مالي وللحجاج الي لا اريد
سواء ... لا اريد غير حسن ... حسن حبيبي ... هو وحده حبيبي حباً او
حبها ... » ثم اجهلته وقالت « لا لام يمت حسن بل هو حبي » وإيدي الظللة اللئام تصر
عن ادراكه »

فقال عرفة «ألا تزالين تذكرن قتلة حتى أربك جذبها؟ ...» فوثبت سمية من مجلها بالرغم عنها وصاحت «لا لا لا زربني آياء مهنا ... ويلاه قتل حسن ... قتل ... أقتلني يا ظالم يا خائن أنتلي وارجع نفسك مفي وارجعني من هن الحياة كا ارحت رجلًا أقتلك وإنفذ أهل بيتك من الموت فكافيته بالقتل ... ويل لك من مشهد يوم عظيم» قالت ذلك وقد أحسست بقوة الرجال الأشداء وبشت من الحياة ... فلما سمع عرفة توبيخها صاح فيها «أقصري يا فاجرة يا عتوقة أهبل هذا الكلام تخاطبين والدك؟ ... والله لولا حرمة البنوة ولو لات يقال أني قلت فدأة مزجت دملك بهن المياه ... ولكنني لا أعاملك إلا معاملة صبية جهنا ... وساً صبر عليك هميه إعراض عليك المعادة مرة أخرى فاذا أتيت إلا مابدا من وفاحتك فنانتك بهذا الخبر ...» قال ذلك واستل من معلمته خبرًا لم نصله كالبرق ... فلما رأت النصال تعرضت لوالدها وقد حسرت ثوبها عن صدرها وهي تتول «اضرب ... اغد خبرك في هذا القلب ... اطعن ... فكانك تخويفي بالموت ... ولموت احب المي بعد ذهاب حبيبي وثابة أمي ...» ثم تراجعت وقد غلب عليها الشعف النسائي فجلست وعادت إلى البكاء ... فلما رأى منها ذلك العناد صاح فيها فائلاً «اهن شيبة التعب الذي تعيشه في تربتك يا عتوقة يا فاجرة ... نعم قد حل لي فذلك ولكنني لا الورث يدي يدمك وسترين قبل موتك جميع اصناف العذاب ...» ثم صاح «قبر» فاقبل ذلك العبد باسرع من لمح البصر كأنه كان في جوب عرفة واخرجها بيته ... فقام قبر «لبيك يا مولاي» ف قال له «شد يدّي هذه الخائنة بالأمراس وقيد رجلها بالحبال وسار بها عافية العناد» فلقد قبر ... فلما رأته سمية متبلأ وثبت من معدتها وصاحت فيه «اذهب يا عبد السوّ ولا تدن معي ... أبعد عني قبح الله وجهك ...» قالت ذلك وهي لاتعي ما يقول أما قبر فاستخرج من جبو حبلًا كان قد أدعى هناك وهو لا يالي بصياغها وأقبل إليها فقبض على يدها وهي تحاول التخلص منه وقد اشتد ساعدها حتى صارت مثل أشد الرجال ونبت حزبها ومرارة نفسها وعادت إلى الدفاع وقد قبر يحاول اخضاعها بلا ع忿 ... فلما رأها تدافعه وتناوبه عول على استخدام العنف فصاحت فيها صبيحة دوت في ذلك البر دورياً عظيمًا وجلدها من يدها فلطم رأسها بمعود الحيبة فوقعت مقطعاً عليها كأنها مائدة فأخذ ذلك عبد النجس في شد ونافقها وهو لا يالي بعطاها

الفصل المتابع والثلاثون

— سر الامر —

وكان الخدم قد سمعوا صياحها وصياح والدتها فلم يجر أحد منهم على الاقتراب من الخليفة الا امة الله فانها هرولت خلسة واستترت وراء نخلة حوضاً عشب العليق ولبسه تنسج ما يدور بيدها . فلما رأت قبرها وثب عليها علمت ان سيدتها عرضت نفسها للخطر ثم سمعت اطعنة عندها سكوت لخافت ان يكون قد اصاب سيدة سوداً فلم تر سبيلاً الى استئنافها الا بالليلة فاسرعت الى عربة وترامت على قدميه وفبلها وقالت « يا الله لا أشتقت على سيدتي واغضبت عن جسارتها وانا اخمن لك كل ما تزبد منها » .

وكان عربة امها يعامل سيدة بذلك العنف حتى يهون عليهما التبول بالمجاج لانه يرجو من زواجهما وملائكة كبرى لنفسه . فقد ذكرنا ما فطر عليه عربة من حب الذات والطبع مع سوداوية وقد بلغ منه الطبع حدّاً هوّن عليه بذل ابنتها ضحية على مذبح اغراضاً وقد مات ضميره فلا يهمها ما يرتکبه في سبيل اقتصاد مذاصه . فكان يعلم ان المجاج يحب الزواج بسيدة وبدل ما هرماً كبيراً او لكنه كان يخاف ان تشکوه لميد الملك بن مروان بواسطته سكينة بنت الحسين او غيرها من اهل الوجاهة والنسب في المدينة فلما اطأط من مقتل محسن على زعيم اخوه طارق بن عمرو امير المدينة ان بذل ابنته لا ثالث يغير المجاج ابن يوسف فإنه يعلم برشحه فيها . وكان طارق ايضاً مثل عربة قسوة وطريقاً وله مطعم في مصالح الدولة ولا يهانى له ذلك الا اذا تقرب من المجاج بما يهمه فرأى ان ينفرب اليه سيدة فتحظها الله ويجهلها ابوه . فرغب عربة بذلك وهو راغب من ننانه . فتسو وساعده على القلاص من حسن ودفع ابو بعض المال من أصل المهر على ان يتبعن الباقى بعد وصولها الى المجاج قرب مكة .

وكان عربة من الجهة الاخرى يعلم بتعلق ابنته بحسن ونورها من المجاج وغيره وكان يتوقع اباها فيها االسباب المساعدة على اقناعها بأبيه وسيلة كانت وتواتد هو طارق ان يخرج بها الى قرب المعسكر وينحاول اقناعها بالحسنى فاذ لم تقنع عمد الى

العنف فيهم، لها الله، أنجحاج ولو موشنة ولم يكن هو يبني الذهاب معها الفرض له في المدينة بتعليق بذلك، الحقة السرية وإرادات اقتناعها خارج المدينة ثم ارسالها إلى مكة مع طارق معاذفة اذا فعل ذلك في المدينة ان تار الى سكينة تتبعجي، اليها فاما ان تخبرها عندها او تساعدها في ابلاغ أمها الى عبد الملك بن مروان قبل وصولها الى الحجاج . أما بعد ان تسرى الى مكة وبزوجها الحجاج فلا زهود لها سهل للشكوى . وهب انه كان لها سهل بذلك لا يهمنه بعد ان ينال هو بيته ولذلك فانه أوصى طارقا ان يكتب الحجاج كتابة لها وبزوجها حال وصولها حتى ينفع لها كل أمل في المخاجة . وبناء على ما تقدم امثال عرقية في اخراج سمية الى هناك . فلما رأى اتكارها ما عرضه عليها من امر الحجاج امر عربك فغيرا ان يشد وثانيها كما تقدم وخرج هو من المخاجة لا يلتفت اليها

فلما لقيته امة الله وترامت على قدميه ووعدهما باقتناعها نادى عبيش فخرج وامراة الله فدخلت المخاجة وجدها فرأت سيدتها سمية العيون وقد خرج ذلك الاسود ولم يهبه امرها فبادرت الى ركبة من جلد عاتنه بمعود المخاجة وفيها ما فرشت سمية حتى أفاق ا وكانت في حل وثانيها . فالفتحت سمية فرأت جاريها فوق رأسها وهي تقبلها وتحاول انتهاها فارتندت روحها اليها وجلست وهي تسبح الماء عن وجهها بكعبها فقالت امة الله بصوت مبتخلض « ماذا فعلت بسديك يا سيدتي ما الذي أراه فيك »

فعادت سمية الى البكاء وقالت « أنساً ليوني يا امة الله عن سبب ما ترين في وقد مات حسن .. حبيبي .. فتلقاً قبض الله القبور الظالمين »

فقطاعت امة كلامها ووضعت يدها على فمه وهمست في اذنها ان اخففي صوتك لتدبر في هذا الامر بالحكمة لان العنف لا يهدينا نعمك »
قالت سمية « دعوري يا امة الله .. فاني لا اريد الحياة بعد مقتل حبيبي ومحري نسي .. منهية فوادي حسن .. قتلاوك .. لعهم الله .. لماذا لم يتناولني عوضاً عنك ؟ .. »

فتفطع قلب امة الله على سيدتها ولكنها كانت عافلة وحكمة وصاحبة دهاء فتبالت وقالت « من قال لك انهم قتلوا .. »

الفصل الأربعون

أمة الله

قالت انساً لياني ؟ .. رأينا جملة مكسورة بجوراً فقلت لعلة غير جلو او انت وجود الجمل لا يدل على خطر .. ولأن ما قولك وقد اخبرني هذا الظالم المخائين اننا قُتل وقد عرض علي ان يربقي جنته رأي العين فهل بعد ذلك من شك ؟ .. أنت لو بیني اذا ندب حياني ونخت على شبابي .. وهل ترين سبلاً لراحي غير الموت ؟ ..

قالت الجاربة « مها بلغك من أمر القتل فلا يمكن ان نهدء في عمل البنين لعمل برغبة والدك بتزويجك بالحجاج طبعاً بالمال فهو يظهر لك انه قتل لكي بحول قلبك عنه ومع ذلك فان نفسك أمر مستدرك ولا يجوز لك ذلك الا بعد ان شفتي انهم قتلوا حبيبك .. وأما الان فانا لا ازال في عمل القلن وهي انك تریدن الانتحار لتفصي من الحجاج فاصبري الى المشي فإذا لم يفتح الله عليك باباً للنرج ورأيت الحجاج أوشك ان يبلغ مرانه منك فقبل وصوله اليك تخريبي سأ وافقني نفسك »

قالت « ومن أين آتي بالسم »

قالت انا اكون معك .. اشرطي على أيك ان اكون انا في خدمتك وانا اهي « لك السم وبقى تخففت وقوعك في اليأس اجرعك السم وأخربه انا ايفا .. ولأن دعي التصلب وتظاهري بالرضاه ولا بعد ان يفتح الله علينا قبل وصولنا الى هذا المسكرا او قبل وصولنا الى مكة او لعلنا نجد حسناً وفن في الطريق فندعوبون اليه .. فلا يلق بك ان نعطيك نفسك العنان .. ماذا يكون شأنك اذا قلت نفسك وحسن لا يزال حياً وهو يهد لك اسباب السعادة ؟ ..

فلا سمعت سمية كلام أمة الله احست بالشرح صدرها وارتاح بما وعادت اليها الآمال .. والانسان سريع الرجوع الى الامل لأن طبيعة الوجود تبعث عن اليأس وحب ذاته يهون عليه الرجوع عن الانتحار حباً في البقاء لان المرء منها يكن من يأسه وتصفيده على الانتحار وهو في حال هياجو وغضبو لا يابث اذا سكن هياجه ان يندم على ذلك التصفيه ويندر ان يرتكب احد جرية الانتحار بعد اعمال الفكره والتبصر

وكان كلام أمّة الله نوع ثدید على قلب سبیة واستحسن رأیها في الصحر فقالت لها «أعفی ما بدارك فالله تعرفون ما في قلبي فعن ان يأتني الترجم على بذلك ...» فسرت الجبارية لحجاج بهمها باستثناء سيدتها ولكنها شعرت بحلول الموقف وترجم عددها موت حسن . على اهابها عولت على الصبر وخرجت الى سيدتها وكان وافقاً مع عنده تحش خلة فلما رآها خرجت أوما اليها ان تدنوهانه . فمشت طرفة عن موقعه فلهم اهابها تربى الاخلاص . ثم فتشي وحده حتى التقى فنالت «أني رأيت سبیة مصطفیة أمرك بكل ما تربى لكها استوحشت من معاملة قبر فلا ندعة يخاططها او يكلها . ولا يخفى على مولاي ان من كان في حال سبیة لا يُؤخذ بالعنف وقد خاططتها الآن بالذين فرآبها لانت ولا بد من جلسة أخرى أتم بها المراد . فإذا كان لابد من ارسالها الى معسكر طارق اليوم فامرها ان تكون انا في خدمتها حتى تأتي اخراج ولدك عيٌ كل ما يدرك ...» فاضطرر بالعرفة وهان على ابعاد قبر عنها واطاع امة الله في ارسالها منها وقال لها «لا بد من ذهابها الآن الى خيره اعدوها لها في معسكرهم ولا آمن ان تسير وحدها فاذهي انت معها طاكدي لها اني لم افعل بها ما فعلته الا رغبة في راحتها ...» فقبلت امة الله يده وقالت «بارك الله فيك ولكن سبیة تحتاج الى استئثار ثيابها وادوابها ...»

فقطع عرفة كلاماً وقال «كل شيء معذ له في خدمتها بالمعسكر ولا تحتاج الا الى الرجوع اليه» فنالت امة الله «ادخل الآن الى الخربة وكلها كلاماً يطعن خاطرها ...» قالت ذلك ومشت فتشي عرفة حتى دخل الخربة فرأى سبیة جالسة باكيه قد ناما منها وامست يدها وقال «لند سامي ما اجهاني اليه من الكلام الجافي ولكن ظاهر لي من امة الله المك فقلت ذلك بالرغم عنك فانه يهي وسوري معها الى خيتك في المعسكر وقد اوصييها ان تراففك وتخلص الخدمة لك ...»

فيهضت سبیة وهي لا تزال مطرقة فاسرعت امة الله الى يد عرفة وقد ناما الى سبیة وهي تتول «فلي بد والدك لي تم رضاوه» عليك «فنبهها . فنبهها هو وكان الموج لا يزال معدداً فاركتها امة الله معها وركب هو بغلة وسار امامها حتى اوصلها الى المعسكر وسلم الجبل الى عريف الجيد . فاستلم العريف خدام الجبل وسار بهم الى خربة في بعض اطراف المعسكر

الفصل الحادى والرابع

ثبوت القتل

وكان سبة في اثناء الطريق غارقة في الموجين وقد زال ما اثر فيها من كلام امة الله وخصوصاً لما مررت بالمكان الذي كان الجبل مكسوراً فيه فرأيت بعض العيد قد نحرروا الجبل واشتبهوا بسلخ جلده فتصورت انهم كيف قتلا حسناً وحرروا جلداً وعلم عابها الامر ولكنها صبرت نفسها بالرغم عنها وامة الله ترافق حركاتها خطوة . وبعد هيبة وصلوا الى المعسكر فخفقت سبة اتها وفتحت في الشباك — وتناول اذا زوجوها برجل تعرفه وترضاها لا بد من استبعادها في اثناء ايامها الا اذا كان زواجهما عن غرام متبادل — فكيف سبة وقد قتلا حبيبها (علي رعنها) وداعها والدعا لرجل لا تحبه والناس يتحدثون بعساوته وشدة تو . والرجل في تلك الايام اذا كان قاتلاً كان اكثر ما يكون شدة على اهل بيته لشروع الساعنة المفلكة بهم فكيف بالمجاج وامن نافذ لا مرد ولا

فلما وصل بغير سبة الى الخيمة المعد لها اناخوه وازلواها وامة الله في خدمتها فدخلها الخيمة فرأيت سبة صندوقها وفراشها وكل معداتها هناك فجلست على ساطع كأنها قد قرتش لها في ارض الخيمة فلم يقط الا بعدها . وجالست امة الله الى جانبها اخراجها وتلطفها وسبية نظرها الى خارج الخيمة وتشاغل بما تراه من حركات الجندي والعيد والجبل والجمال وهي مستغرقة في المسموم . وكان في جملة ما شغل ذهنها كتب رأى بهش خرقه سوداء وبلاعيبها بين يديه فبقيت هم بعد في اثرها عدوه الى فربية على عادة الكلاب اذا تم تك جائعة . فانتفت ان الكتب قذف فربست فوقعت بين يدي سبة وحالما وقع بصرها عليها أجنحت وختق قلبها ودت يدها فقر الكلب من امامها . فامسكت الخرقا بالثديين ورفعتها وتفرست فيها فاذما هي ملئه بالدم . وما لبثت ان قلبها حتى صاحت وباء هذا هو القبر هذا هو قبرها . والذى الذي قتل حسناً

فتناولت امة الله من يدها وقد عرفته ولكنها جعلت تغالط سبة لخفف عها فقالت «كيف عرفت انه قباوه . ولما قيادة قد شهاده » . فنطمط سبة كلامها وقالت « قد عرفته من هذا الوشي على هذا الكم فاني طرزنا يدي

وأنا أعلم الناس برسمه» قالت ذلك وشرقت بدموها ولم تنظر جواً من أمة الله
وأخذت نكي وتقول «فقلوا... لم يبق عدي شيك ينكلوا...»
قطعت أمة الله كلامها وقالت «وما علاقة هنا النبا، ينكلوا ٤٠٠»
قالت «ألا تذكرين أن الذي أهداء أيامه يوم عزوه على السفر والمع» عليه يلسمو
للوقاية من البرد... ويل لله من مشهد يوم عظيم... أليس أيامه وأوعزاته من يقتلها
وكأنها تأخذ النبا، دليلاً على فاصابوا غرضهم... وهذه هي بنية النبا، وعليها
الدم... فهل من شيك أتهم فنكلوه؟ فما العمل الآن... كيف نسلم أنفسنا إلى أهال فنكلوا
حيبي؟...» قالت ذلك وغضبت برتبها

فقالت أمة الله «سلي امرك إلى الله ولا تأس من رحمة الله... وإن لي أن ما يقدره
الله فهو كائن... وأصبرني فإن الله مع الصابرين»
فلم تر سمية غير الصبر فصرت نفسها... ولله ولله قبل وقوع المهمة يوم أنها إذا وقفت
تحبلى عليها أهنتها وقد ينوم ذلك أيضاً أهله وذويه ولكنها مق وقفت لا يعدم سبلاً
لا حناتها في الصبر عليها وإنما هذه الحوادث كبيرة تراها كل يوم... فلا غربى إذا صبرت سمية
بعد ما تختلفها من مقتل حبيبها

وفي أصل ذلك اليوم تودي في الجند - الخيل بالرماياها - فركبوا بعد ان فوضوا
الخواص ومشت الفرسان إلى الأمام وأصحاب الرایات بهم وفيهم رؤساء النبائل مجتمعون
بطارق بن عمرو وكاهم بلياس أهل البادية الأّ هو فنان ليس درعاً فارسية كان قد جاء
بها من العراق

اما سمية فانيت حلوها على هودج وبعها خادمتها وبنود خطاطم الجبل عدد وبسوقة
عدد والتي كل من الجاذين فارس على هجين... وكانت طارق يتردد إلى المودج
بعهده ويسأله أهلة هل يهداجون إلى شيء ثم يرافق فرسه إلى اطراف الجند يتنقق
وبدر شوشونة

الفصل الثاني والرابعون

— عبد الله —

فلترى سمية في هودجها تذكر في صدور امرها ولترجع إلى المدينة للبحث عن عدائه

خادم حسن فقد تركاه راجعاً من بيت سكينة بعد ان اوصل سمية البو . ثم سمعنا امة الله تخبر سمية انها جاء منزل والدها لسماع اول عنها فلم يجدوها فرجع على اعتابه ثم لم نعد نعلم ما اصابها . وخبر بر الخبر ان عداته لما رجع من بيت سكينة اسرع بالاقاتة سرور خارج باب المدينة وقد اشتعل بالله سمية وما سمعه من حدتها مع حسن في تلك الليلة وهو واقف بالجبل على جهة . وتصور ما يحده بسيط من الاختصار فضلاً عن شاغل الحال . فصار منه وهو غارق في هذه المواجه و قد نسي نفسه فأخذناه الطريق وخرج من باب غير الذي خرج منه حسن وسار من طريق آخر بوادي الى جهة اخرى . وكثيراً ما يتنقل ذلك في مثل هذه الحال فيقه الرجل شيئاً وهو يعتقد انه يمير غرباً . وبعد مسيرة ساعة وهو لا يرى راكباً ولا يسمع صوتاً وقد اشتد الظلام وقف ونظر الى ما يحده وفأذا هو بين التحيل لا زرى الطريق ولا يدرى اين هو . ولم يكن يعرف الاستدلال بالكتواب فتولى سره الى جهة اخرى فلم يصب المكان . وكان كلما بعد عن المدينة استدل اليها بعض ما يدو فيها من الانوار فورجع الى جوارها . وحدثنا ننساء دخوطها ولكلها خاف ان يكون سيدة في انتظاره بعض ضواحيها . ثم خطر له بهذه ان سيدة رها عاد الى بيت حبيبه لسبب من الاصوات فرجع عداته الى المدينة وجاء منزل عرفجة فلم يجد سمية هناك كأنها تقدم . فعاد الى خارج المدينة وقضى ليلته في هذا الالدطاب . وقبل الغروب جمعت جمل بنائمه فأقبل الى جهة الصوت وقد اشتبأنس به لانه يشنه صوت جمل سرور . فناداه بما تعود ان يصاديه و من الاصوات فازداد الجمل جمعة وهو ياتي مكانه فأقبل اليه فإذا هو الجمل بعيوبه ولكنه لا يعطي المuros فادرك انه متور فغاص عداته في الماء حتى دننته فدار الجمل رأساً الي بوكياته بعيوبه وينتهي فلما لحقته انه متور ولم يجد حسناً عن الاختصار وانشغل بالله فاسرع الى الرح فنزله عنا ووقف منه وهو يذكر في ماذا عن ان يكون من امر حسن . واشتبأنس الاختصار والقلق ولم يخاف له ان يسأل عنه في بيت عريفة لانه لم يجيء هناك بالامس وخوف اذا سأله سمية عنه ان يزبد بلياتها بلا طائل . فخاف له ان يسأل عنه في المكان الذي ياتي فيه ليلة وصولها المدينة مع اولى الاخوية فصار ومرة في أيام سبعين ينزل عريفة فتنة الاخبار فلم ير اثراً لحسن ولم يشاً ان يسأل سمية للباس التي قدرناها فواصل الدبر حتى اني الهمت فلم يجد احداً ثقلاً وقد اخذ الثعب من اماخذ اعظمه وضع الرجل بين يديه وجعل يتش فو فوجد في جيبه اسعاوانة مخنوسة وعابها اسم عداته

ابن الريبر فعلم ائمها الرسالة التي بعدها حضرت الى مكة . فلما رأىها زاد فلتة وقل في نسو لوان حسان ترك الجبل بالخبراء لحمل هذا الكتاب معه لانه ائمها جاء هذه الديار من اجله . فترجع لدبواه قتل او اصيب بشر عظيم فقضى بهاره ودوله يذق طعاماً — تارة يذهب مولاه وطهوراً يهال نسسه بلقياه . ولم يغادر سوقاً ولا درباً من دروب المدينة الا مر بها وهو ينشرس في وجوه الناس وينقسم الاخبار فلم ير الا ان هناك الناس اعداد العجقة للحجاج هلاً بها حملة البريد اليهم . وبات تلك الليلة في المدينة وهو يذكر في ماذا يحمل فقر رأية اخرين ان يجعل كتاب خالد الى عبد الله ابن الريبر في مكة فيما لم يفهم المهمة التي جاء حسن من اجلها على ان يبحث في اثناء ذلك

عن سيد

الفصل الثالث والرابعون

﴿ عبد الله بن الريبر ﴾

هو عبد الله بن الريبر بن العوام أحد كبار الصحابة . وكان لما توفى معاوية وصعد لامنه يزيد قد أنكر ابن الريبر بعنته كما انكرها الحسين بن علي . وخرج من المدينة الى مكة ودعى كل منها بالبيعة لنفسه . ولكن عداته لم يكن يتظاهر بذلك والحسين في مكة لعله اهلاً أولى منه بها . حتى اذا كان ما كان من شخص الحسين الى الكوفة ومتى تو في كربلاء خلا الجبو لان الريبر في المجاز فباعمه الناس واستخل اموه وجعل عاصمة مكة وبايعة اهل المحاجز والابن . ففقط امر على حق امية فخاروه مراراً فلم يلتفوا فلما كانت خلافة عبد الملك بن مروان حاربه ايضاً لم يبلغ منه وطراً

وكان الحجاج يومئذ اميراً من امراء عبد الملك ولعبد الملك ثلة في شجاعه وكان الحجاج راغباً في الخروج على عبد الله فاختال على عبد الملك برسوها قال انه رأى نفسه فيها قد اخذ امن الريبر وحلها . وطالب بن عبد الملك ان يخصه اليه فشخصه في ثلاثة آلاف من اهل الشام . واعطاه كتاب امان الى من الريبر ومن معه ان اطاعني ولو صار ان يرافق بالكمبة

فصار الحجاج سنة ٧٣ « وحارب ابن الزبير في مباوشات لم يتم التوز فيها الاحد الجانين فلما الحجاج من المطاولة فبعث الى عد الملك سهلاً ذئنة في دخول الحرم وحضر ابن الزبير فاذن له وتجده يضممه آلاف آخرين فائتى اذر الحجاج فصر الهمة ورميها بالتجهيز . فعظم ذلك على المسلمين وابووه عليه . ولكنه لم يكُن يرى سهلاً الى التوز الا بـ وطال الحصار على اهل حق قل زادم واصاهم جوع شديد . وكانت مكة موطناً قليلة الابية ليس فيها غير المسجد وفي محيط المسجد وبعض الابية . وكانت الهمة قد تهدمت في حصارها قبل عي . الحجاج فاعداً ابن الزبير ساهما على اوضع ما كانت عليه . وذهب الحجاج المجهز على جمل اي قيس الشرف على مكة من جهة الشمال والشرق وكانت ابن الزبير متيناً مع اهله في المسجد الحرام ومعه جماعة من رجاله قد يابوه الى الموت وهو صبر الرجال . واما الحجاج فكان من جملة مسامعه في تهريق الحصار على عدائه انه بعث سراياه يطوفون حول مكة يهونون الدخول اليها بالخروج منها . ولما طال امد الحصار على الحجاج ولم يسلم المهاصرون استبعد خارقاً أمير المدينة كما نقدم

الفصل الرابع واللاربعون

محمد بن الحنفية والختار

فانبرى الى حصن بعد ان تركاه وقد خرج من المدينة على جمل اهداء اياه ابو سليمان وعمر العبد بلال . فبعد مسيرة أيام اشرف على مكة نحو القروم فرأواها محاطة بشرذم من الناس يطوفون حولها . فقال بلال « اني ارى العذلان الاموية حول مكة ولا امن اذا واصلنا السير ان يهونوا وهم كثيرون فهل تاذن لي بالخروج اليهم والاستهاب عن حالي ثم اعود اليك ؟ »

قال « حسن سر ولا تجعلني فاني انتظر وجودك على سجل بمحاسب هذا المهاط » فمشى بلال وتحول حصن يحمله الى جانب خط بعيد عن الطريق العام كانه اثر بنا . قدم وترجل وعقل جملة وراء المهاط وانكما الى جانبه بحيث لا يراه احد من المارة . ولبس منه وقد طالب له الانكما لعلم ما قاساه من الجيد في أثنا . ركوب الطوبل من المدينة الى

مكة فاحس برأسه لذلة وآكلة ما يثبت أن رأى الشخص تقرب والاختلال تناهى وبلال
لم يرجع . فلما آتى الشاه أمهاتاً وحبيبها لتأخر غير حمام ووقف ثم نسلى المخاطط
وجعل ينظر إلى الأفق لعلها يرى فادحاً
وفيما هو يذكر في أمر سبع نجحة بلال فالتقت فرآه فادحاً بعد وعد الغزال والارض
رمليلاً ليس بمعن وقع المخطئ عليها . فلما وصل بلال استطلع على حسن الخير فنال لا سيل لها
إلى مكة الليلة لأن رجال المجاج مدينون عليها من كل ناحية حتى لا يدخلها أحد ولا
يخرج منها أحد »

قال حسن « وما الخير ؟ ... لا بد من دخولنا »

قال « الخير يا مولاي إن نصر إلى الغد لا يبحث عن سبيل لدخولنا ... »

فقال « أتني وراء هذا المخاطط إلى الغد ؟ ... »

قال « كلام يا مولاي ... فقد دررت وسيلة أطيافها تربك وتمهل عليك
الدخول ... »

قال « وما هي »

قال « أتعرف محمد بن الحنفية ؟ »

قال حسن « أليس هو ابن الإمام علي بن أبي حاتم (١) وإخا الحسن
والحسين من أطيافها ... ؟ كيف لا أعرفه ... »

قال « إن ظنا الرجل حرمة عبد المجاج وعده ابن الزبير فلعلنا إذا وسعناه دخلنا
مكة على أطوان سهل »

قال « كيف تكون له هذه الحرمة وهو عدو لابن الزبير ولعبد الملك جرمياً لأنها
بسامق الأول على المخلافة في الجمار وبسامق الآخر على المخلافة في الشام ... لم يسع
بحديث الجنار ؟ ... »

فقال بلال « كيف لم يسع ... »

قال حسن ولم ينتظراه جوابه « ألم يكن الجنار مطالباً بالخلافة لمحمد بن الحنفية
ثم قتله ، صعب أخوه عبد الله بن الزبير وأخوه العزير منه لا يحيى عبد الله المصدور في هذا
الحرم الآن حتى جاء عبد الملك بن مروان بتننم وحارب صعباً وقتلوا واحد العراق
منه ؟ ... »

قال « صدقت يا مولاي في لا اخالك بهذا الامر ولكن اخبار طلب البيعة لابن الحنفية هذا وهم يكتبه ذلك ولا أراده وإنما أراد المختار الالتفاء إلى ولد الامام علي للاستقلال بالامرينسو ... فحمل ذلك الكرسي المشهور امنع عد الناس كافة وقال ابن كرسي الامام علي قادعي ما يشبه الدين حتى كرهه الناس ون拂وا منه ... »

فقال حسن « هل رأيت ذلك الكرسي وهل تعرف اصله ... ؟ »

قال « ان سر هذا الكرسي عدي وطالما جلست عليه قبل ان اصبح مقدساً كما ادعى المختار ... »

قال « وكيف ذلك يا بلال؟ ... يظهر في ذلك واسع الاطلاع ... »

قال « ان الذي يعيش طويلاً يا مولاي يرى كثيراً ... فقد اتفق لي منذ بضع سنتين وانا في المدينة اني اصطحبت رجلاً اسمه الطبيل بن جعده بن هيره ... وكانت محابي بيتو رجل زيات كان يتزداد الطبيل اليه اتردد انا اليه ارجوأنا فاتنق ان الطبيل اصعب بضيق ولم يبق معه ما يتنفس على نسمة ... وكان المختار يومئذ قد قام بخاربة قنة الحسين فاراد الطبيل ان يجد احال حيلة يكتب بها مالاً وكانت جدته ام جعده اخت علي بن ابي طالب وكان عدد جارة الزيات كرسي فقدم فدر ركا الوسخ فاخذه من الزيات وغسله فخرج عود نضار قد شرب الدهن وهو يلمع ثم ذهب الى المختار وقال له اني كتب اثلك شيئاً وقد بدا لي ان اذكر لك ان امي جعده كان يجلس على كرسي عدتنا وبروى ان فيو اثراً من عني ... فتلقى له المختار سجاناً فلما اذاره الى هذا الوقت امعت بو فعمت بو اليه وقد غشاه بلاء فدفع له اثني عشر الف درهم ... فاخذها الطبيل وانصرف فاخذ المختار الكرسي فخشأه بالديباج وزينة بأنواع الزينة ودعا الناس الى المسجد وبعد الصلاة قال « ان هذا الكرسي من ذخائر أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو عدنا بتراته الثابتة لبني اسرائيل فصدقوه وصار اذا حارب خصومة يضع الكرسي سباً برأسه الصف وبنول ... فاقاتوا وتم القتل والنصر وهذا الكرسي تحمل فلكم محل ثابتة لبني اسرائيل وفيه السكينة والبقاء الى الملائكة من فوقكم ينزلون مددًا لكم »^(١) ولكن هل نظن يا مولاي ان محمدًا كان بصدقة وبريد ان يدعوا باسمه ... ؟ ولذلك يعرف ابن الحنفية بليل عن ان يقبل بذلك الدعوة ... »

فقطع حسن كلامه وقال « العنك تعرفة يا بلال معرفة جيدة ... »

قال «نعم يا مولاي ... وقد شهدت منه كثيراً ما ينافي الناس من احاديث
نحو البدنة . واذكر انني رأيتها في حياة والد الامام علي وكتب غلاماً وبيه بد ايوب درع
طوبية فاراد ان ينفص بعض حلقاتها فلدهما الى عبيد هذا وامر ان ينفص بها كلها
وكذا حلقة قبض محمد باحدى يديه على ذيلها وبالآخر على فضفافها ثم جذبها فنقطعتها
من الموضع الذي حد ايوب^{١١} وقد شاهدته مراراً وهو يعرفي ايضاً ...»
قال حسن «وهل انك تعرفه او يمرفك في الفرض من ذلك ؟ ...»
قال «الفرض من ذلك انه مني الان في الشعب بجوار مكة^{١٢} فإذا ثبت
ترلي عنده الليلة ثم نرى ما يكون في الغد »

قال «وهل تعرف الطريق البو ؟ ...»

قال «عرفته في اثناء خيالي عنك الان لاني عاشرت نفسك ان لا ارجع قبل ان
ادر هذا الامر لكي تكون في راحة . فقد اوصاني مولاي ابو سليمان فوك اخيراً او اراك اهلاً
لذلك ... فانا خادمك حتى تصل مأمرك ... ونفرغ حاجتك مني »
قال حسن «بورك فوك ...» واخذ بيده رحمة للركوب وبالليل بساعته وبنول
«اني اري مكة في ضيق شديد واخاف على ابن الريح من عافية هذا الصبر فان
الامورين - يقولون على ما ارى »
فذكر حسن ما هو قادر من اجله وخاف الفتن ولتكن صبر نفسه ربها يدخل
مكة في الغد

الفصل الخامس والاربعون

شعب علي

ثم ركب حسن وسارا وملكة الى بسارها حتى اتوا ارضاً صخرية مشياً بين شفوقها ثم صعدا
نزلان وبلال الدليل وحسن لا يعرف الى اين يسير . ولكنه مالبث ان رأى ناراً فعلم انه
اشترى على الشعب والمار نار القرى على جاري العادة عدد العرب . وتم ان يسأل بلال

(١) ابن خلكان ج ١ (٢) ابن الانباري

عن ذلك فإذا هو يقول له «أنا على متربة من الشعب وعاقل قليل تدولها الحيام ونفع
صهل الخيل». قيل تردد أن ينزل في دار الأضياف رأساً أم تهدى خيبة الامر برئاسته
وخطاطبة في أمر دخولنا مكة»

قال «أخى ان يكون في مسيراها الى خيمته ما يزعجه والاليق بنا ان نصاعدا
في الغد»

قال «فلذهب اذا الى دار الضيافة فائهم لا يسألون القادر اليها عن سبب قدومه
ومن أصعبها ربي ما يكون وربما خرجت أنا الذهاب لا دربر الامر وإن مترجع
فأثنى حسن على غورتو . وبعد قليل باسته الحيام وهي عديدة متعددة على غير
نظام في نحو مدهشها فساطط كبير عرفا من اتساعه ووقف بعض الخدم يباوه
فساطط محمد بن الحسينية فوق بلاط برقه وهو يدرس في الحيام من خلال ذلك القائم
حتى تهون خيام الأضياف وقد عرفها من انزادها عن سواها وقربها من الدار . فقول
وحول الجبل حتى دوى من الخيم فهمها لغساً وكلاً . فعلموا ان الناس غير نائم . فترجل
حسن وسمنه بلاط الى اقرب الخيم فلائية رجل رحب به وسالة عن جهة مرح وطلب ابو
ان ينصح فاتسب و قال انتا اضياف غرباء . فائزها على الرحب والمسافة
وأدخلها خيمة ايس فيها أحد . فدخل حسن وظل بلاط خارجا بهم بالجمل فتناولوا بما
أحد الخدم واخذ الى المائدة وعاد بلاط الى حسن فذاه قد ادعوا له طعاماً فـا كل مـا
بود للاستراحة فـا سـاذهـ بلاط بالخروج على انت يعود بعد قليل وينام بباب الحبـة
ونـسـ حـسـنـ عـلـيـ فـراـشـ مـنـ جـلـدـ فـرـشـهـ لـهـ وـكـانـ النـعـمـ قدـ أـخـذـ مـنـهـ مـاـخـذـ عـنـهـ
فـلـبـ النـعـاسـ عـلـيـ فـنـامـ سـرـعاـ وـكـانـ هـنـاجـهـ لـمـ تـمـ مـعـهـ تـحـولـتـ الـاـحـلامـ مـزـعـجـةـ فـنـهـوـرـ
المـهـةـ الـتـيـ جـاهـهـ وـأـنـ دـخـلـ مـكـةـ وـأـدـخـلـهـ اـنـجـاجـ وـفـسـ عـلـيـ وـحـسـ وـاغـلـهـ بالـحـدـيدـ فـنـ
ذـلـكـ عـلـيـهـ فـاـ زـعـجـ وـأـفـاقـ مـنـ نـوـءـ مـذـعـورـ اـقـشـكـرـ اـهـلـ لـانـ ذـلـكـ كـانـ فـيـ الـحـلـمـ وـلـكـهـ نـذـامـ
مـنـ وـغـلـبـ عـلـيـ الـأـرـقـ فـجـمـلـ بـتـلـبـ وـالـوـمـ لـاـيـأـنـوـ فـأـرـادـ اـسـدـعـاهـ بلاـلـ لـمـلـهـ يـتـصـ عـلـيـ
خـيرـاـ يـتـسـلـيـ بـهـ رـبـاـ يـطـلـعـ الـهـارـ وـتـذـكـرـ اـنـ تـامـ بـابـ الـخـيـمةـ فـادـهـ فـلـمـ يـجـبـ فـظـةـ سـنـفـرـةـ
فـيـ الـنـوـمـ فـنـهـضـ حـتـىـ أـنـ الـيـابـ وـرـفـعـ السـجـفـ فـلـمـ يـجـدـ أـحـدـاـ فـالـلـهـتـ اـلـيـ الـهـاـ وـيـدـرسـ
فـيـ الـلـيـوـمـ فـلـمـ أـنـهـ فـيـ الـمـزـعـ الدـالـكـ مـنـ الـلـيـلـ فـأـنـتـعـلـ بـالـهـ عـلـيـ بلاـلـ . فـالـفـ يـرـدـنـوـ
الـيـ فـوـقـ رـأـسـ النـاـيـ لـلـدـفـ وـخـرـجـ يـبـثـ عـنـهـ بـيـوارـ الـخـيـمةـ

الفصل السادس والأربعون

→ قادم غريب →

وفيما هو بدور حوطا سمع جمجمة جمل قادم نحو الحريم فالتقت فإذا هناك جملان على أحدهما راكب في الثاني عليه شبه هودج يقوده، رجل ماش. ولم يستطع حسن تبيّن الوجه لاستدراك الفلام فتداري إلى ذهنه أن رجلاً وإمرأة وحاده قاده من الميت هناك إلى الصباح. ولكنها امتنطرت مسيرة في أواخر الليل بمحوار مكة وهي في حال المصار الشديد. فتحول حسن إلى خرس توقد كلها وفي نسمة الاحلاع على حنية التقادمين. وحب الألطاع في مثل هذه الحال طبقي قل أن بصير عنة الإنسان. فجعل حسن يقطعن من شفوق في الحنية تعال على التقادمين فرأى أن الجملين حال وصوفياً إلى المدرب أباها وزرل الراكب وهو رجل قصير القامة ثم يهاتو والثاني بعاهاته. وحالما ترجل جاء الرجل الذي كان مائياً ياتو الجمل فإذا هو عبد كبر الجندة سرع الحركة فاستلم العبد الجمل وعقله بعاب الجمل الآخر هو ياتو «أترى يا مولاي أن أبني أناها مع الجملين أم أسرير في خدمتك؟»

فقال له بصوت مخفي «امك أنت هنا واحتظ بما على هذا الجمل فإنه أعز شيء عدي كما لا يحيى عذرك»

قال «هل أسرير في خدمتك إلى خربة الأضياف ...»

قال «لست ذاهباً إلى الميت ...». امك أنت هنا ربنا أعود إليك ... فإذا ثبت الميت فلا بأس لكن احترس على هذا الجمل وما عليه ...» قال ذلك ومشى وكان حسن يسمع الكلام ويرى الاشباح ولكن لم يعرف أحداً على أنه ما زال بعنهائهم رجل وأمرأة وحادهما ونفع ان يرى الامرأة نازلة من الهودج فهو لنظر بعد ذهاب الرجل الى الهودج فرأاه لا يزال مجذلاً يقطعن ثم رأى العبد عاد إلى الجمل الذي يحمل الهودج وجلس ببطلو وانكأ على يطن الجمل ولم يك بمسد رأسه حتى سمع خبره وقد نام يوماً عيناً. فامتنطرت حسن مارأة وكان قد تعب من الوقف والشوف فعاد إلى فراشتو وذكر مفترض كأن قافية دلله على أمر بهمه. وسد أن جلس على التراش عاد إلى باب الحنية للبحث عن بلاط وقد انشغل سالة أهياه فأطل رأسه من النافذة وثبتت

بئه ويسرق فلم يجد أحداً وحال النظلام بيته وبين الاشباح العينة فعاد الى قرنيو
وقد غلب الارق عليه واحدقت الموجس به خوف شديدة تامة ان يخرج الى ذلك العبد
وإستفهم منه عن امرهم ثم قال ان يسمع منه ما يحيطنا فقال في تنهى « لو كان بلال هنا
لكلفتاه بهذه المهمة وكلامها عذاب بمهل التقادم بهما »

الفصل السابع والأربعون

كتف المعنى

وفيما هو في تلك الموجس سمع وقع انتمام خارج الخربة من جهة الباب فلم ان
بلال قدام وكثرة لم يشاً ان ينادي لا يتبه العبد النائم بجباس الجهل . فوقف ومسى
إلى الباب ونظر فإذا هو بلال بعده وقد انكمى فدادة فلما سمع بلال صوت حسن وتفت
حالاً وقال « ما الذي ابغضلك في اواخر هذا الليل يا مولاي »

قال وهو يدور اليه ان يخلص صونه « قد اسلماها لافت من ملة طوبية واستغل بالله
لغوايتك ثم رأيت بعض الناس ازليها جهنم وراها خيمتنا وظاهر لي من امرهم ما أبغضه
ولا يخرج كرني سواك »

قال « لديك يا مولاي ... ما الذي تبغضه من اني اطوع من بذلك ... »

قال « هل مررت من وراء هذه الخربة ؟ »

قال « كلاً وإنما جئت من هنا ... »

قال « تعال » واسككه بيد ووجه الى داخل الخربة وإداء الجبلين والعبد نائم تحت
الموجس على ما كان من امرهم الى ان قال « فإذا استطعت مخاطلة هذا العبد
والاستئهام مما عن غرضهم من هذا التقادم افعل ذنبي اشعره بذلك حتى اعرف ذلك »

قال « ذلك ثعون ما يكون على » قال ذلك وخرج من باب الخربة ودار حتي
دنى من الجبلين وحسن يتشوف عاد من شق الخربة فرأة زنبرق من العبد رويداً
رويداً حتى دنائنا وترس في وجهه والعبد نائم ثم انكمى بلال راجعاً و هو بروول مسرعاً حتى
دخل الخربة فلاذاته من وهو يعجب من رجوعه عاجلاً فقال له « لماذا لم تخاطله »

قال «لاني عرفته وعرفت حكابنه بدون قول»
قال «وكيف ذلك؟»

قال «اجس لاتص عليك هب غاي وفه ما يغريك عن كثرة البحث
نت في اول هذا الليل بباب هذه الحسينة ولكنني مالبث ان استيقظت واشتغلت بالتفكير
في مهربنا فلما اذما لم نصلع خداً مقابله الاير طال مكثنا . وخفت من الجهة الاخرى
ان يكون علينا يأس اذا عرفنا مدخلنا وخرجنا وغرفنا فرأيت ان اهدى هذه الغيبات
في هذا الليل وانت نائم فذهبت وبررت الى رجل من المفتر «ن الى الامير وقد عرفنا من
ايمان المدينة وفي عليوة دالة فلقت الرجل في خروجه بباب خدمة ابن الحسين ويدها طرق
مندوخ وقد زاد صاحبي ثقراً وكراية عندي حتى صار بدخل عليوة من باب خاص دون
سائر الناس . فلها اينه وحسب في اكرامي وسائلي عن امري فللت له اتنا جداً شمس
من الامير وسبلة تدخل بها مكثة . فوعدنني خيراً ثم اجلسي وجعل يسألني عن حوادث
مررت بها فذرياً وامرور بهلاك الاصطلاح عليها وكلما فرمت بالهوس اقعدني حتى طال في
الجلوس . وفيما أنا أم بالهوس سمعنا وفع اقدام خارج الحسينة على غير انتظار فاقعدني
صاحب وخرج وهو ينول امن الرجل (ناجية : انا عريفة) ولما اعرف رجلاً اسمه
عرفة كان يتردد على عامل المدينة وكانت اذا ذهبت الى دار الامارة رأيته . ففرجت
لاغنى ظلي فرأيت الرجل ملائماً ولكنني تخافته من هوى وقامتو ..»
ولما بلغ بلال الى هنا اتبه حسن الى الدهوت الذي سمعه من الرجل لما اذاع الجماليون
فخذل كرامة يشبه صوت عروفة فاخت واستقرت مهينة في هذا الليل وتبارد الى ذهوله
ربما علم بذلك وهو قباء الوثنية ولدى ابن الحسين . ولكن استبعد ذلك لعلوا انه ليس على
وجه اليسهلة رجل عرف بخروجه من المدينة غير سليمان واوه وخداده بلال وهو منه ..
ثم هب ان عريفة عرف بسرور الى مكثة فلن آخر انه في هذه الشعب . فما سبعة حسن ان
يكون قد جاء المكان لاجاؤ . ولكن عاد الى الاشكال بالموهوج وقال في سؤولاً يبعد ان
 تكون سمية فهو لان عريفة غير متزوج وليس عنده من النساء الا ابنته . ولما نصهر سمية
في ذلك الموج خنق فلبه وتصاعد الدم الى وجهه .. كل ذلك وبلال وائف بين
يديه ينتظر اشاراته لانه حديثه

قال حسن « وهل عرفت الفرض من تدوم هذا الرجل في هذا الليل؟»
قال «كلاً با مولاي لاني رأيتها بمحاطب صاحبي همساً فشعرت انه قد آن ذهافي

فرجعت ولها رأته صاحب راجعاً ناداني اليه وقال (موعدنا غداً ان شاء الله) فقلت الا
لا يزال على وعده فأتيت على ان انام بالباب ولا نشعر انت في الى الصباح . . .
قال « وما الذي رأيته في هذا النائم يجاسب الجمل »
قال « حالما دنوت منه عرفت انه قبر خادم عرقية وهو عبد سبع الخلق نظر
الطبع بعرفة أهل المدينة بذلك »
قال حسن « وما ظنك بن في الموج »
قال « لا أظنه هودجاً لها هونمة . . . ولا بعد ان يكون فيها بعض النساء او ربما
كانت فيه ابنة سبية لانا ليس له سوابها . . . »

الفصل الثامن والأربعون

ـ حديث ـ

فلا يسع حسن اعم حبيبو تحدثت الحسنة وذكر ان بلا لا يعلم شيئاً من أمره مع
سمة فضافت نسفة عن كائن سرّه وأكلة تجده وقال « انت هنا بمحل ابنته معه الى هذه
البلاد في هذه الاحوال ؟ »

قال لا اخالة يتعل ذلك . . . ثم هب انه حملها فلا أظنه كان يستيقنها محبوسة فهو ولا
يسع لها صوتاً واذا فرضنا انها نائمة فالعنزة لا تكتي للنوم لصغرها . .
فاطنان بال حسن من قوله سمية وأكلة ما زال منشغل الاختار في امر الحنة فاراد
ان يعود الى الاستئهام فاذ ابتلال قد ابتدره بقدرة وقال « لا ليس في هذه الحنة فتاة ولا
امرأة . . . قد تذكرت الان ان ملة الرجل تختنة قد احتفظ بها في منزله لا يطلع أحداً على
ما في باطنها فلعلها هي تلك الحنة واهل المدينة مستيقنون بعمرها سرّها »
فازداد حسن فلتراها لعمرها سرّ هذه الحنة ولكن هذا المثلك ضاع في قلبه على سبب مجهى
عنوان في هذا الليل . قال حسن « اي مي تذهب الى ابن علي »

قال « عبد طلوع الشمس »
فحتحول حسن الى المراش ورجع بلال الى مسامعه وقفيا ما تي من الليل بين يوم

ونظار وهو أحـسـنـ وـلـاطـلـعـ الـهـارـ بـهـاـ وـخـرـجـاـ إـلـىـ الـخـيـامـ فـالـتـتـ حـمـنـ أـوـلـاـ الـهـيـامـ وـرـأـ خـيـمـةـ فـلـمـ يـحـدـهـ أـثـرـأـ فـظـعـ عـرـفـعـةـ سـافـرـ فـشـيـاـ وـنـامـلـاـ بـفـيـ تـالـكـ الـخـيـامـ فـاـذاـ هـيـ عـلـىـ مـرـقـعـ مـنـ الـأـرـشـ مـتـشـعـبـ وـلـخـولـ مـرـابـطـ وـلـخـالـ مـسـارـعـ وـلـمـكـانـ اـشـبـ بـلـدـ صـغـيرـ وـذـ خـرـجـتـ الـخـادـمـ لـتـرـجـ الـجـالـ وـعـنـهـاـ وـعـافـ الـخـبـولـ

فـسـارـاحـيـ أـتـيـاـ خـيـمـةـ الـأـمـيرـ فـاـذاـ هـيـ مـنـ الـأـدـمـ وـلـكـهاـ وـاسـعـ حـقـ نـعـ عـشـراتـ مـنـ الـأـنـاسـ قـائـمـةـ عـلـىـ عـدـ دـرـيـةـ .ـ وـرـأـيـاـ بـابـ الـخـيـمـةـ مـمـدـلـاـ فـعـلـاـ مـنـ عـمـدـاـ فـيـ شـاءـلـ سـرـيـ فـحـوـلـاـ إـلـىـ خـيـمـةـ صـاحـبـ بـلـالـ وـهـيـ مـلـصـقـةـ بـتـلـكـ .ـ فـلـمـ دـخـلـ عـلـيـهـ رـحـبـ بـهـاـ وـادـخـلـهـاـ وـهـ بـدـرـ الـهـيـاـ اـنـ لـاـ تـكـلـهـاـ .ـ فـدـخـلـ حـمـنـ وـنـظـرـ مـنـ كـوـنـ فـيـ تـلـكـ الـخـيـمـةـ نـطـلـ عـلـىـ خـيـمـةـ الـأـمـيرـ فـرـأـيـ مـحـمـدـاـ جـالـسـ عـلـىـ بـاسـاطـ وـبـينـ بـدـيـوـ رـجـلـ فـصـيرـ الـفـامـةـ عـرـفـ حـمـنـ حـلـاـ اـنـ عـرـفـعـةـ .ـ فـقـالـ فـيـ نـسـوـهـنـ فـرـصـةـ لـاـ يـنـبـغـيـ اـنـ نـقـيـعـهـاـ بـلـ يـجـبـ اـنـ نـطـلـ عـلـىـ سـرـ هـنـ الـلـاـبـلـةـ .ـ وـقـرـسـ حـمـنـ بـعـدـ فـاـذاـ هـوـ كـبـيرـ الـوـجـهـ وـقـدـ يـاتـ فـيـوـ مـلـامـعـ الـشـيـخـوـخـةـ وـهـ لـاـبـرـالـ كـهـلـاـ وـلـكـهـ كـانـ يـخـضـبـ لـحـيـةـ بـالـحـنـاءـ وـإـلـكـمـ^(١) فـلـاـ يـظـهـرـ فـيـهـ الشـيـبـ عـلـىـ اـنـ دـلـالـ الـقـوـيـ لـاـ تـرـالـ خـلـاعـهـ فـيـ كـنـيـوـ وـوـجـهـ وـعـنـيـوـ

وـهـافـ حـمـنـ اـنـ يـكـونـ فـيـ مـكـهـيـاـ هـنـاكـ مـاـ يـعـابـ وـصـاحـبـ بـلـالـ فـارـادـ اـنـ يـعـذرـ مـنـ فـظـاـهـرـ بـالـرـغـبةـ فـيـ الـخـرـوجـ فـقـالـ لـهـ «ـ تـنـقـلـ بـاـ مـوـلـايـ وـاجـلـ فـانـ اـحـبـ الـاـطـلـاعـ عـلـىـ غـرـضـ هـذـاـ الرـجـلـ مـنـ هـذـهـ الـلـفـاظـةـ السـرـبـةـ اـلـيـ بـزـعـ اـنـهـ ذـاتـ بـالـ وـلـقـدـ سـامـيـ بـخـشـوتـهـ حـتـىـ صـرـتـ لـاـ اـبـلـيـ بـكـفـانـ سـرـهـ »

فـفـرـحـ حـمـنـ لـاـسـتـاءـ صـاحـبـ الـخـيـمـةـ لـاـنـهـ بـنـالـ بـوـ يـغـيـثـهـ وـلـكـهـ فـظـاـهـرـ بـعـدـمـ اـكـرـانـهـ بـالـاطـلـاعـ عـلـىـ الـسـرـ وـجـلـسـ بـحـيـثـ بـرـىـ لاـ بـرـىـ فـرـأـيـ عـرـفـعـةـ جـالـسـ بـيـنـ بـدـيـ اـبـنـ الـخـدـيـةـ جـلوـسـ الـاحـتـرامـ وـهـوـ يـخـاطـلـهـ وـمـحـمـدـ مـصـغـيـ لـاـ بـقولـهـ .ـ فـكـانـ فـيـ جـلـةـ مـاـ سـمـعـهـ مـنـ قـولـ عـرـفـعـةـ «ـ اـنـتـ تـعـلـمـ اـيـهـ اـلـاـمـ اـنـكـ اـوـلـىـ النـاسـ بـهـذـاـ الـأـمـرـ بـعـدـ الـمـحـسـنـ وـالـمـحـسـنـ سـيـديـ شـيـابـ اـهـلـ الـجـنةـ .ـ اـنـ الـخـلـافـ بـعـدـهـاـ لـكـ فـاـنـتـ وـحدـكـ وـلـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ وـلـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ وـلـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ »

وـظـلـ حـمـدـ صـامـنـاـ لـاـ يـكـلـمـ فـظـعـةـ عـرـفـعـةـ رـاضـيـاـ بـاـ يـقـولـ فـاـسـأـنـ الـكـلـامـ فـائـلاـ «ـ وـأـنـتـ تـعـلـمـ بـاـ مـوـلـايـ اـنـ الـخـتـارـ رـحـمـةـ اـللـهـ اـنـ قـدـ قـامـ بـدـعـونـكـ وـلـكـهـ لـمـ يـثـبـتـ فـيـ عـهـدـهـ فـلـمـ يـوـقـنـهـ اـللـهـ اـلـيـ اـمـرـهـ .ـ وـإـنـ السـرـ الـذـيـ كـانـ هـوـ يـقـومـ بـوـلـجـارـانـ يـقـومـ بـهـ وـإـنـ تـنـدـيـهـ اـنـتـ كـلـاـ يـقـيـ النـاسـ عـلـىـ ضـلـالـ مـنـ دـنـيـاـمـ فـيـخـسـرـونـ آخـرـهـمـ »

العنصر التاسع والأربعون

السر ٥٠

وَظَلَّ مُحَمَّدًا حَامِنًا يَطْرُقُ فِي الْأَسْطَرِ كَانَةً يَكْرَهُ فِي أَخْرِ وَظَلَّ عَرْفَةً فِي حَدِيبَيَا
فَتَالَّا » وَلَا يَعْلَمُ عَنْ مَوْلَاهِ الْإِمَامِ أَنْ هِيَ أُمَّةٌ أَلَاَنْ مُشَغَّلُونْ بَعْدَ أَنَّهُ بَرَرَ أَكْثَرَ
جَدْمَ عَالَمَوْنَ فِي حَصَارِهِ وَالْمَرْأَةِ خَالِمَ مِنْ يَدِهِ أَهْلَهَا إِلَى الْحَقِيقَةِ فَإِذَا اعْدَتْ أَهْذَافَهَا
إِلَى الْمَرْأَةِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْكَ كَانَ ذَلِكَ مِنْ سَدَادِ الرَّأْيِ « .
فَرَفِعَ مُحَمَّدٌ رَأْيَهُ وَقَالَ « أَنَّ النَّشْلَ لِمَ بَاتَنَ الْأَمْمَ الْمُرَأَةِ فَانِّي فِي الْمَرْأَةِ فَتَلَّ أَيْ
فَأَخْيَ عَدْرَأً وَخَبَابَةً »

فَرَجَحَ عَرْفَةً نَسَةً بِاحْتِشَامِهِ عَلَى السَّاطِ وَقَالَ « أَنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ النَّشْلِ { يَقِنُ
مِنْهُ شَيْءٌ } الْأَنَّ . وَأَنِّي أَرَى الصَّلِيلَ قَدْ تَهَوَّدَتْ وَالْوَقْتُ دَنَّ لَهُبُورَ الْحَقِيقَةِ »
فَتَالَّا مُحَمَّدٌ « وَمَنْ تَرَى يَلْقِي هَذِهِ الدُّعَوَةَ »
قَالَ « الَّذِي تَنْدَبُ أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ لَامِكٌ يَنْفَعُ سَرَكَ بَنَّ بَدِيبَ وَنَهَدَ إِلَيْهِ الدَّاءَ
صَوْتُ أَنَّهُ . . . »

قَالَ « وَمَنْ تَشْبِهُ عَيْنَيِّي بِأَنَّدَابِيَّهِ »

فَسَكَتْ عَرْفَةً وَاطْرَقَ وَهُوَ يَخْافُ أَنْ يَسْرِعَ بِالْتَّصْرِيفِ أَنْ يَكُونَ هُوَ
الْمُنْتَدِبُ هَذِهِ الْمَهْمَةِ ثَلَاثَةَ بَنِيِّ الْقَنْ وَفَلَيْتْ بِرَهْمَةِ صَانِتَّهَا ثُمَّ قَالَ « أَنَّ هَذَا الْأَبَدَابَ
لَا يَكُونُ أَبَدَابًا مِنْ أَنَّهُ سَهَّلَ وَتَعَالَى . فَالَّذِي يَأْمُكُ أَنَّهُ وَفِيهِ الَّذِي تَنْدَبُهُ »
قَالَ « إِذَا فَرَضْنَا أَنَّهُ لَمْ يَلْهُو فِي . . . » فَأَرْتَكَ عَرْفَةً فِي أَمْوَالِهِ وَنَهَيْتَهُ مِنْ
الْتَّصْرِيفِ لَهُ بِغَرْضِهِ . وَكَانَ غَرْضُ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ كَسْبُ الْمَالِ فَعَانِيَهُ الْجَاجِ
وَجَاءَ لَهُنَّهُ عَدْنِي

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّ يَوْمَئِنَّ عَلَى الْجَبَادِ وَقَدْ طَلَبَ الْجَاجِ مِنْهُ أَنْ
يَبَاعَ لِعَدَائِنِكَ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ الزَّبَرَ أَنْ يَبَاعَ لَهُ فَأَنِّي الْبَعْدَنِ وَلَستُ فِي انتِظَارِ
مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرٍ مَكْرَهٍ وَحَسَارَهَا فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِهِ مِنْ يَمِّهَ فَأَنِّي بَاعَ الْفَالِ
وَكَانَ مُحَمَّدٌ عَافِلًا لَا يَجْهَلُ عَيْرَهُ عَنِ الْقَوْمِ بِدُعْيَةِ جَدِيدَةٍ بَعْدَ ذَلِكَ الْأَنْذِلِ وَلَكِنَّهُ
كَانَ يَأْمُدُهُ عَرْفَةُ بِالْكَلَامِ وَهُوَ لَا يَنْوِي غَيْرَ الْجَبَادِ

اما عرقية فلم يرد امن الاجابة فقال «اذا لم تشعر بالهام فاتذهب صاحب الكرسي»
قال محمد «واي كرمي»

فتهض عرقية العمال وتحوّل الى باب الخبنة ونادى «قبر» ورجع
وبعد هزيمة دخل قبر وعلى كتفه الخبنة وعليها الاستار حتى وضعها بن يدي محمد
وخرج . قال محمد «وما هنا»

قال «هذا نابوت المهد . . .» قال ذلك واستخرج من جيبه مسحاة ورفع المسنار
عن الخبنة وجعل يعالجها بالمسحاة حتى فرغ سنتها وحسن بنظر وبطاعول بعنقه
وهو يتعجب من غدر هذا الرجل وخبيثه . ثم ما لبث ان رأى مد يده الى داخل الخبنة واستخرج
 شيئاً مغشى بالديباج فرفع الديباج عنه فإذا هو كرمي خشبة يلمع كالمرآة
ولقد عرقية بالكرسي حتى وضعه بين يدي محمد وهو يقول «ليس هذا كرمي
الامام علي الذي انصره بالختار . . .»

فابتسم محمد وقال «ولكمة فشل بعد ذلك»

قال «فشل لأن لم يخلص النية في سعيه»

قال محمد «وهل اذا اخذناك لذلك تخلص النية ؟»

قال وقد باشر السرور في اسرة وجهه «كيف لا ؟ وهذه بغتة واكون قد نصرت
الحق واملأه»

الفصل الخسون

الفشل

فيعجب حسن النبول محمد بهذا الامر مع علمه بهذه عرقية وحديث ذلك الكرمي
ولكمة ما لبث ان سمع محمدآ يقول له «ولكن دعوة اهل العراق تحتاج الى المال لأن
بني امية ائمها غلبوا اخويهم بالمال وسيغلبون الالاذن بالكببة بالمال ايضاً فان ديارهم غيبة
وعندكم المال كثير ينتقونه في اتباع الاحزاب فإذا كتب صاحب مال فاني ارجو
لك النجاح»

فلا يسع عرقية كلام محمد استطاع في بيته وحاتم ما املأه ولم يدر بماذا يجيب ولكن محمد ألم يتضرر جوابه فقال له « ثم أتيتني بهذا الكرسي الذي تزعم أنه كرسى والدي وهو لبعض الزيارات . وترعم في أندية المغارب ليدعوني وهو يوم باطل لأن ذلك الفتن أبا اعادب نفسه ليشبع بطنه . وإذا كنت أنت جائعاً فالناس بأآم للرزق غير هذا . . . » قال ذلك وقد ظهر الغضب والجد في وجهه

فارتكب عرقية في أمر وتحقق فدلل مهتو وقد قوى بشهادة أعيان في تبييق ذلك الكرسي وصللو وشغل بال أهل المدينة بكلام ذلك السر أعياماً وهو لا بذلك أدا عرض هذا الأمر على محمد بن الحسينة أن بين الناس منه قبولاً صريحاً ففيماز منه المال ليشبع مطامعه وشرهه وبصرف ذلك المال إلى ما قيده وبقيمة هرآ لا ينكر من الحاج - ومن الناس من لا ينفك في سبيل مطامعه عرض ولا ذمام فلا يبالون بما قد يفسدون في سبيل الكسب وهم في الغالب أصحاب الاحساس الاصم والعواطف المائية . ومن كان هذا طبعه وكان ذا دهاء وسياسة لا يعسر عليه عمل مما كان خطيراً . ولكن منهم من ثبوت عواطفهم ويضم أحاسيسهم ويكونون مع ذلك ضعاف الرأي قهولة يندر ان يتوقفوا في سعي كبير وبغلب التشل في مساعيهم كما حدث لعرقية في أمر الكرسي

فلا تبون عرقية الغضب في عوقي محمد هد إلى الخديعة فوقف بين يديه وهو يظاهر الاستغراب ما شاهد وقال « لند عجلت يا مولاي بالحكم علي وإنما أنا أدعوك إلى أمر عائدنا لك ولا أهل يشكك لا نفس على ذلك أجراً ولا شكوراً . . . »

فقطفع محمد كلامه وهو ينظر إلى شزرأ وقال « الأظن أمرك يخفى علي» والعاقل برأ المكر والخدعية في عينيك . ولو لا حرمة الجوار لا لحقتك بالختار والمحنت بك سائز بني ثيف . . . وب يكنى ما قد بدا . . . » ثم نادى « سعيد»

فهض صاحب بلال وهو يكاد يطير من الزاحق وأسرع حتى دخل على محمد وحمد وبلال ينظران وكلاهما مسرور



الفصل الحادي والخمسون

الرجوع

فَلَمَّا وَقَفْتُ عَسِيدَ بْنَ يَدِي مُحَمَّدًا قَالَ لَهُ « أَنِي هَذَا الْكَرْبَلَى فِي الدَّارِ حَالًا ... وَأَخْرَجْتُ هَذَا النَّفَرَ مِنْ خَيْرِي وَلَيْمَ حَيْثَا شَاءَ وَإِذَا رَجَلَ فَزُودَهُ بِأَشَاءَ » فَلَمَّا سَعَ عَرْفَجَةَ ذَلِكَ خَرَجَ مِنْ تَلَافَاهُ نَفَرَهُ وَهُوَ يَظْهَرُ الْأَسْفَ لِأَنَّهُ لَصَحْ مُحَمَّدًا وَلِمَ ثَرَ نَصْحَةً فِيهِ وَتَعَاهُ سَعِيدٌ حَقِّ خَرْجِهِ مِنَ النَّسْطَاطِ فَبَعْلَ يَبْعَثُ عَنْ عَيْنِهِ قَبْرَهُ فَلِمَ يَجِدُ فَسَأْلَهُ سَعِيدٌ عَلَى يَبْغِيَهُ فَقَالَ « أَنِي رَاحَلُ إِلَى بَلْدِي وَقَدْ اسْتَأْتَ لَأَنَّ الْأَمَامَ مُحَمَّدًا لَمْ يَهُمْ مَرَادِي » قَالَ ذَلِكَ وَهُوَ يَبْدِي الْلَّطْفَ خَوْفًا عَلَى حَيَاتِهِ . فَوَجَدَ سَعِيدٌ فَرْقَأَ عَظِيمًا بَنْ مَنَابِلِهِ الْخَدْيَةَ سَاعَةً وَصَوْلَهُ فِي مَسَاءِ الْأَمْسِ وَبَنْ مَا يَبْدِيَهُ مِنَ التَّزْلُفِ . وَذَلِكَ هُوشَانُ اِنْتَالِهِ هَذَا الرَّجُلِ فَانِتَ الدِّينِ يَظْهَرُونَ الْكَبْرِيَاءِ وَيَمْتَدُونَ بِالصَّاغِرِ النَّاسِ يَغْلِبُ إِذَا لَاقُوا ضَغْطًا مِنْ كَبِيرِهِنَّ يَسْتَوِي عَلَيْهِمُ الْذَلُّ وَصَغْرُ النَّفَرِ . لَأَنَّ مَا كَانَ يَبْدِي مِنْ كَبِيرِهِنَّ وَاسْتِبْدَادِهِمْ لَمْ يَبْعَثُهُمْ عَنْ نَفْسِ كَبِيرَهُ وَلَمَّا هُنَّ فِي خَلْفَهُ وَضَعْفَ رَأْيِهِ . وَلَمَّا كَبِيرَ النَّفَرِ فَلَا يَنْسُومُ النَّاسُ أَهَانَةً مَخَافَةً أَنْ يَهْجَبَ إِلَيْهِمْ وَنَسْنَةً تَأْتِيَ ذَلِكَ

فَلَمَّا رَأَى سَعِيدٌ تَرْلِفَ عَرْفَجَةَ رَقَّ لَهُ فَعْرَضَ عَلَيْهِ التَّرْزُولَ فِي دَارِ الْأَخْبَارِ فَاعْتَدَرَ بِرَغْبَتِهِ فِي الرَّجُوعِ وَنَادَى قَبْرًا وَكَانَ قَدْ عَادَ إِلَى الْمَوْقِفِ الَّذِي اِنْتَلَوْا إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ فِي جَهَاءِ وَقَدْ ذَلِكَ كَمَا ذَلِكَ سَيِّدُ فَرْكَبَ عَرْفَجَةَ جَهَاءً وَقَبْرَ الْجَمِيلِ الْآخَرِ وَخَرْجَا مِنَ الشَّعْبِ يَلْتَسِانُ مَعْسَكَ الْحَجَاجِ

فَلَمَّا بَعْدَا عَنِ الْخَيَامِ أَخَذَ عَرْفَجَةَ بِتَوْعِيدِ مُحَمَّدًا بِالسَّوَءِ عَنِ الْحَجَاجِ وَيَذْكُرُ بِكُلِّ قَبْعَحٍ مِنَ الشَّفَمِ وَالسَّبَابِ لِيَسْتَرِ مَا يَدِهِ مِنْ فَلْوَهِ . وَلَوْخَافَ بِلَوْغِ ذَلِكَ السَّبَابِ إِلَيْهِ مَا قَالَهُ أَمَا سَعِيدٌ فَانِتَهُ عَادَ إِلَى فَسْطَاطِهِ مُحَمَّدًا وَتَنَاهُلَ الْكَرْبَلَى وَلَفَاهُ فِي الدَّارِ وَعَادَ إِلَى حَسَنِ وَبَلَالِ وَكَانَا لَا يَرَالَانِ فِي خَيْرِهِ وَقَدْ اِبْرَقَتْ أَسْرَهُ حَسَنُ مِنَ الْمَرْحِ . فَلَمَّا دَخَلَ سَعِيدًا أَعْنَتْ بَغْرَوْجَ عَرْفَجَةَ مِنَ الْخَيَامِ عَادَ جَسِنَ إِلَى الْفَنَكَرِ فِي النَّهَابِ إِلَى مَكَّةَ فَسَأْلَ سَعِيدًا أَعْنَتْ ذَلِكَ فَقَالَ « أَظَلَنِي إِذَا سَأَلْتُهُ مَوْلَايُ الْأَمَامِ عَنْ هَذَا الشَّانِ أَمْرَ بِنَهَائِي مَعْكَا لَأَنِي تَعَوَّدَتُ الْذَهَابَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَبْلِهِ وَأَكْثَرُ الطَّلَانِعِ يَعْرُفُونِي » فَأَتَلَ ذَلِكَ وَدَخَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ بِسَاعَةٍ فِي الْذَهَابِ مَعْهَا فَأَذْنَ لَهُ

فما دع سعيد إليها وإن خرجا إلى دار الأضياف ليتها لها للسفر . وبعد قليل جاءها سعيد على جواد فركبوا وساروا بالشمس مكة من طريق يعرفه سعيد وكانت الشمس قد تكبدت العاء

الفصل الثاني والخمسون

يا شوقي والخبيب قريب

وفيا هم بسرون وحسن يذكر في مهنة وكيف يدخل على عبد الله بن الزبير بدون كتاب خالد رأى غباراً يصاعد في عرض الأفق من جهة طريق المدينة ثم انتفع الغبار عن أعلام خلق وخبول تركض وجمال تجتمع فلما اقترب الركب نترس حسن بالإعلام وبالناس فعلم لهم من انصار بي أمينة وعلم من جهة سورهم أئم قادمون من المدينة ونذر البريد الذي جاء المدينة يوم خروجه منها فترجح عند أهلاً مجده المحتاج ولكن استغرب وصواته في ذلك اليوم مع أنه أفلق قلبها والسيارة كلما زاد عددهم تقللت خطاوئهم فظنن نفسه مخططاً في حكمه عليهم فاعاد النظر إلى الرایات ولملابس فتحقق أنها لأهل المدينة والبيائل النازحة بغيرها فاعتبر بذلك مقدار السرعة التي مشت فيها تلك الحمامة ما يدل على شدة اضطرار المحتاج إليها . فترجل حسن ورفقاه . والنجاوا إلى مكان برون الركب منه ولا يزام أحد وجعل حسن يفترس في وجه الناس

ففرّ الناس وحملة الرایات أولاً ثم الرجال ثم أحجال الزاد والمشونة وإخيراً رأى هودجاً يقوده عبد ويسوقه عبد وإلى كل من جاء به فارس . ولم يبر في تلك الحميمة هودجاً غيره وكانت عادة العرب في الجاهلية وأسائل الإسلام اذا خرجوا إلى حرب يغلب أن يحملوا معهم النساء والأولاد فلما تصرى قلت هذه المادة عددهم . فاستغرب حسن أمر هذا الموج وتبين من الاستثناء يأمر أنه لبعض الأمراء — وما درى أنه يقل حبيبته التي سلبت لهه قائم يحملوها إلى سواه . ولو درى ذلك لطارت نسمة شعاعاً إليها . ولو صاح ما ينزل به الشعراً من شعائر الحب وتواصل التأليب عن بعد لا يضطرب حسن وخفق قلبه ودله فكره على ساقه الموج ولكن الشعراً يقولون ما لا يتعلون . أو لعل سبالي الحب لا يختلف جدار الموج والكثير بايثة بالحرارة وسائر القوى الطبيعية خنزقة ١١

وطلبا وقوفا يراقبون مسيرة تلك المسيرة حتى رأوها خواتىء الى جبل اي قيس
فخفقوا لها نجف المدبة الى الحجاج لعلم ان الحجاج غنم من تلك الاغراء

الفصل الثالث والخمسون

الكعبة والتجريق

وشنوا حق اقبالا على مكة وسعي بركض حجاده الى الامام وحسن وبلال يسوان
وراهه^١ فلما اشرفوا على مكة رأوا العلانع من الترسان والمجانة ثيول حوطا وقد
اقرب لهم بعض فقدم سعيد حتى استقبلهم وقال لهم ائمهم ذاهبون لغرض شخص محمد
ابن الحنفية فاذروا لهم وقد عرفوه - فدخلوا مكة وحسن ينظر عن بعد الى جبل اي قيس
فرأى فيه خياماً وحوطا الناس وقد صفرت اشياهم بعد المسافة - وبعد قليل وصلوا الى حل
وفي بعض المداقين فقال سعيد « هاتانا في الحجور » فوقف حسن على منزع ونظر الى مكة
فاذاهى قد أشرف على المجد الحرام والكمبة في رساله - وكان قد زار مكة من قبل ورأى
الكمبة لكنه رآها في ذلك اليوم اكبر ما يعدها فيه ورأى على سطحها اشياه غريبة
كالترش والاثاث فوقت هبطة وسعيد رأى ذلك قال « التي أرى الكعبة
على غير ما أعدها فيه كأنها كبيرة وكان عليها فرشاً واثاثاً وكأنني أرى في أرض
المهد خياماً ... »

قال سعيد « لند صدق عليك اما الكعبة فانها الان اكبر ما تعهد لها لانها احرقت
في الحصار الماضي على عهد بزید بن معاوية فاعاد ابن الزبير بناءها ووسعها الى
ما كانت عليه في الزمن الاول قبلها بنتها قريش^(١) واما نراه على سطحها فهو الواقع
الساج وضعها عبد الله هناك ووضع فوقها الترش والتلاف وقامة لها من جحانة التجريق^(٢)
لان الحجاج نصب التجريقات على جبل اي قيس وجعل برجي الكعبة بالحجارة تکابة
بابن الزبير ... »

قطع حسن كلامه وقال « اعوذ بالله من ذلك ... بربوت بيت الله
بالحجارة ... ؟ »

(١) مقدمة ابن خلدون (٢) ابن الأثير ج ٢

فقال «هذا عمل الحجاج فانه رجل عاتر لا يبالي بما يلف في سبيل مقاصده فلقد رأيناكم برببيكم والناس يعلونون حوطاً . وانتق في الجنة المalaophia ان عبد الله بن عمر حرج وكان مولاي الامام محمد في جملة الحجاج فكنا نطوف والمجارة نساقط علينا فبعث بن عمر الى الحجاج يقول له «انت الله واكفف هن المجارة عن الناس فانك في شهر حرام وبلد حرام وقد قدمت وقد افتخار الارض ليودي فريضة الله ويزدادي خيراً وان التجربة قد منعم عن الصوات ما كفف عن الرمي حتى ينفوا ما يحب عليهم يكثرة» فبطل الرمي حتى عاد الناس من عرفات وطافوا وسعوا ولم يبع ابن الزير الحاج من الطائف والسمى . فلما فرغوا من طواف الزيارة نادى منادي الحجاج «انصرفوا الى بلادكم فانتمعود الى المجارة على ابن الزير المخد». وبلغني انه اول ما روى بالتجربة الى الكعبة اردت الساء وارقت وعلاقوت الرعد على المجارة فاعظم ذلك رجاله وامسكتوا ايديهم . فأخذ الحجاج مجارة التجربة يوثقونها فيه وروي بها معهم . فلما اصحابها جاءت الصواعق فقتلتهم من اصحابها التي عذر رجالاً فقال الحجاج لرجاله «يا اهل الشام لا تذكري هنا فاني ابن هامة وهذه صواعتها وهذا النبع قد حضر فابدروا» فلما كان اللند جاءت الصاعنة فاصابت من اصحاب ابن الزير منه ف قال الحجاج «ألا ترون انهم يصابون واثم على العلاوة وهم على خلافها»

الفصل الرابع والخمسون

الجوع والضيق

فجئب حسن لدهام الحجاج وعنى وساق جملة حتى تزلوا اسوق مكة فقال حسن لسعد «لند وصلنا ما متنا فإذا رأيت الرجوع فارجع جراك الله خيراً»
فقال «بل اوصلكما الى المجد فاطوف طوفة واعود»

ولمادينا من المجد سمعوا صدمة قوية فقال سعيد «هذا صوت تجر من مجارة التجربة وقع على جدار الكعبة . . . انظر الى حمام المحرم كيف يقطعا براجحاناً من صوت وقوته»
واحسن حسن بالجوع لانهم خرجوا من الشعب ولم يأكلوا فقال سعيد «بالت الا

أخذتنا الى احد باعة الاعمعة فناكل شيئاً » ففحشك سعيد وقال « ان الاعمعة قليلة في مكة والناس في ضنك شديد من الجوع فقد يعمد الدجاجة بعشرين دراما وللذلة
عشرين درها وقد سمعت ان ابن الزبير اضطر لما اصاب رجاله من الجاعة ان يذبح فرسة ويقسم لها فيها ^(١) » قال ذلك وادنى منه من اذن حسن وقال بهم مختلط « ولكنني اعلم علم اليقين ان بيوت ابن الزبير مملوءة فحراً وشيراً وذرة وبرأ اخزتها خوف الجاعة ولو لا ذلك لما استطاع الصبر على هذا المصمار والحجاج ورجاله يتذمرون فراغ ما عدهن من المؤونة حتى يسلم لهم ^(٢) »

فقال حسن « لا يأس من ابتياع شيء نأكله ولو كان غالياً .. » وانشار البلال فانصرف الى السوق وعاد بشيء من خير الشعير والمويق فاكملوا على عمل وساروا حتى اتوا المجد الحرام وبلال يقول بقوله ^(٣) وراءهم . ودخل حسن وسعيد الى المجد بظاهران بالرغبة في الطواف . ثم سأله حسن عن ابن الزبير فقبل له انه يصلى بمحابي الكعبة فسأل عن مصرعه بعد الصلاة فنالوا انه يصرى الى بيته . فدله سعيد على بيوه بأصبعه وودعه وعاد الى الشعب

فرأى حسن ان يصلى ركعين ويطلب الى الله ان يرشئ الى الصواب فصلى ثم جلس في بعض اطراف المجد يتضرر الفراغ من صلاة عبد الله وجعل يذكر في امره والمهنة التي جاء من اجلها في ذلك الوقت وما هو وقت خطبة ولا زواج . ثم جرته هواجسه الى ما كان من امر سمية وانتظارها رجوعه ليقتربنا . ثم انتهى الى الاشتراك بمرثية وما كان من امره في ذلك الصباح وخيل له ان الن Sheldon الذي اصابه سكون وسيلة للتقارب بينه وبينها . وفكك في مصرع عرقته بعد خروجه من عند ابن الخطيبة فقضى عاد الى المدينة لانه لا يستطيع الغياب عنها طويلاً وليس في البيت عدد سمية احد

وكان حسن وهو في تلك المواجهات لا يرى الناس يدخلون المجد الا قليلاً ثم ما لم يهت ان يبع قرقعة واحسن كأن شيئاً هو بالقرب منه وسمع رفرفة اطيار فالثالث فرأى مجرراً كبيراً اصاب الكعبة وسقط على الارض فعلم انه من اصحاب المحبين وقد اجفل حمام الحرم من وقوف خطابير ثم عاد فوقع على الكعبة وعلى جدران المجد . ولم ير الناس بهمون بذلك الحجارة لانهم تعودوا لكتلها

فندى حسن للحال ان عبد الله يصلى بمحوار الكعبة فاستغرب تعرضاً نسبياً لمحاراة

المجبر وخفف ان يكون ذلك انجير قد أصابة واضر بـه حق لم يعد يستطاع التهرب وخصوصاً بعد ان طال وقت صلاته فانشغل خاطره عليه فهض ومشي في فناء المسجد يائماً الكعبة حتى مر بالخطيب وجراحته عليل ودار نحو بئر زمزم فرأى وراء الكعبة من الجهة الأخرى بضعة رجال وفوقاً . فاقبل عليهم ايسألم عن عبد الله فلما دنا منهم رأى بجانب الكعبة رجالاً ساجداً وقد استقبل الارض بوجهه ورأى على ظهره حمامين من حمام المسجد كأنهما يافنان على جانب الرجل لا يتحرك . فقيل له انه مات فاستغرب وقف الناس هناك ولا يهم بـه أحد . فتقدمن الى احد هم غواية وإشار اشاره يستدل منها على استغراه أمر ذلك الماجد فابسم الرجل وقال له « يظهر انك لاتعرف من هو الساجد »

قال « كلاً »

قال « هو أمير المؤمنين »

فهن حسن ائم بريدون عبد الله بن الزبير وزاد استغراباً وقال « وما بالي أرى الحمام يقع على ظهره وهو لا يتحرك »

قال « يظهر انك غريب في مكة .. فاعلم ان مولانا أمير المؤمنين اكبر الناس صلاة وسجوداً وكثيراً ما رأينا المصايف تقع على ظهره في اثناء الصلاة نظة حائطاً لسكونه وطول سجوده ^(١) وهذا الدليل ترى الحمام يقع عليه »

قال حسن « الله مجده طوبيل »

فقدمن رجل آخر كان يافتئاك وقال « يظهر انكم لانعلون من تلوى أمير المؤمنين الا قليلاً . وأما أنا فقد تحبه طويلاً فرأيته يتضي لاليه بثلاث حالات ليلة ينطرها فانما الى الصباح وليلة راماً وليلة ساجداً . تاهيك بصوته فانه صائم الدهر كله الا ثلاثة أيام ينطرها في كل شهر »

فاندهش حسن هذه الفتوى وقال في نسو « يهدى من كان مثل هذا ان يكتب الله العصر »

وفيما هو يقوف سمعوا رعداً علما الله صوت المجنح فتناجروا ووقع المجنح على جانب الكعبة وسطط الى الارض بجانب ابن الزبير فنفر الحمام عنه وهو لا يزال ساكناً لا يتحرك فاندهل حسن وقال لصاحبه « الا تخافون على حياة أمير المؤمنين »

قال « اند طالما تنهيا الى ذلك وكثيراً ما وقع له مثل مازراته وهو لا يزال »

قال حسن « أرجو ان يحرس الله »

قال الرجل « إن الله حارس لمرط نقاء ونَّاء عبادتو فانه لا يعجزه باب من ابواب العادة فقد حدث في العام الماضي سيل طلق البوت ومعن الناس من المواقف فصادف أمير المؤمنين ساعيًّا »^(١)

الفصل الخامس والخمسون

عبدالله بن الزبير

فتأمل حسن في وجه مخاطبها فاذا هو يتكلم ولما مع الاهمام باديه في وجده لا يدرى
ياذا يعبر عن منزلة ابن الزبير عن ولا مقدار حبه له ورأء موجهها نسأله اليوم فـ « سؤالاً »
يسأله ايمان عن ابن الزبير ليشرح له ما يعلمه من نقاء وشجاعته وصدق دعوته — فرأى حسن
كل ذلك في عني ذلك الرجل وتحقق من تلك الفظواه انه من أشد انصار ابن الزبير
غيرة عليه وذين له من فناقوه وهداهوا له من وجهائهم . وزاد اعتقاداً في وجاهته لما
آتته من لطفه ودعواته الانسان يزداد لطفاً ووداعه بازيد ياد متزايد رغمة فاذا
رأيت جنباً وكربلاً من احد الناس واست لا تعرفه فاعلم انه دفعه الصفع ولا عنده ما قد
يكتو من النباس الفاخر او ما في خزاناته من الاموال الطائلة فان دناءه الصفع تظهر في
جناته وكربلاته

وفي حسن يذكر في ذلك ومحاطة واقف الى جانبها يتضطر أمر سمعاً عبد الله بنادي
« ابن صفوان » ثم رأى الرجل الذي كان يمحاطة بفت واسرع الى عبد الله وهو ينول
« ليك يا أمير المؤمنين »

ففهم حسن انه عبد الله بن صفوان الجمحي وكان قد سمع عن حدو لابن الزبير واستهلاكه
في نصرته . وهو رجل في نحو السنتين من عمر عريض الجبهة خدين الملاعع عريض الذكرين
ما يبدل على الثبات والثوة اصلع الجبهة . ثم ثنت حسن الى ابن الزبير ويهما للسلام عليه
اذا مرّ بجانبه فاذا هو طويل الشامة عريض الكتفين لحيته غزيره في اسفل ذقنه خبلة في

(١) ابن الأثير ج

عارضوه^(١) وهو ما يعبرون عنه بالكتوج . وتنفس فيه وهو يصلح عامة عدد هؤلئه من الصلاة فرأى شعر حمة مترفة طوباته^(٢) وتأمل في وجوب فرأى المرم قد بدأ في ملامح لفظ ما قاله من أمر ذلك المصار وشدة ما أحاط به من الفرق فهو في النها والسبعين من عمره لانه أول ولد المسلمين بعد الفتوحه
وهيأ حسن السلام عليه وتنبيل به ثم رأه تحوال من جهة أخرى ولم يلتفت إلى أحد من الوقوف وهي مشية ثابتة تدل على جلال ووفار وسار ابن صنوان في اثره وهو يزعم بعيده وكل عيادته . فلما مشى ابن صنوان لخط حمن في مشبهه عرجا^(٣) . . . وعلم أنها سائران إلى البيت فاقتفى أثراها وهو يذكر في مخاطبة عبد الله بالامر الذي جاء من أجله لكنه يذهب إلى سبب لما رأه فهو من الأفطراب في الشيق . على أنه عول على اختفاء المرأة وعطاها في خلوة

خرج عبد الله من المسجد وابن صنوان يهتم وحده في أثراها . والناس حينها وقفوا له وجوه حتى اشرفوا على دار واسعة قد غصت بالوقوف من الناس وخارجنها مرات الخيوط والمعالف . فلما أقبل عبد الله على الدار توجهت أيصاد الناس اليه وسعوا لها فاخترق الصنوف وهو مطرق حتى اشرف على مقدمة في صدر القاعة فجلس عليه الأربعاء . وجلس إلى جانبه شاب كبر الشهرين يهتم بهم ولكنه لم يعرف اي أولاد لهم جاء شبابان آخران جلسوا إلى جانبه الآخر وجلس الناس بين يديه لا يهتم بأحد بكلمة لفظ ما أحاط بهم من الامر العظيم . ولبسها هتبه كانت على رؤوسهم الفخر . أما حمن فرأى نفسه غريبًا بين هذه الجموع فأحب الخروج فرأى ابن صنوان يهدر اليوم من بعض جوانب القاعة أن « أقبل » فمشى إليه وجلس إلى جانبه وقال له « يسرني أنني عرفت شخصك اليوم وقد طلبتا سمعت باسمك »
فقال ابن صنوان « فهل تننسب لأعرفك أنا أيضًا »

قال « أسلنك على أمري فيما بعد إذا لاحقني في عن معونتك »
وكانت يتكلمان همَا والناس ساكتون وربما اضطر أحدهم للتعمال فامسكت بهما .
فاللتفت حمن إلى ابن صنوان وقال له « أي أبا ، أمير المؤمنين هو ولاه »
قال « إن الذي تراه إلى بيته هو أخوه عروة بن الزبير . والاشنان الجليلان إلى يساره ولداته حمزة وخديج وترى على مسافة منها شأمًا مطرقاً في الأرض فهو ولد الثالث وأمه

مثل اسم جده . إن هذا الشاب جدير بأن يكون ابن أمير المؤمنين » قال ذلك واستأذنه قائلاً « لابد لي من مشارقتك لأمر يدعوني إلى ذلك فاتنا في مجلس ذي هـ الْيَوْمِ وسُنْعَ وترى فان هو لاءكم من قريش وهم رؤساء القبائل » ثم خوّل حتى وقف على مقربة من عبدالله فأشار إليه عبدالله أن يقعد

الفصل السادس والخمسون

﴿ تضييع الحال ﴾

ثم وقف أحد الجالوس وخطب عبدالله قائلاً « يا أمير المؤمنين أنت بحمد الله نعمت صدق دعونك وإنك على الحق . وقد فاتنا معك حتى لا يجد مثيلاً وبين صبرنا معك ما زيد على ان ثوت . وإنما هي إحدى خصلتين إما أن تأذن لنا فأخذ الأمان لأنفسنا وإما أن تأذن لنا فخرج »

فلا سمع حسن ذلك الكلام حتى ضعف القوم وعلم لهم صارون إلى التسلل . ثم سمع ابن الزبير يقول « ألم شاعوفي على اتفكم وأموالكم؟ »

قال « بلى ولكننا نرجوان تولنا يعنينا إذا لاري فائدة من الفداء على البيعة » فقال عبدالله « لقد كت عاهدت الله أن لا يبايعني أحد» فما قبله يعنيه إلا أن صنوان »

فالافت حسن إلى ابن صنوان فرأه قد وقف بيته الحبيبة والخبرة تبعهان من عبيده وقد ظهر التأثر في وجهه وقال « أما أنا فاني أقاتل معك حتى أموت بونك وإنها لما خذفي الحبيبة ان أسلك في مثل هذه الحالة »

ولم يتم ابن صنوان قوله حتى علت الأصوات وضج الناس وانتهى إلى حربين بأكثرهم لا يرون رأي ابن صنوان . فشق ذلك على حسن ودبّت الحبّة في عروقه فتوقف وارتجى قائلاً « بورك فيك يا ابن صنوان بورك برجل يابع وثبت في يعني ان أمير المؤمنين كان تعلّم أولى الناس بهذا الأمر . لأن عقان رحمة الله استقلة على الدار يوم من فهو وهو ولد عيدهن من ذلك اليوم ^(١) ومشكل بهم معنى الخلافة ولا نفع بهارج الدنيا . إلا ترور

عبدالملك بن مروان كوفى ينتهون على هذا الامر بالمال والرجال .. ؟ امير المؤمنين انا يستعين بالصوم والصلوة . تلك هي خلافة الراشدين رحيم الله اجمعين . الى تسموا ماذا فعل عبد الله يوم جاءه الخبر باليهود بعد موته ابو مروان ؟ انتم تعلمون ان عبد الله كان من فقهاء المدينة ولكنكم ما كان يظهر من النذرين والتنوى حين حمامه الحجيج . فلما مات ابوه ويدرك بالخلافة كان المصحف في يده فاطلبته وقال « هنا فراق بيبي وبيتك » (١) ابن هذا من جنود امير المؤمنين وصلاته وصيامه ما لا يجيئ على احد منكم . فوق ذلك ان لا امير المؤمنين يبعث في اعيادكم وانتم جماعة قريش اهل الخناقة فكيف تغادرون امير المؤمنين وهو في هذه الحال اما لكم اسوة بابن صنوان ؟ .. »

وكان حسن بن علي وفرق بهدفه من جهوده وقد امتنع لونه وهو يعتقد مع ذلك ان الوفاق اصبح عيناً ولكنه لم يستطع غير الانصراف للتفريح . وكانت الايام اسفاً لاحظها اليولانة غريب ولم يعرقها احد منهم . وكان عبدالله بن الزير ينظر اليه ويحب بغيره . فلما فرغ من الكلام زادت الدواعي ، فوقف رجل آخر وقال « لقد نهانتم بالصواب وان الربعة في اعيادنا لا نذكرها وما نحن خارجون من بين يديكما الا بأمره . ولكننا نرى النatal عيناً وعمنا من الرجال عشرة آلاف رجل وقد جمعنا جميعاً وعدتنا وقللت مؤقتاً وذخيرتنا . وهذه مخوقفات الحجاج تزداد من فوق الكعبه لا يبالي بحرمة هذا البت . وقد نسب لها الحجاج الان راية الامان فمن خرج اليها سليم فما بالنا لا نختار الطريق الاسلام » ثم التفت الرجل الى عبدالله بن الزير وقال « اكتب الى عبد الله بن مروان لترى رأيه فلعلك تنتهيان الى امر فيه صلاح الحال » (٢)

فلما سمع عبدالله اسم عبد الله بن مروان اجهل وتفيد وجهة وقال « كيف اكتب اليه ؟ .. أبداً يبني او ابداً يو ؟ أبداً كتب من عبدالله امير المؤمنين الى عبدالله ابن مروان .. ؟ فواه لا ينبل هذا ابداً . ام اكتب لعبد الله بن مروان امير المؤمنين من عبدالله بن الزير .. ؟ فواه لأن نفع الحضرة على الغير . احب الي من ذلك » (٣) قال ذلك وسكت وهو يفك ذلة حزق لازرعة . وسكت الناس يتظرون رأياً جديداً فإذا بعروة بن الزير اخي عبدالله انتبه الى اخوه وهو جالس يجلس على المقعد وقال له « يا امير المؤمنين قد جعل اثلك اسوة »

فقال عبدالله وقد ظهر الغضب في جيشه « من هو ؟ .. »

قال عروة « حسن بن علي فاتح خانع نسمة وبائع معاوية » ولم يتم عروة فولة حتى رفع عدائه رجلة وضربه بها حتى ألقاه عن المقعد . فاجل الناس من سقوط عروة وأعفنه غضب عدائه فنحووا ثم سهوا بقول الله « يا عروة .. ذي ادأ مثلك ا واذ لوقلت ما يقولون ما عشت الا فاما لا وقد اخذت الذنبة . وإن ضربة بموف في عز خبر من العلة في ذل » ثم وقف وافتتح الى الجميع وتحية ترقص في وجهه من شدة الآثر وقال لهم « أنتم غيرون فاقاتلوا ما تشارون وإن رجلاً يجر الى الحرب بحمل لا يحارب وإن الله ولبي ونعم المصير » قال ذلك واراد القول فوقف ولدها عن يساره وهو حزرة وخبيب وقالا « وهل نحن غيرون ايها »

فجاء حسن لما سمعه وقال في نسو حتى اولاده تخلى عنه والفتى الى عبد الله فرأه ينظر اليها وعنه نلعانها يتجلى فيها من الدمع ثم قال « نعم يا اولاده وانتا ابها في حل امضا واطلب الحياة ولا الموتا » ثم اخذني صوت فسكت ربها اشتع ريقه ونظر الى ابو الثالث الزبير وقال له « وانت يا ابي اطلب لمنك اما مع اخويك فوالله اني لأحب بقامكم »

فوش الزير من مجلسه وقال ولم يد على وجهه شيء من الخوف « حاشا الله ان الخلى عنك فاكنت لارغب بتنسي عنك »^(١)

الفصل السابع والخمسون

— خالد وعبدالملك —

ثم دخل عبد الله من باب في آخر القاعة الى دار النساء وظل حسن وإنما في جملة الوقوف وهو يسمع ما يدور بهم . فعلم انهم أجمعوا على الخروج الى المجاج بشئون امانة . وادرك ان اشد ما ابعدم عن ابن الزير بخلافه يجانب سعاد عبد الملك ويدل على امية الاموال لاحزابهم . حتى قدم بالمال ان دولة النبي امية قامت بالمال . فساءه ذلك مع اعتقاده ان هؤلاء اتوا ارادوا الخروج رغبة في العطاء وإن صر ابن الزير قد لا ينبع شيئاً ولكن الانسان لا يعيش في هذه الدنيا عمرين وإنما هي موته فلا كانت عيشة نجرى

(١) ابن الأثير ج ٢

بالشرف والمرودة

وَمَا أَحْسَنْ حَسْنَ بْنَ دُهْنَةَ الْأَنْدَلُسِيَّ وَبَدَّ اسْكَنَهُ فَالنَّاسُ قَدَّا هُوَ أَبُو صَنْوَانَ بَدَعَوْهُ الْأَوْفِيَّةَ حَتَّى دَخَلَاهُ حِجَّةَ مَجَابِ شَكْرِ الدَّارِ وَأَبُو صَنْوَانَ يَتَوَلَّ «أَنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُوكَ وَقَدْ أَحْبَبَ أَنْ يَرَاكَ» قَالَ ذَلِكَ وَتَرَكَهُ هَذَا وَخَرَجَ فَرَّ حَسْنَ لِنَالِكَ الدُّعْيَةَ لَأَنَّهُ سَيَقْتَمُ الْأَرْضَةَ لِلْكَلَامِ بِالْمِهْمَةِ الَّتِي جَاءَ مِنْ أَجْهَنْهَا وَلَوْ كَانَ الْكَلَامُ فِيهَا لَا يَجُورِي نَعْمَانًا

وَبَعْدَ هَذِهِ عَادَ أَبُو صَنْوَانَ وَإِشَارَ إِلَى حَسْنَ فَتَبَعَهُ حَتَّى دَخَلَاهُ حِجَّةَ رَأَيَا عَدَدَهُ بِثَمْنَيْ فِيهَا وَجَهَتْ وَقَدْ أَخْذَ مِنَ الْفَضْبَ مَا أَخْذَ أَعْظَمَهُ وَهُوَ نَارَةٌ يَسْعُجُ جَهَنَّمَ وَطَوَّرَ بَعْدَهُ لَحِينَهُ وَآوَيَهُ إِلَى سُرْعَنَ - أَعْدَهُ أَوْ يَرْسِلُ كَمَّةَ حَايَدَلْ عَلَى عَذَمَ الشَّدَّالِ - وَنَأْمَلَ حَسْنَ بِإِنْكَلَمَ الْحِجَّةَ فَادَّا هُنْ لَا شَيْءٌ فِيهَا مِنَ الْأَيَّاثِ غَيْرَ حَسِيرٍ وَنَعْدَ - فَلَمَّا أَقْبَلَا عَلَيْهِمْ حَسْنَ الْأَوْفِيَّ وَلَمْ يَلْمِعْ عَلَيْهِ بِالْحِلَافَةِ فَرَحِبَ بِهِ وَدُعَاهُ إِلَى الْجَلَوْسِ عَلَى الْمَقْعَدِ فَلَمْ يَجِدْهُ مَوْلَانِي الْزَّيْرِ وَأَفْغَنْ فَأَنْجَعَ عَلَيْهِ بِالْجَلَوْسِ وَقَالَ «دَعْنِي وَأَفْقَنْ وَسَأْجَسْ بَعْدَ هَذِهِ» فَجَلَسَ حَسْنَ وَأَبُو صَنْوَانَ لَا يَرَاهُ وَأَفْقَنَ بِرَاعِي عَدَدَهُ وَبِرَاقِبِ حَرْكَاتِهِ وَمَكَانِهِ وَلَا يَنْكِلُ

ثُمَّ اتَّسَعَ عَدَدُهُ إِلَى حَسْنَ وَقَالَ لَهُ «مَنْ أَبْنَى قَدَّمَتْ؟» قَالَ «مَنْ أَبْنَى قَدَّمَتْ؟»

فَعَنَتْ عَدَدَهُ عَنْ سَاعَ أَسْمَ الشَّامِ لَانْ فِيهَا عَدَدَهُ وَسَاظْرَهُ وَالنَّاسُ إِلَى أَنْ صَنْوَانَ كَانَهُ يَصْلَبُ مُشَارِكَتَهُ فِي الْإِسْتِغْرَابِ فَرَأَهُ لَا يَقْلُ عَنْهُ أَمْنَفَرَأَهُ فَقَالَ عَدَدَهُ «وَمَا الَّذِي جَاءَ بِكَ إِلَيْنَا وَخَنَّ فِي هَذِهِ الْحَالِ . . . الْمَلِكُ جَاسُوسُ . . .» قَالَ «مَعَادُ اللَّهِ بِهِ مَوْلَايَ كَيْفَ أَكُونُ جَاسُوسًا وَاصْبَرْ عَلَى النَّهْيِرِ بِهِ فَمُلْكُهُ الْوَوْمُ؟»

فَجَسَ عَدَدَهُ عَلَى جَانِبِ الْمَقْعَدِ وَأَمْرَأَنْ صَنْوَانَ بِالْجَلَوْسِ فَجَلَسَ . . . ثُمَّ قَالَ عَدَدَهُ «لَا غَرَابةَ فِي مَا ظَاهِرُهُ مِنْكَ وَإِنْ كَتَ جَاسُوسًا لَانْ الْجَسُوسُ بِهِنْ يَلْتَوْنُونَ هُنُونَ الْمُغَرِّبَةِ . . . عَلَى إِنِّي لَا أُبَالِي مِنْهَا بِكَنْ مِنْ أَمْرِكَ فِي إِنَّا مِنْ بِمَتَعَبِنَوْنَ بِكَنْهَا بِهِنْ وَلَا إِنَّا إِخْلَاهُ وَلَا إِسْتَهْبَانَ بِالْحَقِيقَةِ وَالْعَدْلِ»

فَوَقَفَ حَسْنَ وَهُوَ يَقُولُ «الْمَنْوِيَّا، مَوْلَايَ أَنِّي أَجَلْ نَاسِي عَنِ الْجَاسُوسِيَّةِ فِي هَذَا الدَّهْرِ وَإِنَّا إِنَّا رَسُولُ الْبَلَكِ فِي مَهْمَةِ لَا أُرَى مَسْرَعَةَ الْكَلَامِ فِيهَا الْأَنَّ . . .»

قال « وماذا تعني ... وكيف لا يسوع لها ... قل ... لا يأس ما تراه من الاحوال ... من ارسلك اليها من الشام ... ؟ العنك فادم من عبد الملك بتصيغة ... »

قال « كلا يا مولاي بل انا فادم من عبد الله بن يزيد بن معاوية ... »

قال « وهو ايضاً اموي وشأنه عدنا مثل شان عبد الله وان يكن اعرف منه بالكبش، والشعر وثغر ذلك ... »

فت قال حسن « ما كنتم احسب الحقيقة خلي على مولاي امير المؤمنين ، فانها عكس ذلك على خط متقيم »

قال « كيف يكون هذا وكلها امويان وقد اخدا علينا وقاموا لحرانا ... »

قال « اما المرب فقد نصها عبد الله وابن خالد . ولو عرفت ما بينها من

الدلالات السرية لعفنت انت خالد ارجوك في بيعة امير المؤمنين من آل العوام
انتم ... »

فت قال عبدالله وهو يتنسم انسامة الاستخفاف يتصفها اغتصاباً « وكيف يكون ذلك
وهو ابن يزيد الذي امر بمحصار هذا البيت وقاتلنا حتى هدم الكعبة بتجيئنا ثم احترقت
واعدنا بناها ... »

فت قال حسن « صدقتك يا مولاي انه ابن يزيد بن معاوية ولكن لا يجيئ عليك انه
لامات يزيد كاتب الحصون بن الغير لا يزال محاصرًا البيت الحرام واثم فهو وهو
لا يعلم بموت خالبته يزيد وبالغنى انكم عرفتم بموته قبله واذا صحي ما سمعته عا دار ينكم
وبه بشان الخلافة ... »

فقطع عبدالله كلامه وقال « اخذتك تعني انه عرض علي البعثة بعد موت يزيد؟ »

قال حسن « نعم يا مولاي ذلك الذي اعييتك لواجهتك الى هذه البعثة لما كان
على منصة الخلافة سواك »

فقطط حاججا عبدالله بفتحة كأنه تذكر امراً بولمه ذكره وقال « ولكنه اراد ان
اذهب معه الى الشام وانه لا بداع يعني الا هناك »

قال « وما ذهبتك ... ولا اشك انك لو خرجت معه الى الشام وفررت منه
لم يختلف عليك احد منهم ... »

فاسرع عبدالله في قطع الكلام لانه لا يجب ان يذكر الخطأ الذي ارتكبه في ذلك
ولو لذلة لكان بتو العوام خلناه الاسلام بدل في أمينة لشدة اضطراب حال بي امية في

ذلك الحين — فنزل عد الله « ثم اذا » . أوصى إلى حدث خالد . قال « لما ماتت بزید رابع هل الشام اية معاوية اثنان اكملون وهذا لم يكن يرى اية امة حنـا بالخلافة كما صرـح جهـارـا في حـنـا و بعد ان تولـا هـا بـارـبعـين يومـاً فـي اـمـرـ قـوـدي « الصـلاـةـ جـائـعـةـ » فـاجـتـيـعـ النـاسـ فـحـمـدـ اللهـ وـائـيـ عـلـيـهـ ثمـ قـالـ « اـمـاـبـدـ ذـيـ شـعـنـتـ عنـ اـمـرـ كـمـ فـاـيـغـوتـ لـكـ مـاـلـ عمرـ بنـ اـخـطـابـ حينـ اـسـقـلـةـ اوـ بـكـرـ فـمـ اـجـدـ فـاـيـغـوتـ مـنـهـ مـثـلـ سـنـ الشـورـيـ فـمـ اـجـدـ فـانـتـ اـوـلـيـ بـاـمـرـ كـمـ فـاـخـنـارـاـ .ـ ماـكـتـ لـأـتـرـوـدـهـاـ مـيـنـاـ وـماـ اـسـتـهـمـتـ بـوـحـيـاـ » ثمـ دـخـلـ دـارـهـ وـلـفـيـ حـقـيـ مـاتـ .ـ فـلـمـ مـاتـ مـعاـوـيـهـ هـذـاـ اـخـتـلـفـ النـاسـ فـيـ مـنـ بـوـلـونـيـ فـاضـطـرـتـ الـاحـوالـ كـاـمـوـ مـعـنـوـمـ حـقـيـ آـلـ الـأـمـرـ اـذـ اـبـاعـهـ مـرـوـانـ مـنـ الـحـكـمـ لـأـكـرـ بـيـ اـبـيـ سـنـاـ .ـ وـكـلـاـ يـعـلـمـ شـأـنـ هـذـاـ الرـجـلـ فـيـ اـمـرـ عـلـانـ وـكـفـ اـنـ اـوـقـدـ جـنـوـةـ تـلـكـ النـسـةـ الـيـ لـمـ تـخـلـصـ مـنـ عـوـافـهـ اـنـ الـوـمـ فـتـولـاـهـ مـرـوـانـ دـوـنـ خـالـدـ بـزـيدـ خـالـدـ اـحـقـ بـهـاـ مـاـ بـالـظـلـرـ مـاـ وـضـعـةـ جـنـ مـعـاـوـيـهـ مـنـ اـمـرـ الـوـرـانـ فـيـ الـحـكـمـ .ـ وـلـكـنـ بـيـ سـيـانـ فـيـ بـرـضـوـيـ يـعـنـوـ حـقـيـ عـاـدـمـ اـنـ يـجـعـلـ الـخـلـافـهـ بـعـدـ خـالـدـ .ـ فـلـاـ تـولـاـهـ مـرـوـانـ حـدـثـةـ قـسـهـ اـنـ يـخـرـجـهـ مـنـ نـسـلـ مـعاـوـيـهـ الـتـيـ تـزـوـجـ اـمـ خـالـدـ حـقـيـ قـصـرـ قـسـ خـالـدـ عـنـ خـالـبـ الـخـلـافـهـ ^(١)

« فـانـقـ بـعـدـ بـضـعـةـ أـشـهـرـ اـنـ مـرـوـانـ يـاـظـرـ خـالـدـاـ فـيـ شـأـنـ وـشـأـنـ وـاعـانـ اـنـ خـرـجـ خـالـدـ اـلـىـ اـمـوـ وـاطـلـهـ عـلـىـ مـاـ كـانـ فـقـالـتـ لـهـ دـعـهـ فـأـةـ لـاـ يـتـوـلـاـكـ بـعـدـ الـبـوـمـ .ـ وـيـذـكـرـ خـالـدـ جـاءـ هـاـ مـرـوـانـ وـسـأـهـاـ هـلـ اـخـبـرـهـ خـالـدـ بـاـ جـرـيـ بـهـيـاـ .ـ فـقـالـتـ يـاـ اـمـرـ اـلـمـوـمـينـ خـالـدـ اـشـدـ تـعـظـيـاـ لـكـ مـنـ اـنـ يـذـكـرـ لـيـ خـرـجاـ بـيـنـكـ وـبـيـهـ .ـ فـلـمـ اـمـسـ اـلـهـ وـضـعـتـ مـرـفـةـ عـلـىـ وـجـوـهـ وـقـدـمـتـ عـلـيـهـ فـيـ وـجـوـارـهـ بـهـ حـقـيـ مـاتـ وـمـ بـنـ السـنـ فـيـ خـالـدـ وـالـنـاسـ يـظـلـونـ مـاتـ حـنـفـ اـنـوـ خـيـثـةـ اـبـيـ عـدـانـكـ وـهـوـ يـلـمـ بـالـاـمـرـ فـحـافـ اـذـ اـنـ لـاـيـوـ اـنـ يـدـعـ اـمـرـ وـيـقـالـ اـنـ اـمـرـ اـذـانـ .ـ وـلـكـهـ خـلـلـ حـاقـدـ اـعـلـىـ خـالـدـ وـخـالـدـ يـظـرـ اـلـعـدـ اـمـلـكـ نـظـرـ اـنـ عـدـانـ .ـ وـهـذـاـ اـدـبـ فـلـتـ بـلـوـلـيـ اـمـرـ اـلـمـوـمـينـ اـنـ خـالـدـ اـرـغـ منـ آـلـ الـمـوـامـ فـيـ خـلـافـكـ »



الفصل الثامن والخمسون

— الحطبة —

فَلَمَّا فَرَغْ حَسْنُ مِنْ كَلَامِهِ أَطْرَقْ عَبْدَ اللَّهِ طَوِيلًا وَقَدْ اسْتَرْقَ فِي الْأَفْكَارِ وَحَسْنُ وَابْنُ صَنْوانَ صَامِدَيْنَ وَنَدْ أَحْسَنَ كُلَّ مِنْهَا بِإِجْمَعِ فِي خَاطِرِ عَبْدَ اللَّهِ إِذَا هُنْ ذَلِكَ الصَّمَتُ الطَّوِيلُ . ثُمَّ رَفَعْ عَبْدَ اللَّهِ رَأْسَهُ بِفَتَةٍ وَنَظَرَ إِلَى حَسْنٍ وَهُوَ يَقُولُ « لَنْدَ فَاتَ الْوَقْتُ وَجَاءَ هَذَا الْعِلْمُ بَعْدَ أَوْاَءِهِ وَلَكِنَّ مَا يَقْدِرُهُ اللَّهُ فَهُوَ كَانِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا أَظْنَ خَالِدًا بِرِضَى بِغَرْوِجَ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ بَقِيَ أَهْمَادِهِ إِلَى رَجُلِ حَارِبَةِ أَبْوَ عَلِيِّهِ . وَلَا أَرَى شَيْءً مُسْوِفًا لِذَلِكَ . . . » وَكَانَهُ أَنْهِيَ الْمَوْضُوعَ الْأَصْلِيَّ جَزْ كُلَّ هَذِهِ الْحَوَاشِيَ فَنَظَرَ إِلَى حَسْنٍ بِفَتَةٍ وَقَالَ « وَمَا هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي جَهَتْ مِنْ أَجْلِهِ »

قَالَ « أَنَّهُ أَمْرٌ لَا يَسْقَنُ الْخَوْضَ فَيُوَقِّي هَذِهِ الْأَحْوَالَ »

قَالَ « لَا يَأْسَ قَلْ . . . »

قَالَ « اتَّدِبِّي خَالِدًا لَتَّيِّنَ إِلَى أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ خَاطِلًا »

قَالَ « تَمْ وَلَمْ ? »

قَالَ « مَوْلَانِي رَمَلَةِ أَخْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَوْلَانِي خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ وَنَدْ كَنْبَ بِذَلِكَ كَنَّا بِآيَةِ ضَاعِ مِنِي فِي الْمَدِينَةِ لِمَبِيبِ بِطْوَلِ شَرِحَهُ »

فَوْقَ ذَلِكَ الْطَّالِبُ مَوْقِعُ الْأَسْتِغْرَابِ عَنْ عَبْدَ اللَّهِ لَا عَتَادَهُ بِالْبَيَادِ بَيْنَ الْتَّيَّابَيْنِ عَلَى إِنَّهُ لَمَّا نَذَرَكَ مَا سَعَاهُ فِي هَذَا الدَّأْنَ هَانَ عَلَيْهِ نَصْدِيقُ الْأَمْرِ . وَلَكِنَّ مَا زَالَ مَرْتَابَهُ فِي ذَلِكَ الرَّوْلِ فَقَالَ لَهُ « أَذَا كَانَ خَالِدًا كَمَا وَصَنَّتْ فَإِنِّي أَسْرِيُهُ مَاهِرَتِي وَلَكِنِي أَوْدُ الْأَطْلَاعَ عَلَى كَيْبَوِي . وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمَحَالَ تَدْعُونِي التَّرْبِصَ بِرَهْبَةِ لَنْرِي مَا يَفْضِلُهُ اللَّهُ بِهِنَا وَبِهِنَا هَذِهِ الْطَّاغِيَةُ الَّذِي يَرْبِي يَنْجِيَتَهُ عَلَى بَيْتِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُ عَنِّي »

فَقَالَ حَسْنٌ « ذَلِكَ هُوَ الْمَبِيبُ الَّذِي دَعَانِي إِلَى التَّرْدُدِ فِي تِبْلِغِ الرِّسَالَةِ لَأَنِّي رَأَيْتُ الْمَحَالَ حَرَجَةً كَمَا ذَرَكْتُ وَلَكِنَّ يَكْدِي مَا سَعَاهُ مِنِ الرَّفِيِّ وَقَدْ شَرَعْتُ بِضَعْفِ سَاعِدِي فِي هَذَا الْأَمْرِ لَأَنِّي لَا أَحْمِلُ كَنَّا بِهِنَا مَحَالًا وَلَا أَرَى الْمَحَالَ تَسْاعِدُ عَلَى النَّطْعَ فَسَأَكْبِسُ إِلَيْهِ أَطْلَاعِي بِالْتَّوْلِ بَعْدَ إِنْ يَصْلِ كَنَّا بِهِنَا الشَّأْنَ . مَمَّا يَأْرِضُ عَلَى مَوْلَانِي أَنْ أَكُونَ فِي خَدْمَتِهِ لَعَلِيَّ أَسْتَطِعُ أَمْرًا يَكُونُ فِي مَصْلِحَةِ لَهُ . فَهَلْ تَرَى أَنَّ أَذْهَبَ إِلَى الْمَحَاجَاجِ

فأُخاطِلَهُ بِأَمْرِ الْمَدِنَةِ أَوِ الصَّلَحِ أَوْ خُودَكَ فَرِبَا كَانَ لِكَلَامِيْ وَفَعْ عَنِّيْ لَأَنِّيْ اخْتَرَيْتُ مِنْ أَتِيَاعِنِيْ أُمِّيْةً فَلَا يَسْتَفِيْنِي .. .

فَقَطَّعَ عَبْدَاللهُ كَلَامَهُ وَقَالَ « لَا .. لَا .. دَعْمٌ وَمَا يَنْعَلُونَ إِنِّي لَا أَرِيدُ وَسَاطَةً وَخُصُوصَةً لِذِيْ عَدْ ثَقِيفٍ » قَالَ ذَلِكَ وَوَقَفَ فَوْقَ حَسَنَ وَابْنِ صَنْوَانَ وَاحْسَنَ حَسَنَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَأَنْ يَنْصُرَفْ شَهَادَةً مُوْدَعًا وَخَرَجَ مِنْ بَابِ غَيْرِ الْبَابِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ وَقَدْ سَدَّ اللَّيلَ قَاتِلَةً قَاتِلَةً ابْنِ صَنْوَانَ وَهُوَ يَنْوِلُ لَهُ « رَوِيدَكَ يَا أَخَا الْعَرَبِ » فَوَقَفَ حَسَنَ حَتَّى اقْتَرَبَ ابْنِ صَنْوَانَ مِنْهُ فَإِذَا هُوَ امْسِكَ يَدَهُ وَادْفَعَهُ مِنْ أَذْنِهِ وَقَالَ هُمْ « تَعَالَ مَيْ »

فَشَيْءَ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ دَارَهُ دَارَ ابْنِ الزَّبَرِ فَأَدْخَلَهُ غَرْفَةً خَلَاءً فِيهَا ثُمَّ قَالَ ابْنِ صَنْوَانَ « سَعِنْتُكَ تَعْرِضَ عَلَى أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّوْسُطَ الْدِيْ الْمَحْجَاجُ فِي الْمَادِنَةِ أَوْ خَوْفَهَا وَأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَقْلِلْ ذَلِكَ أَنْتَ مِنْهُ .. وَلَكِنِي أَعْلَمُ مَا مَغْنِي فِيهِ مِنْ الضَّيْكِ وَانِ الْمَادِنَةِ قَنْدِيْنِي فِي لِمْ شَعْدَانِ لَأَنَّا قَدْ تَشَاهَدَنَا .. لَا أَقُولُ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ فَانْتَ لَا رَغْبَةَ لِي فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَلَا هَا مُخْنَنُ لِطلبِ الْآخِرَةِ وَهُوَ أَبْيَهُ بِرِيدَوْنَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْثَّانِيَةِ وَيَسْتَكُونُ الدَّمَاءُ مِنْ أَجْلِهِ .. فَإِذَا رَأَيْتَكَ قَدْرَةً عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَقْعُلَ .. .

قَالَ « لَا أَدْرِي مَا تَكُونُ قَدْرَقِي عَلَيْهِ وَإِنَّا أَسْعَى فِي ذَلِكَ جِهَادِي لِعِلْيَ أَنْوَنَقَ الْشَّيْءِ مِنْهُ .. .

فَقَالَ ابْنِ صَنْوَانَ « فَازْلَ الْآنَ فِي دَارِ الْأَخْبَارِ أَوْ ازْرَلَ فِي دَارِيِّ إِذَا شَيْئَ » فَقَالَ حَسَنَ « بَلْ ازْرَلَ فِي دَارِ الْأَخْبَارِ رَبِّيْ أَدْبَرِ الْأَمْرِ »

فَقَالَ « وَلَكِنَّ اللَّيلَ قَدْ أَظْلَمَ فَامْكَنَتْ عَدْنَتَنَا اللَّيْلَةَ فَإِذَا أَصْبَحَاهُ خَرْجَتِيْ حِيْثُ تَرِيدُ »

فَذَكَرَ حَسَنَ بِلَالًا وَبِجَدِلِيْ وَكَانَ قَدْ تَرَكَهَا بَابَ الْمَجْدِ فَقَالَ « وَلَكِنَّ خَادِي يَنْتَظِرُ فِي بَابِ الْمَجْدِ بِالْجَمْلِ مَعَهُ وَأَخَافُ إِذَا أَسْتَبَهَا لِيْ إِنْ يَظْنَنَ فِي سَوْءَهَا »

فَقَالَ ابْنِ صَنْوَانَ « لَا يَأْسَ عَلَيْهِ لَاهُ إِذَا أَسْتَبَهَا لَكَ نَامَ هَنَاكَ وَفِي الْفَدْرَاهِ فَانْتَ فِي بَيْتِ اللهِ الْكَرَامِ وَلَا يَقْبِعُ فِيهِ ضَانُعَ »

فَأَخَاطَهُ حَسَنَ وَبَاتَتْ تَلِكَ اللَّيْلَةَ عَنِّيْ .. وَقَضَى مُعْظَمُ اللَّالِ وَهُوَ يَكْرِهُ فِي أَمْرِ عَبْدَاللهِ وَفِي مَهْرَبِيِّ الْمَحْجَاجِ .. وَلَا يَسْتَغْرِقُ فِي الْوَمِ رَأَيْ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ الْمَحْجَاجِ

وجادلة في أمر الكعبة وكيف يرمي بها التهريق فسع من الحجاج كلاماً قيحاً فافتى في الصراح وهو منهض النفس بهب ذلك الحلم ثم جاءه ابن صنوان بالطعام فأكل وعرض عليه أن يسرالي بيت الأخياف فقال حسن «أرى أن أبحث عن الخادم والبسمل» فقال لا يأس عليها وعلى كل حال ها في سائر ملك إلى دار الأخياف حتى تعرفها فماها بجانب بيت أبد المأذون ثم أذهب حيث شئت

الفصل التاسع والخمسون

حبيبات ذات النطافين

فشيءاً حتى اقبل على دار الأخياف فقول ابن صنوان إلى بيت عبد الله ودخل حسن إلى الدار فرأى فيها أناشاماً يعرف أحداً منهم فجعل بندرس في الوجه لعلة بري خادمة بينهم فلم يجدنْ فهم بالخروج إلى موقف الدواب للبحث عن جلوده وقد يكون بلا لمع الجبل هناك ولم يكدر ير ذلك في ذهنه حتى رأى بلا منيلاً على الدار وبنته بادية في وجهه وعباءة شائعة كان يتش عن ضائع ثم ما لبث أن وقع نظره على حسن حتى أسرع إليه فناداه حسن «ما وراءك» قال «ما وراءي إلا المبور .. إن يودي أبا سليمان يبحث عنك»

فيجت حسن لذكر أبي سليمان لعله أنه فارقة في المدينة وقد عهد إليه تسم الخبر حمية فانشغل خاطرُه بجيتو وبهض وقال «أين هو»

قال «تركته في المسجد وجئت للبحث عنك قبل أدعوك إليك ..»

قال «لا بل أنا أذهب إليك» قال ذلك وتحمّل برید الخروج فرأى أهل الدار في هرج ومرج يرام بعض بعضاً كانوا يوم عيون الطريق لقادم عظيم فوقف في جملة الواقعين وسأل أحدهم عن سبب هذه الحركة فقال له «أن ذات الناطقين قادمة إلى دار الأخياف»

فعلم أنها أسماء بنت أبي بكر والله عبد الله بن الزبير ولكنها كان يحبها ماتت لغير منها لاتها ولدت قبل المحرقة بسبعين سنة وهي يومئذ قد بلغت السنة المائة من

عمرها . وكانت مشهورة بـ كبر العنل وسعة المدار ومحنة الدين ^(١) فاحب ان يراها فيجل
بنطال حتى اقبلت فإذا هي قد اخذت ثوبها وجاءت شوكاً على عكاز ويجانها رجل
بسندوها ويرشدها على الطريق لانها عيادة . ثم رأى الناس يدنون منها وبثيلون اطراف
ثوبها ترثكاً لها حتى اذا اقبلت على موقف خدم الدار قالت لهم « خافقوني من الله ولا تخليوا
على عباده بالطعم وان كان قليلاً في الاسواع فان الله كثيل بطعم الغد »

فجع حسن لاهتمام ام الخليفة بأمر الاشياف على عزتها وضعفها ولكنه نذكر ما يقال
عن بطل ايها عبدالله انظروا جاءت تست卉ن الخدم على اكرام الضيوف لاعفادها ان ذلك
يدفع البلاء عن اهلها . وبها يكن من حرص الامهات على الدرع فذا وقع اولادهن في
خطر هان عليهم البذل دفماً للبلاء عنهم . وكانت اسهام في نهاية النافق على ايها عبدالله
لعلها بما يهدده من الخطر العظيم فلم ترسيلاً لاستئثار الرحمة غير المبررات
اما حسن فاصدق انت مرموكب ذات النطاقين حتى خرج وعنة بلال فلما اقبل
على المجد أسرع حسن حتى اقبل على سليمان ودلائل الاستئثار بادية على وجوه وحالها
ووقع بعض عليهو صاح فهو « ما ورائك يا عاء »
قال « ان ما ورائي ذوال يا عي »

فثبت حسن وقال « وما هو .. ؟ قل .. هل اصاب سبة سوء .. ؟
قال « لم يصها سوء ولكنها جاءت الى مكة .. »
قال حسن « جاءت الى هنا .. ؟ ان هي .. »

قال « اصبر يعني مجلس في بعض جوانب المجد على انفراد وانص عليك الواقع »
وكان المجد خالياً من الناس خوفاً من حجارة المحبين شعساً في ناحية وحسن في قلنس
شديد وهو يخاف ان يلح في استطلاع الخبر لذا يكون فيه ما يذكره ولكنه لم يستطع
صبراً عن السؤال فلما جلس قال « قل يا عاء اين هي سبة الا ان فقدت صبرتي ..
كيف تتول ايتها جاءت مكة .. »

قال « صدقني ايتها جاءت مكة ولكنها في خارجها »
فانتبه حسن وقال « العلما عبد الحاج ؟ .. »
قال « نعم يا عي ايتها عي »

فصاح حسن وهو لا يهي ما يقول وما في الحجد من بسمة غير اي سليمان
« اخذتها ... ! وكيف اخذتها ... ؟ افصح اخبارني ... »

قال « اخذتها امرأة لة لان اباها عرقية زفها اليه في يوم سررك وخرجت من المدينة
مع المحبلة التي بعث الحجاج بطلها من طارق بن عروء عامل المدينة ... »
فلا سمع حسن ذلك « اطرق كأنه اصيبي بمحمد وذكر للحال ان شاهد تلك المحبلة
بالامس مارة قرب مكة وعها هودج بحرسة فارسان فارتعدت فراصه وهو رأسه وقال
« اعود بالله أوري سمية نساق الى الحجاج وانا اتفق انظر الى هودجها ولا انصرها ... »
كيف انصرها وإنما لم اعرفها ... ! ولكن لا بد من تخلصها من يدي ذلك الفلام ... !
من يدي ايها المخائن الغادر قبحة الله ... ! هل سبقت الى الحجاج برساها ... »
قال ابو سليمان « ما اخذتها سبقت الا» بالرغم عنها فقد علمت ان اباها احتال في
اخراجها من المنزل الى ضواحي المدينة وسلمها للجند المعسكرين هناك »
قال حسن « اذا في الآن امامنا في هذه الخيانة بجانب جيل اي قبيس ... لا بد »
لي من الذهاب اليها ... فاما ان اخذتها او اموت في سبيل ذلك لكي اعذر فيها »
فقال ابو سليمان « اعمل بما يفي اني رعون اشارتك وقد قلت لك اني نادر عمري في
هذه نكارة فادا رأيت ان تبعشي في امر يتعلق بها افعل ... »

الفصل السادسون

كتاب خالد

فصاحت حسن وهو يذكر برقة ثم قال « احجاج اليك يا عمه في رسالة بعثة الشفاعة
قول لك في اغذتها ؟ »
قال « ولوالي السعد »

قال « لا يهل هي الى الشفاعة الى خالد بن يزيد هل تسير ... »
قال « افعل ان شاء الله واي متي ... ! وما هي الرسالة ؟ »
قال « هي كتاب اكثبه اليه يعلق بالمبوبة التي جئت من اجلها »

قال «أكتب وإنما يدركك»

فاستخرج حسن من جيبه منديلاً من النباضي (نوع مصرى) وكان قد أعد دواه وقلماً في جيبه لملئ هذه الفاكهة وجلس على سجادة عصادة من عصادات المسجد يكتب وأختصر في الكتابة على جاري عادتهم في تلك الأيام وخلاصة ما كتبه قوله:

«إلى خالد بن يزيد من حسن . . . أما بعد فقد جئت إليك الحرام بعد أن مررت بالمدينة وأضعت فيها كتابك إلى ابن الزبير في حديث سافحة عند الاجتماع . ومع ذلك فقد خاطبتك ابن الزبير شفاعةً بالأمر على حون اثنين بالحصار وضيق ما حوله فاجاب بالرضا، ولكنني رأيتها بسؤال عن كتاب منك في هذا الشأن فاذاشت فاكتب إليه وأبعث الكتاب مع جامل هذا فانه نعم . وإن باق ما الأمر يعني كثيراً والسلام عليك وترجمة الله»

ثم لم الكتاب إلى أبي سليمان وقال له «امض بأسرع ما يمكن وإحضر ان يمطرشك الخنزير حول مكة»

قال «لقد دخلت ولم ينادي معي مأراً فكيف بمزوجي وهذا الذي تارك بلال فيه خدمتك لمالك تمناج اليه في شيء»

فأثنى عليه وودعه وعاد إلى التذكر في سيدة فرأى أن يذهب إلى معسكر المهاجم يبحث عنها لعله يستطيع خيراها فيقف على حقيقة الواقع . . . وكلما فكر في الأمر تعاظم لديه ولما يتصور أنها زفت إلى المهاجم وبه بذلة كائنة أغرق في ماء غال

قضى برهة في مثل هذه المواجهات حتى لم يعد يدري يدفع صبراً فموئل على الذهاب إلى معسكر المهاجم مجبرة أنه متذوب من قبل ابن الزبير للخمارة بشأن هذه الحرب ولكن لم ير بدأ من استشارة ابن صنواني لثلاً ينفض ابن الزبير إذا خاب المهاجم بشأتو وهو لا يريد . فهض لسانه واسرع إلى بيت ابن صنواني فلم يجده في البيت فاقessa في دار ابن الزبير فدخل القاعة التي كان الاجتماع فيها بالأمس فلم يوجد أحداً . وفيها هو عائد من مرابط الخيل والجمال وبهـا الخدم والبسالة فوق نظاره على رجل يهدـه أنه معه إلى المكان

قال «جئت مع مولاني»

قال «وهل ليلى هنا الآن وإن هي؟»

قال « هي عند أمراء المؤمنين في بيته وأظلها في حجره والدو ذات الطاقين »

وقال « من أين أتيت؟ »

قال « من معسكر الحجاج »

فاستبشر حسن بذلك الخبر لعله ان ليلى لا بد انها اطلعت على كنه الامر وربما رأت سيدة وسمعت منها شيئاً فلم بعد يصر عن اثنائها ثم عمل بشئ خارج البيت وهو كلما سمع حركة او صوتاً ظنها خارجة حتى مل الانتظار فعاد الى الخادم فقال له « هل اقمن في معسكر الحجاج طويلاً؟ »

« قال اقنا « يوماً وايام ثم رأيت مولاتي اسرعت الى مكة فأرسل الحجاج معنا من اوصلنا الى مكة اثلاً يعارضنا المختر المحيط بها »

فادرك حسن ايتها جاءت بادارة الحجاج فزادت رغبتها في مقابلتها واستطلاع حقيقة الامر . وفيما هو يذكر في ذلك رأى ابن صنوان خارجاً من الدار مهولاً . ولما نالقت الابصار أقبل ابن صنوان وهو يقول « احمد الله اني رأيك هنا فند كث ذاهباً للتنبيش عنك عذافة ان تكون قد مضيت في الامر الذي اعدت نفسك له بالامس »

قال حسن « وماذا تعني؟ »

قال « اعني خارج الحجاج »

قال « وما الذي حدث؟ »

قال « جاءت ليلى الاخيلة مثل ذلك الفرض وقد سمعت من أمراء المؤمنين جواً اكذب في اثلاً يرجو صحتها ولا هدنته . لان الحجاج لا يتقبل بغير التسليم وهذا أمر مستحيل عندنا ولموت اهون منه علينا »

قال حسن « وإن هي ليلى الآن؟ »

قال « هي في دار النساء وقد نزلت عند مولاتي ذات الطاقين ورملة بنت الزبير

عندها ايضاً »

قال « هل من سبيل لي اليها فاني اطلب مقابلتها »

قال « ذلك هين . هل اخبرها بأمرك تطلب روبيها؟ »

قال « افعل »

الفصل الحادى والستون

— وعند جهينة الخبر اليقين —

فدخل ابن حنوان ثم عاد وهو يشير اليه ان يبعثه فدخل غرفة رأى فيها ليل وحدها في انتظاره فلما اقبل عليها صاحت فيه « هل انت حسن حنيفة »
 قال « ولانا هذا الاستهانة — وانت تعرفيني »
 قالت « لاني سمعت انك ضائع واكذبوا لي انك فنان »
 قال « كدت اقتل ولكنني حي الآآن فاخبريني قبل كل شيء هل كنت في
 معسكر المجاج »
 قالت « نعم »
 قال « وهل رأيت سمية هناك »
 قالت « نعم رأيتها »
 فلما قالت قافية عند مسامع ذلك الجواب الصريح ولم يصدقه فقال « هل رأيتها حنيفة ؟ »
 قالت « نعم رأيتها ورأته وكلها وكلبي »
 قال « بالله قوله لي كيف حالما وما الذي جرى لها وكيف تم بامرها »
 قال « الملك غائب عن الدنيا ؟ ألم تعلم انها جلت الى المجاج ليكتب كتابا
 عليها ؟ »
 فلما سمع ذكر الكتاب قف شعر وصعد الدم الى وجيهه وقال وهو يتجدد « نعم
 علمت فهل كتب كتابا ؟ »
 قالت « نعم كتب من ذلك يومين وهي الآآن في داره مع نسانو »
 قال « في داره مع نسانو .. مع نسانو ؟ »
 قالت « نعم مع نسانو »
 قال « وهل ذكرناك وبكتها في حدبكما »
 قالت « ذكرناك وبكتها عليك وهي التي اخبرتني بموتك واكذبت لي ذلك
 بدلائل حنية »
 قال « وهل هي آسنة على موتي »

قالت «اما قلها فهو معك فلا تترعن ذكرك لحظة وبحأسها من ذلك لا
يمانعها عيش بدونك»

فأبرقت اسر حسن عدد ساعي ذلك وقال «اذا كان المجاج كتب كتابا
عليها كالتواون وهي بستة من لقائي فكيف أرجو اللقاء؟»

قالت «الحب كله رجاء ياحسن» قالت ذلك وتهدت «ان الحب يقع الرجاء
في موضع اليأس»

قال «هي باقية على حبي اذا ما

قالت «نعم وهي مع ذلك لا ترجو لقائك فكيف اذا علمت انك حي... فهل أنت
تحبها مثل حبها لك؟»

قال «كيف لا» وهاجت اشجانه ولم يعد يستطيع صبراً عن الذهاب اليها واحس
انه متصر في سعي خورها الا اذا التي نسأله للذلل لاجلها . ولكن لما نصور اتها رفت الى
المجاج عظام الامر عليه وكانت الغيرة تحررها فاطرق ببرقة ثم قال «وهل زفتالي المجاج
حيثية؟»

قالت «ذلت لك اتها زفت اليه وهي في دار مع سائر نسائه»

قال «اعوذ بالله من ذلك .. لا اصدق اتها في بيته مثل احدى نسائه وكيف
هو .. هل يحبها ..؟»

قالت «يحبها حباً شديداً ولم يكن يمكن ان يحصل عليها الاها لا تربها ولكن
النماذير ساعدته فخجلوها اليه قرراً»

فافشعر بدنه وجد النم في عروقه وقال «اني اطير اليها واختلطها من ونفديه
ومن بين عيناهيلو ..»

فعاملت اهل كلامه وقالت «تضر يا حسن ان دون الوصول اليها عذبات لا
يمستطاع تخوازها الا بالحكمة»

قال «وابي حكمة؟ كيف يحسا المجاج وانا حي .. ليس في الحب حكمة ..
الحب شيء والحكمة شيء آخر .. ان الرجل اذا احب اصبح نعمت قوازف الحب
وشرائعه وما في الحب حكمة ولا سياسة ولا مدارسة ولا رباء ..»

فلا رأت اهل شدة هباجه خافت عليه الموت لعلها بما يعنون الوصول الى سعادته من
الاخطر وخصوصاً لما تعلمه من خلل المجاج وعنده فادعا وقع حسن بين يديه لا عذاب

لة غير المولت فقالت له « اسلم معك ان الحب لا سياسة فيه ولا حكمية ولكن الحب حريص على حمايك من اجل حبيبو فبدلاً من ان تستيق حيائنك لتفريح سمية بك تعرضا للغطر عدداً ؟ .. تصر في الامر وانا في خدمتك حق تبلغ ما ترين » فاني اعرف قبة الحب ويسؤني ان ارى حبيبين لا يجتمعان واتمن عن من يسعى في التفرق بينها .. قال ذلك وتهدت بأمر الدفع في عينها

فشعر حسن اهها تطلق عن احساس حبيبي لانها اصحيت بحب توبه ومنعوها منه فقال « بورك فيك يا ليلي واشك انك خففت عن نصف المصالب بهك المداركة فاشريري على »

الفصل الثاني والستون

سمية في بيت الحاج

قالت « لا أخفي عنك اني جئت معسكر الهماج وافته على عادتي في الوفود على الامراء والملوك فرحب الهماج بي طازلي في دار احدى نسائه ومن اعزهن اليه واصها هذى بنت العمان وهي جميلة ذات حسب ونسب ولكنها لا تحب ولا تخسرمة فلتقيت سمية عددها فلما عرفتها دار الحديث بذ كرك فلما سمعت بضياعك ثق ذلك علي » وقلت لعلي « اذا جئت مكة استطلع خيراً عنك فعرضت على الهماج ان آتي مكة باحرض ابن الزبير على النسليم وانا اعلم ان نسلامة امر مستحيل ولكنني فعلت ذلك حتى آتي تحت حمابو .. ولما جئت سألت عنك فاخبروني انك جئت بالاسس وخطبتك رملة خالد فأجابك بالرغمي ولكنك اشتراكك ربها تتفضي هن الحرب فسررت سروراً مزدوجاً اولاً لانك حي وثانياً لانك تجحست في الهمة التي جئت من اجلها .. فالرأي الآآن ان اعود الى معسكر الهماج واجعلك راوبي (لان لكل شاعر عند العرب راوياً برافقه فيحافظ اشعاره ويرويها عنه) والهماج لا يدركك ولا يخطر له انك متاظر على سمية فرق وصلنا المعسكر واقتنا في آمين خنان في امر سمية على ما يتحقق لنا »

فاستحسن حسن رأيها وقال « نذهب اذا معاً هلم بما الآآن فاني لا اصبر على

هذا الحال »

قالت « أستقي إلى المسجد وإنما أودع ذات الطائفين والحق بك »

قال « لقد انساني حدثت سلى استطلاع مادر يدرك وبين ابن الزير من أمر
الصلح او التسليم .. »

قالت « كت على يدين قبل فتح الحديث معه بهذا الشأن الله لا يقبل ولكنني
رأيت أممأ اسماء ذات الطائفين أكثر تعلقاً منه بذلك .. أتي أiceps به العجوز وصبرها
على المكاره فقد رأيتها مع ياسها من نجاح ابها تشجعاً وغرضة على النبات في دعوته ..
ولكنني لا أرى فائدة من ثيابه وقد رأيت معسكر المجاج ورأيت معسكر هنا والفرق
يهما واضح من حيث العدد والمقدار وكل شيء »

فابتدرها حسن فـ« لا لا » وقد رأيت يام عبيدي الصحاب ابن الزير واخوهه وأهله
يقلون عنه وقد ندلت قواطه وأقواته فالامر خارج من بيده لا حائل .. »

قالت « الفتنة هي المذالية يا حسن والخلافة صائفة الى بي أمية .. لأن عدم
الرجال والاموال وقد ساعدهم الافتخار في كل سهل .. ونحن لا نهنا من أمر
هؤلاء .. »

فقط حسن كلامها وقال « لا يهبني الآن الا أمر سيبة فما في ساينك الى الحميد
انهياً للسفر » قال ذلك وتركها وسرع الى الحميد فوجد بلا لا جالساً بغير الصناید
حانوت رجل فارسي كان يبيع فيه الاشياء فتبعده بالل حتى دخل الحميد فنفس حسن عليه
عزمه على معسكر المجاج واسر ابو الغرس من ذلك

فقال بلال « اكون أنا في خدمتك يا مولاي »

قال « بورك فيك .. ولكنني ذاهب في مهمة لا تخلي من الخطر فإذا انكشف
أمرى فيها لم يتفهم الرجل والرجلان فإذا توقفت فاني وحدى قادر على استقبال ذلك
الدوفيق .. ولانا أرجو منك ان تبقى هنا بضعة أيام فإذا استطاعني اطلعني في معسكر هنا
الطاغية .. »

الفصل الثالث والستون

مسكر الحجاج

ثم بدل حسن ثيابه بحيث لا يتباهى له عارفون، إلا بالتأمل وحمل جرائبها وادراج من الرق عليها بعض الفسائد وركب يانتارا ليل حتى عادت وقد تلقت وركبت الجبل كبعض الرجال وفي ركبها خادم . فركب هو جملة وسارة والخادم هي وراءها حتى مررت بيته ابن صنوان وكان ابن صنوان واقفاً بالباب فرأى ليلي فعرفها وتبرس في رقبتها فعرفها فخواه حسن فقال ابن صنوان «والك أين» قال «عولت على السعي الذي أجد سبيلاً للنجوفيق »

قال «لا أظلك ملائكة نجاحاً

وما بثت حسن وليلي أن ابعدنا عن بيته ابن صنوان وخرجنا من مكة حتى لاقاهما رجال الحجاج حوطساً نعرفوا ليلي فلم يفترضوها . وما زالا سائرين حتى أقبلنا على مسکر الحجاج

فنظر حسن إلى ذلك المعسکر وللإعلام تخلق فوقه وإنعامه عينة على مسافة بعده
فعلم أمراً بالحجاج في عينيه وقال « يا ليلي ان الامر صار إلى هذا العاتي لا محالة ..
والي ليتنفار قلبي كلما نصّورت مصیر عبد الله بن الزبير ... انتظريه ، مهروراً بنفسه ؟ »
قالت « كلاماً ولكنني يعتقد نفسه على هدى وهو صار إلى الموت . »

قال « ما الذي ارأى على هذا الجبل »

قالت « الم تزّ وقوع الاستخار على الكعبة ؟ فعل هذا الجبل (جبل أبي قحاف)
نصب الحجاج عليهما وهو يرمي الحجارة بهما على الكعبة . وبعث المجردات فصيّلة
من الجبل ... »

قال « وإن خيام النساء من هذا المعسکر حيث يقيم نساء الحجاج وهم سبعة »
ولما ذكر اسمها اقشعر بدهنه لاتها من جملة نساء الحجاج وناهيك يا لير في ذهنه من
عوامل الغيرة وخصوصاً لما يتصور الحجاج إلى جانبها في خلوة أليس عليها فيها رقيب
فأدركت ليلي هذل مافي نفس حسن فقالت « غلن سائرون الآن إلى خيمة الحجاج
وهي الكبرة الثانية في وسط هذه الخيام فادخل أنا فأتجهية على مهمتي بما يحضرني من

الكلام ثم اخرج واسرى بك الى مكان اعرفة وادهش الى منزل هندشت العيادة وارى سيدة هناك فا قص عليها خبرك ونقرض موعداً لخراجان يوم من هذا المعسكر بالتي هي احسن « فسر حسن بذلك الامل ولو كان بعيداً . وكان قد وصل المعسكر والختير لا يمترضونها لأنهم علوا بذعاب للي بادن الحجاج وما زلا حتى اقبل على خيمة كبيرة قائمة على بضعة عشر عموداً امامها اناس بالحراب وأخرون بالسيوف اثنين بالختير عدد الرؤوم — وكان بيتو امية قد اقتبسوا ذلك منهم ثم توظاه عالم ارهاباً للناس لأن دولتهم اثنا كانت دولة ارهاب ولطاع . وقبل وصولها الى الباب انماجا الجمال وتزلا فمشت ليلى والناس يوسمون لها وحسن يصر في اثرها حتى وقفت بباب الخيمة فدخل احد الوقف يستاذن لها ثم عاد وهو يدعوها فدخلت وظل حسن في جملة الوقف وهو في شوق شديد لروبة الحجاج وقد طالما سمع به وبعظيم اعماله فوق بحث يستطيع رؤفته من باب الخيمة . فلما هو جالس في صدرها على سجادة ثمينة وقد تربع ووضع السيف على خذليو تحت مطرف من خربتون القاء على كثبيه وإداره على جنبه . وذاهباً لما دخلت ليلى رحب بها بصوت ارق ما كان يتوقع ان يكون لأن الحجاج كان رقيق الصوت الا اذا استنشق في الخطابة فورتفع كثيراً^(١) وتنرس حسن فيه وهو يخاطب ليلى فاذأهو اخشن الودين من تعطب الوجه لا يرى في وجهه قبولآ للابتسام او الضحك . وفي الواقع فلما كان يرى ضاحكاً

الفصل الرابع والستون

الانتظار صعب

وفيما هو ينظر اليه لاحت منه الشابة التي من في مجلسه فرأى بينهم رجلاً لم يقع بصره عليه حتى اضطررت كل جواره واستعاد باهله من روّقه كيف لا وهو عرقية فقد رأه جالساً بجانب الحجاج كجلوسه في اهلة ينفي ويفي ولله الحول والطاول . فلم يبال ذلك حسن عن الارتفاع لشدة التأثر وخصوصاً لما علم ان عرقية لم يبل ذلك المصب الا بضحية ايليو سيدية فهاجت عواطفه حتى حدثته نسمة ان يشك يوم ويتهم منه . ولكن ما

لبيت ان عاد الى رشته وعلم ما يحيط به من الاختطار اذا انكشف امن فتجاهله وحول وجهة الى خارج المعسكر لثلاً يلاحظ احداً منه شيئاً . وخوف ان يراه عرفة فيعرفه ويدبر له مكيدة اخرى فشيء وهو يظاهر انه يدور بغير انتباه حتى بعد عن خيمة الحجاج وبعد برهة مع ليلى تناهيه فسار في اثرها والجراب معلق بيضة كتبوا ولا يشك الذين يرون سائر اصحابها الله راوتها . وبعد ان قطعت مسافة في المعسكر قالت « انظر الى هذه الخيمة بجانب هكذا الراية امها خيمة القادة من الشعرا وغورم وستنهم فيها ربها آتاك او ابعث اليك »

قال « وسمة ؟ لا استطيع رؤيتها الان .. خذني معك اجمعي خادماً لك او تابعاً او اي شيء ، واذني لي ان ارى سمة »

فأشققت ليلى لغرفة وقالت لها « سر في ازري حتى ندخل مضرب خيام النساء واجعل انك تحمل لي هذا الجراب حتى تضعه في الخيمة التي يخون سائرون اليها ومني وصلنا ادبر لك حياة في مداهدها ومحاطتها »

فرقص قلبها فرحاً وهي كل خططي سهل شوق لرؤبة حبيبها . وبعد هدوءه وصل الى خراء للة عنده ابواب وحوله خيام اخرى صغيرة فعلم انه خيراً اهل الحجاج . فقللت ليلى انك تحب هذه النخلة ومني دعوتك ادخل . وكانت الشمس قد مالت نحو الغروب فجلس حسن هناك وقلبه يدق وعيناه شائعتان

اما ليلى فانها دخلت الخباء وهو اقسام لكل امرأة قسم على عادة العرب في بناء الاخرية فدخلت النسم التي فارقت هندآ في قرأت هندآ مكيدة وسمة مكيدة الى جانبها لا تكلمان . فلما رأينا ليلى رجتناها واستيقظناها فاقامت ليلى في وجه هند انتباها وكأن سمة نعز بها وتختلف عنها فقالت « ما بالي ارى هندآ شخصي »

قالت سمة « من يقترب من هذا الظالم العاتي ولا يكون متقبلاً الله لا يترك وسيلة لا يتأمل بها على نسائه واهل بيته .. »

وكانت ليلى تعلم بغض هند للحجاج فلم تستغرب ذلك ولكنها اختتمت الترصة واجابت سمة فاثابة اراك تكون من الحجاج ونساؤه وانت لم تعرفي الا بالاسم وهو مهرم بك ولم يصدق انه حصل عليك

قطعت كلامها وقالت « لم يحصل على شيء ولن يحصل عليه ان شاء الله »

قالت « شيئاً لما نقولين وانت في داره وبين يديه لبلأ ويهارأ »

فأشارت بهنها أنها تكمل أمرًا لا ترید ان تتوح و امام هند . فاستقرت ليل قوطا و ظاهرت أنها ترید عقليتها في شأن دخلات بها إلى خيئها الخاصة فاستقبلتها أمة الله خادمتها الحبيبة وكانت تهني طعاماً لمية فلما دخلتا خرجت إلى اصلاح بعض الشؤون . فلما خلدا فالت ليل «رأيتك تهني الحجاج و تدريون منه وهو زوجك الشرعي فضلاً عاله من السلطان الذي ذكرت عليك فكيف تقولين الله لم يحصل على شيء» وكانت مية قد جلس على برش من سعف الخيل بأرض الحبيبة وبين يديها وسادة تتناغل باصلاح شبابها وهي تسمع كلامه ليلي . فلما فرغت ليلي من سؤالها بدأ البغة على وجه مية لم انتفع لون وجهها امتناعاً شديداً وفي لازال تنظر إلى الأرض وليلي تذير ذلك واستغرى ولا تعلم سبب هنا الانتمال فقالت «ما يالي أرى مية ساكتة لا تجري على سؤالي ؟ .. كيف تقولين الله لم يحصل عليك وانت ين يديو»

الفصل الخامس والستون

السم الزعاف

فرفعت مية رأسها وقد بدأ الماء في عينيها وشققتها وقالت «صدق يا إلى الله لم يحصل على ولو كتب الكتاب وعقد العقد . ولم يكن ذلك تفلاً منه ولكنه موجود على ذلك بخلاف سبق لمانة اليه . وأما كونه لن يحصل على فقد اعدت وسيلة الجوابها منه إلى حبيبي ..» قالت ذلك وشرفت بربتها فاختنق صوتها فارسلت دموعها وهي صامتة لأنتفق ولا تتكلم فازدادت ليلي مشاركة لها في ذلك الأمر ولكنها استقررت قوطا أنها اعدت وسيلة للنجاة إلى حبيبها فقالت «واي وسيلة اعدت ؟ .. وان هو حسن الآن ..»

فلا صحت مية اسم حسن لم تعد لحالك عن البكاء فكان جوابها الشيق والغرب وليلي يهم ان تعلمها عن حسن وتخاف أن يصيدها سؤال من البغة .. فجولت على استطلاع سر الامر فقالت « اذا كنت تحبيني لا تخفي علي سر هذا الامر فلأنه رأيتي مني كل مساعدة ومشاركة وإنما خادمة لك إلى آخر نسمة من حياتي .. فولي .. لا تخفي علي شيئاً ..»

فقالت وهي تسع دموعها «اما سبب كونك لم يحصل على فلانة اراد ان يطوف بالکعبۃ في آخر الحجۃ المماضیة فنعت ابن الزیر من ذلك فاقم انه لا يتزع السلاح عن ولا يقرب النساء ولا الطیب حتى يقتله»^(١)

فذكرت ليلي انها كانت لا ترى التجاج الا يسلاحو حيناً كان ليلاً ونهاراً وسررت من اجل حسن لعلها ان ذلك الخبر يشرح صدرو ثم ارادت ان تستطلع کيفية نجاتها ف وقالت وكيف تقولين انك دررت وسیلة للنجاة؟

فجذت سیمة يدها الى جيئها فاستقررت منه صرخة حلت عقدها فاذان في داخلي قطعة رق ملتوقة للي بشكل درج فتسادر الى ذهن ليلي انها كتاب لهم تمودوا ان يلنو الكتاب على هذه الصورة ثم رأت سیمة تناولت ذلك الرق بين اصابعها وقالت «ان الشرج يأتي من مت هذا الدواه ..»

فقالت ليلي «وما ذلك؟ ..»

فقالت «هوس» احتضرت بوجى اذا خافتت وقوع الخطأ تناولته فبذهاب في الى مكان ارجوان الباقي حسناً فيو»

فرأيت ليلي ان تبيع لها بالسرفالت «وما قولك اذا لا قيت حبيبك وانت حية» فتندرست سیمة في وجه ليلي وهي تخسماً غازحها وقالت «لا تخبي الحياة الي» فان شفائي اياده في العالم الآخر خور واين . اما هنا فلا امل لي بذلك»

قالت «لا تقطعي الامل يا سیمة ..»

فأجابت وهي تخسها تختلف عنها «لا ابالي قطمت الامل ام لم اقطعه فان مدة عذابي في هذا العالم اصبحت قصبة ولا بد من انتفاء هن الحرب فاذال خلل» هذا الطلاقية حسماً كان دوائي في هذه الصورة واذا مات .. ولكن ما النائمة من شفائي حية وحدني» فقطعت ليلي كلامها وقالت والمجدد في غنة صوتها «اذا بقيت حية فانك لا تكونين وحدك لان حسناً حي»

فلما سمعت سیمة ذلك بفتحت وعادت الى التفرس في وجه ليلي فرأيت الجدد يادياً في عينيها فولت من ميلادها وقالت «يا الله اعدي ذكره وعلاني بفناو .. قولي الله حي شفاني ذكره يجهبني ..» قالت ذلك وارخلاف صوتها فبكـت ثم قالت «ولكن ما النائمة من التعـال بالاحلام ..»

فقالت « لستا في حلم وإنما نحن في يقظة وقد آن لك أن ترى حسناً فانه في انتظارك على مقره من هذا الخبراء وسأدعوك إلى ذلك اشتراكياً » ثم خفت صوتها وقالت « ونبوعاً على وقت قرآن يوم من هذا المعسكر ولا خوف من مجيء الحجاج الذي الله يسبب النسم الذي أقسمه فهو طيباً لا يأتي خيراً ناسوا »

الفصل السادس والستون

صاع ثانية

وكان سبة نسيع قول ليل ولا نصدقة ولكنها لم تزد إلا من تصديقه وخصوصاً لما سمعت أن حسناً يقرب خيالها فمرولت إلى شق في الخبراء ونظرت إلى الخارج وكان الليل قد سدل ثقابه فلم تر أحداً فنادت راهمة الله فأسرعت إليها وقد انارت المراج ودخلت حتى وضعته على المرجة فنالت هامسة « هل رأيت أحداً جالساً حول هذا الخبراء؟ »

قالت « كلاً يا مولاني ولكنني رأيت رجالين مرآءاً معاً وخرجا من المعسكر »

فنالت ليل « وهل رأيت على أحددهما جراها؟ »

قالت « أظنهما رأيت أحددهما يحمل جراها »

فأسرعت ليل وسية في اثرها وأطلتها من باب الخبراء فلم ترها أحداً فنحوت ليل نحو المكان الذي أجلسته فيه فلم تزل اثراً فأسقطت في يدها وأعلنت التكهن في سبة ذهابه ومن هو الرجل الذي سار به فلم يهدر إلى حل

اما سبة فخرا شرك في قول ليل ولكنها تحفظت صدقها لما بدا في عينها من دلائل الاتهام وما يخشى جديها من امارات الانباء فنالت هامساً « ماذا هي ان يكون سبب هذا الذهاب ... وإلى أين؟ »

قالت ليل « لا يخلوان يكون ذهابه لأمر ذي يال فقد جاء معه وهو لا يصدق انه يحيطى بروبيك ولا اظنه تحول من هذا المكان الا بالرغم عنه ولعله يعود إلى الله فلنرقب رجوعه ... ولكن من هو ذلك الرفيق؟ ... فان حسناً غريب في هذا المعسكر وقد جاء إليه متذكرًا فكيف عرفه ...؟؟

ثم دخلنا المخاء ومكثت سهراً وهي مطرقة واستغرقت في المفاجئ وقد اضاعت
بسمها فاذا هب النسيم ظلت حسناً فادماً فيضطرب قلبها . وخرجت الى خار
هند وهي تكتم ما في نفسها لعلها تستطلع شيئاً جديداً
اما سمية فادت امة الله وكانت هي ايسها في وحشتها ومعزبها في احزانها وفي
وحدها تعرف مكونات قلبها . فلما نادتها لم تسمع جوابها ولا جاءها . فادعت الصوت
فلم يجدها احد فاستعادت امة الله من تلك الليلة وخرجت الى حيث تتوقع ان تراها فرأى
من خلال الفلام شهيدين امة الله احدهما والثاني بباب الرحال فخفق قلبها لانها نسمت
ان يكون الشبح الآخر حبيبها حسناً فلم تعد تصر عن المصادفة فقالت « امة الله ... »
قالت « ابيك يا مولاني اني فادمة على عجل ... » قالت ذلك وظلت واقفة مع
الرجل فانشغل بال سمية ولم تعد تستطيع صبراً وهمت بالمسير نحوها فرأتها قد دبرت
غورها فتنهارت حتى وفدت بباب المخاء ووسعت حتى ينبع نور السراج على النساء
للتعراف الوجه . فلقد ادمت اولاً امة الله وحدها وظل الرجل واندماً على بعض خطوات
من المخاء ولكلها تبينت قوانينة فاذا هو بباب حرس المخراج فتشاهمت منه ودخلت
المخاء مسرعة وآمة الله في اثرها . وكانت امة الله قد ادركت اضطراب سيدتها من منظر
ذلك الرجل فايندراها فائنة « لا تخافي يا مولاني ان الرجل رسول خير »
قالت « من »

قالت وقد خافت صونها « من حمن »
فبدت البهنة في وجهها وقالت « ليدخل »

الفصل الرابع والستون

يا شوقي والطيب قريب

فخرجت امة الله وعادت والرجل معها وعليه لباس الحرس — ولم يكن لباس ابيك
قد تغير يومئذ عن آلسة سائر الناس تغيراً تاماً وإنما حرس الامرا . فقد كان له لباس
خاص لات معاوية اقبس الحرس من الروم ووزم بعلامات خاصة . فوقفت سمية
لاستقبال الرجل وركبتها تصلكان لمعظم اضطرابها من منظر

اما هو لما دخل حوساها باحترام وقال لها بصوت متخفض « لا يزعجك امري يا مولاني ولا ينفك هنا اللباس فاني خادم لك ولمولاي حسن فلما سمعت صوته ترست في وجهه فاتته حلاة عبد الله خادم حسن فصاحت فيرو « عبد الله ؟ »

قال « نعم يا مولاني اني خادمك عبد الله »

قالت « وما الذي جاء بك الى هنا المعسكر وابن حسن . . . هل هو حي كا بنولون ؟ » قالت ذلك وشرفت بدموعها

فقال « نعم يا سيدتي انا في قيد الحياة ولم اكن اعرف ذلك الا في هذه الساعة و كنت قد يشتت من حياتي بذلك ولكن الله اعلم بي » بو فانحمد لله »

قالت « وابن هو »

قال « هو مختبئ على مقربة من هذا المكان حيث لا يراه احد لانه جاء متكررا ولم يتبه له الا أبوبك فدس الى الامر ان بأمر بالقبض عليه وقد اطلعت أنا على هذا العزم فاسرعت ابو وابناته بالمكانة وخرجت به الى مخبأه بقرب هذا المعسكر وجئت لابيك بذلك حتى تستساعد في استنطاط حيلة تخرجان بها الى حيث نداءان وإنما في خدمتكا »

فقالت « ساع الله والدي . . . لا لا لا ساحمة الله على ما بمومنا ايام من البلاء لقد اصبحت اكره اسم عرقمة و لكنه ان أرأه من اجل هذه المعاملة يا رب ما العمل ما الحيلة . . . عبد الله . . . هل لي هل حسن في ما نـ ؟ »

قال « نعم يا مولاني الله في مكان امين لا بأس عليه »

فقالت « وكيف ادخلت نعمك في ذمرة العرس وكيف اطلع امرك على الحجاج وعلى والدي »

قال « ان حكايتي طوبأة وخلاصتها اني لما بحشت من لقاء مولاي حسن في المدينة و كنت قد عازرت على خرجه وفيه كتاب من خالد بن يزيد الى عبد الله بن الزير والكتاب سري ولا بد من ا يصلو الى صاحبوه - لم از خيرا من التندوم الى مكة فاذا كان مولاي حسن قد سبقني اليها لربته وسلمت اليه الكتاب ليعطليه الى ابن الزير وإذا لم اوجه اوصلت الكتاب انا فركبت من المدينة حتى اذا دنوت من مكة علمت ان رجال الحجاج يحيطون بها من كل جانب ولا يستطاع احد الدخول اليها وخصوصا انا وهي ذلك

الكتاب ملاج لي أن احتال في دخول مسکر المحجاج لعله انتم خيراً عن سيدتي . ودخلني
فيهم هربت لاني من ثنيف والمججاج من ثنيف وهو كثير الله في قبلي وعرفني من
قبل ولكنني اعلم ان المحجاج رجل شديد ذاهية فربما اشتبه في امربي فبا أمر بقلي فعولت
على ان اقرب بذلك الكتاب اليونا لا أرى غنماً منه بعد ضياع مولاي وربما نكثت
بأنزاري من المحجاج من استطلاع غير او اعلني انوفق الى معرفة امر مولاي فظهورت بالي
قادم على المحجاج بامر ذي بال بهمه وجئت ممسكراً وطلبت ان اخلي وسر^٢ فاذن لي
فلا عرفته ببني عرفني ثم اتي استقررت له بذلك الكتاب وأنا عالم ان ليس فيه ذكر
مولاي حمن واما هو خطاب من خالد بن يزيد الى عد الله بن الزبير في امر خطبة
او نحوها فظهورت اني عثرت على هذا الكتاب مع رجل قادم من الشام والرأيت عليه
اسم عد الله بن الزبير اشتهرت باسمه فقللت حالي وحيث بالكتاب اليو

فلا يسع المحجاج ذلك معي وهو يعلم اني من قبلي واحسن الفتن لي وقرني ماء
وجعلني من حرسه كما ترين . وفي مساء ذلك اليوم قدم والدك عريفة على المحجاج
فاطلعة على ذلك وانا واقف ببابه . فلما اطلع ابوك على الكتاب ناداني فدخلت السطاط
فقال « من ابن ابيت بهذا الكتاب » فقصصت عليه المخبر كما ذكره فقال « ان صاحب
هذا الكتاب عدو لنا عرفه في المدينة وحاولنا اغتياله والظاهر انا لم نعلم لان الذي
ذهب لاغتياله لم يعد اليانا فهل قاتله انت » فلما سمعت قوله اطأنت على جبهة مولاي
وعولت على امام الحبلة فقلت « لا اعلم اذا كان هو الذي قاتله ولكنني قاتلت شائياً
بلباس كذا » وذكرت له ما يقرب من صفات مولاي فقال « اعملك انتهت مرادي
وعلى اي حال فقد فعلت حسناً » وادناني ابوك منه ومكنت في حملة الحرس وانا افتقد
الاحوال واستطلاع الاخبار حتى جاءنا مولاي في هذا التهار مع انبى الاخبار وقد تذكر
قعرفة ولم يتبه لي ولا أنا أردت ان يعرفي شيئاً يكشف امرها . فجاءت حتى دخلت
للي على المحجاج وخرجت . وكان والدك مع المحجاج في السطاط لما خرجت
لليل رأيت في وجه والدك الفدر وسمعته يخاطب المحجاج فاصفحت فاداهو بشير باصبعه
الى ليل ويقول ان راوهها جاسوس متكرراً وأشار بالقبض عليه . فلم اعلم ان والدك عرفة
وتحفقت انه اذا ظهر به قاتلة لا محالة . فاحتالت في الخروج اليه حتى جئتاه وهو جالس
يقرب هذا الحباء وعرفته ببني فاخر في انك هنا لاه جاء من اجلك فخرجت به الى
خرابة وراء هذا المسکر لا يهدى اليها احد ووعده ان آتي اليك واطلبك على
امور لندر حملة في النرار من هذا النجن »

الفصل المثمن والستون

لily وعرفة

وكان عبد الله يتكلم سوية نطاول بعضها ونطوي بعضها وعويناها شاختنان فهو
فلا جاء على آخر الحديث وأطأن بما على حبيها أبى هلت نفسها وقالت «بورك فيك
يابعد الله ألم تم الرجل أنت وإذا أتيت لنا النجاة على بذلك جعلنا لك حظاً من معاذتنا
ولا فلا حول ولا ...»

قال «إن النجاة فربة إن شاء الله ولكن لا بد من الصبر فاذفي لي بالانصراف
الآن لا عود إلى موقي لا لا يذهبوا في أمري فإذا حدث شيء أو احتجت إلي في شيء فاني
ردون أشارتك وإذا حدث عندي شيء جئتكم به» قال ذلك وهم بالخروج واستوفته
وقالت له «إلى ابن ... وكيف ترك حسناً وحده في تلك الخربة ومن ابن يأكل
وأين ينام ...»

قال «هل تظلين ألي زركنا ولم أعد ألي ...؟ كوني براحة تامة فاني افتقد
وادر لـ كل ما يحتاج اليه»

فاثنت على ثباته وحالما خرج عادت إلى دراجتها وقد سرها ونفعها من بقاء حسن
جهاً ورغبت فيها وقربها منها وتوجهت في سعي عبد الله خيراً . ولكنها نذكرت لـ لي
فناشدت أمها ألا وكانت قد نعمت عبد الله لـ التكرر الوصاية بشأن حسن فـ لم تسمع
سـيدتها تـناديـها عـادـتـ مـصـرـعـةـ فـقـالـتـ لهاـ سـيـةـ «ـابـنـ هيـ لـيـ؟ـ اـتـيـ هـاـ»
قالـتـ «ـهـيـ سـيـةـ خـيـاهـ هـدـ»ـ وـخـرـجـتـ ثـمـ عـادـتـ وـهيـ تـنـوـلـ «ـلـمـ إـجـدـ فـيـ
الـخـيـاهـ أـحـدـ»ـ

فاستغربت ذلك وقالت «إـمـ نـسـأـلـيـ الـخـدـمـ عـنـهـ؟ـ»

قالـتـ «ـسـأـلـتـ الـخـادـمـ فـقـالـتـ لـيـ أـهـاـ خـرـجـتـ عـنـ الـفـرـوبـ للـشـيـ يـهـ
الـاخـيـهـ ثـمـ جـاءـتـ لـيـ لـلـسـوـالـ عـنـهـ فـلـمـ يـجـدـهـ اـفـتـتـ أـثـرـهـ وـلـمـ تـعـودـ مـنـ ذـلـكـ
الـخـيـهـ»ـ

قالـتـ «ـوـاـنـ نـذـهـانـ فـيـ هـذـاـ الـلـيـلـ ...ـ أـخـافـ أـنـ يـكـونـ اـنـجـاجـ بـعـثـ لـلـقـبـضـ
عـلـىـ لـاـهـاـ وـأـطـلـاتـ حـسـاـ عـلـىـ الـكـرـكـ»ـ وـخـافـتـ سـيـةـ إـذـ بـالـفـتـ فـيـ الـجـعـتـ عـنـهـاـ أـنـ تـزـدادـ

الشيبة عليها فدخلت خبادها وجلست تذكر ما مر بها تلك الليلة من الغرائب وكل نصوّرت أنها نجت بمحبيها وخرجت من معسكر المجاجع بخراج قلبها فرحاً
اما عرفجة فانه عرف حسناً حاماً وقع بصره عليه وبخايل حتى خرجت ليل فنفس الى المجاجع انه عذر كما تقدم . فبعد المجاجع ابو ان يتعلم بما يشاهده فلما ارتفع الجلس خرج عرفجة الى صاحب المدرس واوصاه ان يبعث بضعة عشر من رجاله بالسلاح ينتظرون اثر رفيق الشاعرة وبقضوا عليه حوتاً وجدوا . وكان عذاؤه قد سبق ابو باسرع من لام البصر وخرج به الى ذلك الحباء

اما المدرس فلما يعتذر على حسن عادوا الى عرفجة فقال « الي بليل فانها تكون في اخيبة النساء » فعادوا اليها فرأوها تنسى مع هند بحوار الاختية فاشارة اليها ان تأني الى فدها طاط المجاجع . فلما سمعت ذلك خافت من اكتشاف امرها ولكنها لم تزد امن الطاعة فارت مع المدرس حتى اتوا النسطاط والظلالم فد عقد قيادة فلم يدخلوا النسطاط فظلت هي في اثرب حتى دخلوا فصطاداً آخر رأت في صدره عرفجة جالساً فلما رأته استعادت باطنها من شر ذلك المساء ولكنها كانت جريئة لا بالي حين تلاقت فدخلت وحيث فدعاهما الى الجلوس وقال لها « اين هو راوينك يا ليلي ؟ »

فلم سمعت سؤاله ادركت ان امر حسن اكتشف فلم تتأن ان تدرك نفسها في ذنبها ففتحان معها ولا تعود قادره على مساعدتها فهدت الى الحياة فقالت « واي راوية تعني » قال « راوينك الذي يحمل جرامك وقد جئت به اليوم »

قالت « هل دخلت على الامير وهي راوية .. ؟ »

قال « لم يدخل معك ونكتة بي خارجاً ولا مضيت افتني اشرك »

قالت « وهل يدل ذلك على انه راويني وكيف يكون راويني ولا ادعني للجلوس مع في حضره الامير .. »

قال « اراك تصلون من تبعتو وغبن لا نفي به شرلا »

قالت « لا وبهي مهباً بقوت يو فقد كنت في هذا المعسكر منذ الايس ولم يكن معي راوية فمن اين اتي هذا الاآن .. »

قال « جست يو معك من مكة »

قالت « اظلك تعني الرجل الذي يحمل الجراب فند التقوت يو عدد دخولي المعسكر ورأيته يسرى بجانبي فلم اشهه لامرء .. ولا اعرفة .. وبع ذلك فاذاك كنم نسبتون

الظن من يبذل نفسه في خدمتك فلا حيلة لها فلهم .. «
فلا رأها غفت جمل يخفف بها وبنول «خن لم نسي» الظن بك بالولي
وانت شاعر الامير ولوك عن المزيلة السامية ولكن هذا الرجل قد خدعنا وهو جاسوس
دخل معسكرنا تحت ظلك وحن خيبة راوينك »

قالت « هل يخاف الامير الجوايس ومن كان مثل اميرنا بالحزم وشدة البطش
لا يخاف الجوايس . وإنما اذا عللت بجايس في هذا المعسكر يجد في ان اطلع الامير
عليه لاني ضديه بـ .. »

قال « بورك فيك وارجو ان تكوني عيناً على هذا الرجل اذا رأيوا اجهينا هكذا فقد
يعتنى من يخاف عليه فلم يتدوا له على اثر ولملة اذا طلعت الشمس يظهر فاكشي هذا
الآن .. » قال ذلك وبهض فهمست ليلى وخرجت من عنده وهي منشغلة المخاطر على
حن ولكلها سرت لنجانو من قفستهم على اهلا لم نعلم ابن هو فعادت ترثى الى سمية وقصت
عليها ما جرى فاطلعتها سمية على حديث عبد الله فاطلأن بالطا

الفصل الماتسع والستون

— وسيلة الفرار —

اما حسن فندعملت انه اخباً في خربة بجانب المعسكر وهي تطل على الطريق المؤدي الى
مكة فقضى ليلاً هناك كانه على جسر الفضا وابكاره ثانية في ما حلّ يوم عظيم عليه ان
يخرج من معسكر المجاج فراراً ولكنه ادرك انه يستغيل عليه النجاة بغير هذه الطريقة
ولبث ليلاً لم يغض له جفن وهو يعمل فكرة في سبل النجاة سبة من المجاج فاداً نجا
ها فغلب المجاج وجدها وخليفة

وكان عبد الله قد وعى ان يعود اليه بالجيالة التي دربوها للدار فقضى ليلاً في امثال
هذه المهاجمين وفي الصباح صعد على اكمة اشرف منها على معسكر المجاج لعله : برى رسولاً
او مستشار بشاره فرأى بين وبين المعسكر ارضاً خالية وتبين المكان جيداً . وفيها هو يطلع
رأى رجلاً فادماً على هجين من اطراف المعسكر كانه آت من التحرا . ولم يمض قليل حتى
ظهر الرجل بلباس اهل البداية ثم تبعه لمن ملامحو انة خادمه عبد الله فاستبشر بوصوله

فلا وصل ترجل فثار اليوان بترهس في الخربة ولا يظهر نفسه على تلك " دورة فقال له حسن « ما ورائك الآن »

قال « ابشرك أولاً ان انجهاج لم يتزوج سمية وان كان قد كتب كتاباً عليها ..»
قال « وكيف عرفت ذلك

قال « عرفته عن ثقة . اخبرتني بو ليلي الاخبارية وهي التي ساعدتنا في تدبر الجملة للخروج .. » وذكر له امر النسم الذي افسد الحجاج
فانتشر صدر حسن بهذه الشارة لانه يكن ان همها احد . فقال وما الذي درونه
فأنا اراي ذليلاً بغير وجهي فراراً على هذه الصورة وبخيل لي انت سمية لا ترضي مني هنا
الضعف

قال « في الحال العكس فاتها لما علمت بخاتك سرت سروراً عظيمياً لأن شاءك ر بما
كان سبباً للتفتك بك وبها . وما المائة من الاصرار على العبث هل كلها تقدر على مقاومة
الحجاج وجده ؟ مالا وملذا فقد جئت اليك في تدبر حسن راينا عاليه في هذا القباح وهو ان
ازرك هذا الجبل عذرك واعود وانت تتأهّب للركوب في العشا . وخرج من وراء هذا
التل حتى نظر على الطريق التي تراها امامك فنلقي هنا هناك انا وسمية وكل من على
شبين ومنها المؤولة الالزمه للسفر في الصحراء أيام وموئل بعدنا عن مكانه كذا في مأمن من
فسر حسن لهذا التدبر مع علمه بشدة الوصول الى لكته وافقه وقال « اني في انتظارك
على ما وصت ولكن احذر ان يطلع احد على ما درنته فتكون الثانية شرعاً من الاولى
فأنا في هذه المرة لا افر من احد . فاذا لقيتني جدد وهي سمية لا افر ولا ارجع وانا افضل
عها حتى اموت بين يديها »

قال لا يهمك امر تدبر هذه الجملة فتندعنا كل شيء ولا خوف على سمية لأن
الحجاج وهو لا يأتى الى خباء اهلو مطلقاً في هذه الايام للديمك الذي ذكرته لك »



الفصل الستون

الوقوع في الفخ

فاطلان بال حسن وجلس يتناول طعاماً أحضره له عبد الله ولم تمضي ساعة حتى سمع فعفة الأليم ووقع حواري المخول فقصد إلى الأكمة فإذا هو بيسعى وعشرين فارساً قد أكسوا بالإدراك لا يظهر من وجوهم غير الحدق ينقدتهم عد عرقه لأول وهلة أنه قبر عبد عرقية . ظلوا وصلوا إلى المكان أشار قبر بين إلى حسن وقال « هذا هو فامسكوه » فأحاطوا به من كل ناحية فلم يرَ حسن بدأ من القيد فحال لهم « ما بالكم ؟ ما الذي تطلوبونه »

فأجابه قبر وهو يضحك ضحك الاستهزاء « إن الامير يدعوك إلى ولبة العرس » واستنشط حسن غصباً من استخفاف ذلك العبد و قال له « أحسنا يا عبد العرس ، وما أنا أسائلك ... »

وما انت كلاماً حتى رأى الناس أخذوا به وسبوهم مسلولة فوضع حسن به على قبضة بيده وقد ثارت الحمبة في رأسه وقال لهم « لا يفرنك عدكم ولا لظنيني أهاب سيفكم وبخوبكم ولا تخسروا ألكم تأخذوني بالرهبة أو العنف . فإن أمراً تدعوني إليه بالحصى تروني هصيناً إله وأما بالعنف فلا تأتونوني شعرة قبل أن ينظر حسامي من دمائكم » قال ذلك وقد أخذ المياج منه وأخذناه عيناً ولم يعد بيدي بالحياة فقدم إليه فارس منهم لا يظهر من وجوههم غير الحدق من خلال الندام وقد شر السيف بين وقال « نراك تظاهر من الصعف قوة وما أنت إلا جاسوس نذل ... لا أحبك تحنيل ضربة من هذا السيف »

فلما سمع حسن قوله صعد الدم إلى رأسه وعي به فهو وصفت اذناه عا يقول الناس وصاح فيه « وبلك الخوفني بسينك وما أنا خائف من كل هذه السيف ولا يخاف السيف إلا من يخاف الموت ولست ذلك الرجل . فإذا أردت النزال فائزلي تضارب راجلين ولا يصلح انزال وإنك راكب وإنما راجل . وإذا خفت انزلاقك فائزلي جميعاً وإنما استعين الله عليك »

فشكوك الدارس بصوت عال سمعه كلهم ثم قال وهو بحول شकحة جواده عن حسن « لو ان الامير امرنا بذلك لارتكب التسلك كف يكون ولكن امرنا ان نغودك اليو اسيراً ... فامش ... »

قال « لا اسير مائياً وانتم راكون فاما ان اركب معكم او امش معي »
 فلما رأى هن الجرأة منه هارب وحسبوا له حسناً وجعلوا يمسرون فيها بينهم عا
 بقلمونه . فأشار بهم بذلك فقال آخر ورث ان الامير لم يأمر بذلك فذر رأيهم على
 مسايرك وربما يلغون المعسكر والمجاج فهو رأيه . وبدر ان يساق الى المحاج منهم وينجح
 من التسلك فانه كان سناً كالدماء حتى احصوا الذين قتلهم في حربانو فبلغوا منه الف
 وعشرين القاتل وجدوا في سبوبونه بعد موته ثلاثة وثلاثين القاتل يجب على واحد منهم قتل
 ولا حلب ^(١) . فرأى المرسان ان يعاملوا حسناً بالمعنى ويندركون امر الابياع والمحاج
 فتقدم اليو فارس غير الذي كلمه اولاً وقال له « لو كما ما ذكرت بذلك لتناشك
 مشاة او فرسان وحكم الله بيننا وبينك ولكننا اتنا لهم ذلك الى الامير »

قال « قلت لكم انني لا اسير معكم مائياً وانتم راكون » وكان فذر اتفقاً على
 كلامه وهو يستغرب صبرهم على جرأته فلما سمع قوله تقدم اليو وقال له بعده العيد ورطاطهم
 « امش يا من امش وهل انت احسن مني ؟ ... فها انا ايضاً مائش ... »

فلما سمع حسن كلامه لم يخالف عن ان جرد سيفه وصاح فيه « اذا انكم الناس
 فاخرس انت باعدي المحس ... والا فاني مطرد رأسك بحد هذا السيف ... »
 فما كان من فذر الا انه ضحك حتى كسر عن اسنانه وانت نواجهه ثم قال « اقتلني
 افتأتي ... واعد قتيل نرى من يقتل ما ... ولكنك لا تلام وانت زعلان على مهبا
 لانها هرجت من يدببك تعال يا مسكن وانظرها بين نساء الامير وهي تذهبك عليك
 ومولاي عرقية بسلام عليك ... »

فلما سمع حسن ذكر سيفه وعرقبه ورأى ذلك العبد بعنجه ويزأ بوهاج خفبه
 واستغرب سكت سائر المرسان عن وفاذه ولكن امسك ثيما وقال له « لولا خوفي
 ان يقال اني لخفت حسامي بدم عدى لئيم لا طرت رأسك عن جذعك ولكنني ارجو ان
 يكون ذلك نصيب مولاك المحن ... فاخرس ولا تخاطبني والا فلوسك على نفسك »

الفصل السادس والسبعون

٢٧٤ على الباقي تدور الدوائر

فلم يزدد قبولاً وفاحشةً واستخفافاً فتقدم نحو حصن وبدر على قبة بيته وقال «أمثلني تتول هذا الكلام يا هسن ثم تعرض بذكري مولاي وأنا في ضاربك خربة أعلمك بها الأدب والمشية» قال ذلك وهم باستلال البيف فلم يعد بصير حسن على وفاخذه مع سكتة الناسان فجرد هو حمامه وثناه بضربة على عنقه فذهب رأسه بدرج على تلك الاتجاه

فلما رأى الناسان ذلك صاحوا فهو «لند حل» لذا دمك بعد هذه المجزأة . . . كبك تصرّأ على قتل هذا الرجل «بن ايدينا»

فلم يسأل حسن بما ظهر من غوغائهم واجاههم «أنعدون هذا رجلاً ومن بعد رجلاً» بلجبر ان يقال مثل ما ناله لم افي رأيكم سکنم عن وفاخذه فلم انحالك عن قتله وقد قلت لكم افي لا ابابي بالموت فلا تخوفوني بـ . . . » قال ذلك وقد كاد الشرر يخطرك من عبيده وظل واقعاً وسليلاً ينطأ من دم قبولاً وقد اثنى قلبة بقتله وبئس من الحياة لاتقلم يكين يتوقع من هؤلاء الناسان الا القتل وفموّل في باطن سره على الدفاع الى آخر نسمة من حياته فاذا مات فلا اسف على الحياة في الذل . ولكنك مالت انت رأي الناسان يتتسارون ثم تقدم احدم وترجل عن فرسه وقدمه للفاتل «هذا جن بي فاركبة حتى تأتي المعسكر وشأنك ولا يدرك . وإن اركب جنك»

فلما سمع صوت الناس عرف انه خادمه عبد الله فاستأنس به واطمأن بالله وادرك ان ما آتته من حسن معاملتهم له وصبرهم على اقواله اهنا كان بواهليه فركب الجراد وساروا جميعاً نحو المعسكر

وكان البيف في الاطلاع على مكان حسن ان عرقجه لما خرجت ليل من عنده ولم تعلمه على متنه بعث عنه للبحث عنه في المعسكر فقضى طول ذلك الليل في البحث وفي الصباح رأى هجاناً قادماً الى المعسكر من ناحية تلك الخربة ولم يعرف الهجان ولكنه انتبه لذلك اهنا فخرج خلسة فرأى حسناً وحمله . . . من لم يتبه له فاسرع الي سيد فانياً بما رأى فاوغر عرقجه الى الحجاج انه ظاهر بالجهاز وانه يحتاج الى كوكبة من الناس

ليفيض عليه فاؤذن له بذلك

وكان عبد الله قد عاد الى موقعه مع الحرس فلما سمع الامر احال في مراقبة الترسان لعله يمتنع مساعته سير في شيء، ولكن كان خائفاً عليه في اي حال فبذل جهود حتى اتيت عليه مع ما ارتكبه من فعل قبيح وكان قبيح ذا منزلة رفيعة عند المحجاج مراعاة لمولاه ولا نأبه يمنع في مثل هذه المكابد ولكن الجيد لم يكونوا يحبونه لفرط استبداده ووقاحته واستبداد العبيد ثم تبول على الطياع - فلما قتله حسن فرجوا في باطن سرم ولو اظهروا النفس وبعد ان أرسل عرقية الترسان دخل على المحجاج في خيمته وجلاماً ينتظران ما يكون وعرقية يهد السبل للتفتك بحسن فاقنع المحجاج انه جاوس وانه اذا في حي لا نؤمن غائبة واعون ما يكون قتلة واراحة البلاد منه وإنمحاج لا يحتاج في التذلل الى تصريحه او غيره من لما عليه من دغبتو في سفك الدماء

فآن وقت الغداة ولم يشاً المحجاج المخروج من النصاطاط قبل مجيء الترسان لورى ذلك الجاوس المهوول على ما يبالغ عرقية في وصنه - فلما جاءع لم يعد يصر عن الطعام فامر ان يوثق بو الى النصاطاط فجاءه بالمائنة وكان المحجاج بعد من الاكل المشهورين في الاسلام مثل سليمان بن عبد الملك ويسرة الرعاش وغيرها حتى قالوا انه اكل ٨٤ رغيفاً مع كل رغيف سبعة في اكلة واحدة^(١) فجاء بالطعام ودعى من في مجلسه للأكل معه فاعذرنا ليس عن شبع ولكنكم اتباعوا شيئاً لا عرقية فالآكل معه ولم يكن بحسن المفع لفرط قاتلو ما دبر لحسن من المكابد - فلما فرغ المحجاج من الطعام رفع المائنة وجلسوا والمحجاج يسمع لحيته يده ولا يتكلم - وكان عظيم الهمة حين الراية فاذ اسكن لبى الذين في حضرته سكتوا كان على رؤوسهم الطار

الفصل الثاني والسبعون

— (٢) المحاكمة —

وفيما جاوس على تلك الحال دخل الآذن وهو بتول «عاد الترسان وعاً قليل يصلون»

فقال الحجاج «ألم تر الأمير مهمن»

قال «لم أرهم أحداً ماشيماً»

قال «اخرج وندرس فهم لعلمك جاماً على جواد»

فخرج ثم عاد وهو ينول «اظله جاً راكباً لأنني رأيت منهم رجالاً بلساً غرب»

فلم ينال ذلك عرقته عن الوقوف بباب النصاطط وأطال على القادة من ولأ وقع نظره

على حسن عرقه وكانت هذه أول مرة التي فيها بعد تلك المقابلة في المدينة

اما حسن فلما رأى عرقته ارتعدت فرائصه من الفيظ وود لو ان سبعة أصحاب عنه

بدلاً من قدر فيقطع الحياة من رأسها - وندرس عرقته في الناس فلم يزق قبر فقلنته تأخر

في الطريق فدخل النصاطط وجاء بحاج الحجاج ثم دخل الاذن^(١) واتيا الحجاج

بوصويم فقال «ادخلوا الرجل لزراه»

فادخلوه عليه وقد نزع سبعة ووقف حارسان من كل جانب في يدي كل منهم حرية وفهم

عبد الله - ولا نسل عن هؤلا من عبد الله في تلك الساعة لما يعلمه من رغبة الحجاج

في سفك الدماء، وأما حسن فانما وقف بقدم ثانية كأنه بين يدي بعض الاصدقاء

والشقت الى من حوله في ذلك النصاطط فرأى في صدره الحجاج وعرقه والمجانين

روشاه الاجداد وكلم سكوت بهما من مجلس الحجاج لانه فلما رأي شاحغاً، وإذا خصل

فانه يبشر عن أنسائه ولا تندو في وجوه ملامع الفعل - وقد نسبع فهمنا فإذا نظرت الى

وجهو لا تراه شاحداً

وكان حسن يسمع بضم الحجاج وشدة وطأته ورغبيته في سفك الدماء فموئل على

الصبر والثبات حتى الموت - ظلل وأفنا برفة ولم يخاطبه احد في شيء والحجاج ينظر الى

وندرس فيه ثم قال له «من أنت؟»

قال «ما أنا من ثيف ولا من امية»

قال «وما تعني بذلك»

قال اعني «اني لست من قبيلة امير ولا من قبيلة امير المؤمنين ومهما كتب بعد

ذلك فانا غريب وللامير رأيه في» . .

فصدقى عرقته لخطابه ولم يصر على الحجاج ربنا ينكلم وقال «ابطل هذا الجواب

يغاطب الامير . . . اتها وفاحتة . . .

فلم يصر حسن على ساقع ذلك من عرفه فالثالث ابو وقال « بل الوقاحة ان يصدى بذلك للجواب عن مولانا الامير ويفعل الكلام عليه . . . »
 فاراد عرفة ان يتكلم فرأى المخاج في وجه المجاج وهو يوم بالكلام فشك فنال المجاج « لسنا هنا في مقام جدال فاخبرني ما الذي جاء بك الى هذا المسرى بتكراراً »
 فغير حسن في الجواب وحاف ان يصرح له بمعرفته غرضه فيخرج غيره عليه ولا ميل بعد ذلك للتجاه فلبت ساكناً فاستطلاع المجاج جوابه فأعاد السؤال . فنال حسن « جئت لامر رباني ولا يوم سواي ولا علاقة له بالحرب ولا بالسلم . . . »
 قال المخاج « نرى اجوبتك منه فافصل »

فلبت حسن ساكناً فأشتم عرفة سكونها ومخاطب المخاج فائلاً « ان اجوبته منه لا يختلف ان يمترن بمنزلة ابنه جاوس من عبدالله بن الزبير ضد مولانا الامير . بل هو عدو امير المؤمنين وبنفي سقوط امره ويسعى في ذلك جهوده . فإذا رأيتها پتكر بذلك فاطلب ابو ان يلعن الكاذبين . . . »

فالثالث المخاج الى حسن كأنه يتعلّم رايته في ما قاله عرفة فنال حسن « حشانه ان اكون كما يقول »

فنال المخاج « اذا كان الامر كذلك فالعن الكاذبين على بن ابي طالب وعبد الله بن الزبير والختار ابن ابي عبد » ^(١)

فارتبك حسن في امر لانه لا يعتقد كذب هؤلاء ولا يريد ان يلعنهم وخصوصاً على بن ابي طالب . وإذا لم ياعنهم فبغض عرفة ذلك حين عليه فنال « لا ارى علاقة بين صدق ثبني في خدمة امير المؤمنين عبد الملك وبين لعن هؤلاء . . . »

فصاح عرفة الحال « أرأيت يا مولاي انه اثنان غادر يكذب على الامير كذباً صريحاً . . . ؟ اما الثالث لك انه جاوس بالجاوس بمتوجه القتل . اثنان يا مولاي وارج تدرك منه . . . » قال ذلك واعضاً ما كثرا ترتعش وتحركة تختنق في وجهه مع صفرها وعياه ترتعشان كأنها قد فت فهيا حضرم تدلان دلالة صريحة على خبيه وخيانته وكان المخاج مع عمه وظلوه ذا فراسة ونظر فادرك ان قيم حسن عن اللعن لا بد ^١ على جاوس بيتو ولكنها اعاد السؤال عليه وقال « لئن أطلانا بالآ علىك حتى جربنا جسارتك .

سألناك عن نسيك فلم تجتنا وهذا ذنب يكتن وحده لاتهامك . ثم سألك عن غرضك في طروق هذا المعذكر شكرًا فاجت جواباً منها وكلناك لعن الكاذبين فايت فهل شفوع بعد ذلك صدرا على بناتك ؟ . . .

الفصل الثالث والسبعون

افتضاح الامر

فلا سمع حسن كلام المخواج تخفق الخطر المدق بـ و خاف ان تند حيلة عرقية فيو فلست أكثـاً وهو يذكر في ماذا يتعلـ فاغتنم عرقـة هـنـ الفرصة الثانية وخاطـة فـاـنـاـلاـ « أجـب الـامـير . . . قـلـ المـتـ جـاسـوـسـاـ » . . . باـخـانـ جـشـتـ لـذـيـرـ المـكـانـ دـلـىـ اـمـيرـ المـؤـمـينـ نـمـ تـدـعـ اـلـكـ مـنـ اـهـلـ الزـاـعـةـ وـتـظـاهـرـ بـالـصـدـقـ . . . » ثـمـ اـذـتـ اـلـمـخـواـجـ وـقـالـ « اـنـيـ اـنـجـابـ مـلـيـرـ مـولـايـ عـلـىـ وـقـاـحـةـ هـذـاـ اـخـانـ وـكـفـ لـيـ اـمـرـ بـقـاعـ رـأـسـ فـلـاـ تـخـفـقـ حـسـنـ بـلـوـغـ الـامـرـ غـائـبـةـ وـخـافـ اـنـ تـنـدـ حـيـلـةـ عـرـقـةـ فيـوـ فـيـاـ مـرـ اـلـمـخـواـجـ بـنـدـلـوـ ولاـ يـسـغـرـقـ ذـلـكـ الاـ بـضـعـ دـفـانـ عـولـ عـلـىـ الـابـقـاعـ فـيـ عـرـقـةـ فـاـنـتـ الـيـوـ وـخـاطـةـ بـقـلـبـ جـسـورـ وـقـالـ لـهـ « اـنـدـعـوـ فـيـ خـائـنـاـ وـمـاـ خـائـنـ الاـ أـسـ »

فـوـتـ عـرـقـةـ مـنـ مـجـلوـ وـاظـهـرـ النـفـقـ وـقـالـ « كـيـفـ تـجـارـ عـلـىـ هـنـ الـوـقاـحـةـ فـيـ حـضـرـةـ الـامـيرـ وـهـوـ أـعـلـمـ النـاسـ بـهـدـقـ طـاعـنـيـ وـاخـلـاصـيـ . . . وـاـشـ لـوـأـذـنـ لـيـ الـامـيرـ لـنـطـمـتـ رـأـسـ يـدـيـ . . . لـاـقـيـ اـعـلـمـ النـاسـ بـخـيـانـكـ وـيـعـلـمـهاـ اـيـضاـ غـلامـ قـبـرـ » ثـمـ صـاحـ « قـبـرـ » فـلـمـ يـجـمـعـ اـحـدـ فـكـرـ الدـاءـ فـأـجـابـ حـسـنـ « لـنـ بـيـكـ قـبـرـ لـانـ هـالـ جـرـاءـ . . . » فـاـنـتـ فـيـ عـرـقـةـ الـمـرـسـ وـاـمـارـتـ الـاـسـتـهـامـ فـيـ وـجـهـ وـقـلـ اـنـ يـسـأـلـ اـشـارـ اـحـدـ يـوـنـ « اـنـ حـسـنـاـ قـتـلـهـ » فـأـجـزـلـ عـرـقـةـ وـحـلـقـ عـيـنـوـ فـيـ حـسـنـ وـصـاحـ فـيـوـ « قـتـلـتـ غـلامـ وـأـنـتـ وـاقـفـ لـأـ خـافـ فـصـاصـ الـامـيرـ . . . » ثـمـ اـذـتـ اـلـمـخـواـجـ وـقـالـ « اـنـرـاءـ لـمـ يـسـتـوـجـبـ القـتلـ بـعـدـ وـهـوـ قـاتـلـ عـدـاـ . . . ? »

فـاـبـدرـهـ حـسـنـ فـاـنـاـلاـ » فـقـتـلـةـ لـخـوانـتـ وـوـرـفـ بـصـيـكـ نـصـيـهـ بـأـمـرـ مـولـانـاـ مـقـيـ ثـبـتـ خـيـانـكـ »

فـقـالـ عـرـقـةـ « اـنـهـيـ بـالـخـواـجـةـ وـخـيـانـكـ ظـاهـرـ لـلـعـيـانـ وـقـدـ اـضـتـ اـلـيـاـ جـرـةـ القـتلـ »

فلم رأها الحاج يجادلها ومحاول كل منها اثبات اخباره في الآخر رأى من الحزن والدهاء ان يصر على الجدال وان كان ذلك مخالفًا لما تعوده جلسة اما حسن فلم رأى الحاج مصفيًا التفت الى من حوله من الامرا و قال «أئيكم على ان دم الخائن يهدور ايًا كان ..»

قال عرفة « ما الخائن الا أنت ..»

فعمد ذلك تجلد حسن حتى ملك نسأ ونظر الى عرفة وقال له بصوت هادئ « من الخائن منا يا عرفة ؟ ..»

قال « أنت ..»

قال « أنا الخائن وأنت الابن الصادق في خدمة امير المؤمنين ..»

قال « وهل من شرك في ذلك ..»

قال « وما قولك بالكريبي ..؟»

فلا سمع عرفة لنظر الكريبي ارتدت فرانصة وبدت العنة في عينيه ولكنه يحاول وجلأ الى المغالطة وقال وهو يشك ويظهر الاستخفاف « اي كريبي .. اسمعوا ماذا يقول لا شرك انا بهذى ..»

قال « انيت الكريبي وطيب ناره لا بزال يلعن وجهك .. اعرفت اي كريبي اعني يا عرفة ..؟»

فخفق عرفة اطلاع حسن على حريق الكريبي ولكنه استقرب ذلك وانكر وعاد الى الهاولة فقال « ما بالك بهذه يا رجل اي كريبي تعني ..» قال ذلك الحاج ينظر في عينيه وقد تبرأ له وقوته في ورطه فظل صامتاً

قال حسن « الم عالم اي كريبي ؟ .. كريبي الخدار بن اي عبد الذي كليتوني اعنى الان ..»

قال « وما شأنه وما علاقته الخدار في ما تقول ..»

قال حسن وقد رفع صوته « الا نعرف علاقته بك .. اذا كنت لا تعرف تلك العلاقة فاسألك محمد بن الحنفية عنها والرجل غريب من هذا المكان اسألة او أسأل من شئت .. اذا انكرت استعننا برماد الكريبي .. هل يكفي ذلك ؟ ..»



الفصل الرابع والسبعون

الخلص

فلم يز عرفة بعد ذلك النصرج لأن يطعن في أقوال حسن كلها ويبالغ في التحامل فتقال وهو يضحك « انظن مثل هذه المفتريات تعطي على مولانا الامير وهل تظلمه بصفتي لكلام مختلف لا معنى له ولا أصل ... ؟ ولكن الامير اطال بالله عليك فعليك فطاعت لأن الحلم في اللئام رذيلة .. فما كان أجرده ان يخسرك بكلمة ينقطع بها رأسك ... »

قال « للاميران يتعل في ما يشا، ولكن ذلك لا يجعل كونك خاتماً قد ارتكبت في سبيل خيالك التسلل والنفاق ... وقد انكرت الكرسي وأمن وأهل المدينة يعرفون تكبيرك بضعة اعوام ومحافظتك على عهدة لا يعرف احد ما فيها . ولم يكن فيها الا كرسي الخمار الذي زعم انه اعلى بن ابي طالب وحارب بني امية من ورائه فلما مات حنفط هذا الكرسي لجعل نفسك خليفة في مناصبة بني امية الحرب لاسترجاع الخلافة منهم الى محمد بن الحنفية الذي كان الخمار يدعوه ... »

فقط عرفة كلامه وقال « ان هنا بعض افتراض واختلاف ... »

فتقال حسن « ان ابن الحنفية شاهد على ذلك ومهما قلنا في استحقاقه الخلافة او عدم استحقاقه فلا يشك احد بصدقه وادا استبعدتم شعب علي ففي المجد يكفي عبد شهد حريق الكرسي معي وشهادته الاهانة التي لحقت بهدا الزرب الصادق لما تقدم الى محمد بن الحنفية ان يوذن له بالدعوة باسمه وخلع طاعة امير المؤمنين عبد الله بن مروان ... »

ولم يتم حسن كلامه حتى ضج النقطاط بالناس وترجع عند المجاج صدق كلام حسن لانه كان مع تقرير عرفة منه لا يجهل خيبة ونفاقه لأن المجاج كان من ذوي القراءة الصادقة وإنما كان يقرره منه لانه يحتاج الى امثاله لبعض الاغراض فلما رأى ترجيح هذه النهاية النظامية عليه صم على قبوله ولكنه اجل ذلك لبرى ما يكون ... »

أما عرفة فلما غابت الجنة عد الى المواربة فتقال وهو يظهر التعلل والخدع « يظهر لي ان مولاي الامير سكت بما سمعه من هذا الرجل كأنه مال الى تصديقه ... »

فتقال المجاج « وهل تحسبه مختلفاً ذلك كله اخلاقاً ؟ »

قال «نعم يا مولاي»

قال انجاج «لا يعقل انه يفعل ذلك ويسند به اننا احياء معروفن .. وهم انه اخلاق ذلك فما الذي يدعوه الى هذا الاخلاق ..»
فضحك عريفه ثم اظهر الاهتمام وقال «يدعوه الى ذلك امر اعظم من هذه الخيانة لودركنه بين يديك لم تصر عن صلبه ..»
فقال «وما ذلك .. قل»

قال «اضن بعرض الامير ان يذكر في مثل هذا المقام فاذا اذن مولاي بخلوة ذكرت له السبب ولانا خاصمنا الله يفتح وبرى برائي ..»
فاقترب انجاج حاجييه وأشار يده فخرج كل من في النساطط من الامراء والحراس وفي جلتهم حسن وبني انجاج وعرفية فقط فلما خرج حسن رأى في وجوه الامراء انسحاماً لما سمع منه وكلم ناقون على عريفه لفظاً خطيراً وسوءاً سربرتو واذا اظهروا له الود في وجوه فاما يظهر ونه خوفاً من انجاج لما يعلوونه من قرابته منه .. وفانهم ان انجاج نفسه لم يكن يشق به ولانه كان يداهنة لعلة ينبع في امر

فلما خلوا اخذ عريفه يقص علي حدث حسن مع سمية وانه (اي عريفه) نظراً لما آتاه في ابنته من الجمال والتعلق ارادها للنجاج منذ بضعة اعوام وكان يبذل ما في وسعه لتهبته خدمته .. فجاء هذا الشاب وخدعها بمحبوه وهي فتاة لا تدرك امور الدنيا فاخدرعت بظاهره حتى انة اراد سرقتها والفرار بها وكادت تفر معه لولا يطلع هو على هذه الدسينة فسمى في قبلو بمساعنة طارق بن عمرو عامل المدينة - الى ان قال « وهذا طارق بين يدي مولاي اسالة وهو يبتلك بصدق قوله فالظاهر ان الرجل الذي اندناء له لنقول لم يظفر به فني في قيد الحياة ولما علم بان سمية زفت الى الامير جاء متذكرًا لخدعها مرة ثانية وبذر بها فرأيتها انا ساعدهم بوع ليل بالامس وبعثت من يعقبه فلم يهدى ولكتني علت انة سار الى جهة اخيرة النساء وقد شق على ان اصرح بذلك لمولاي الامير فلما اكدره فقلت ان الرجل جاسوس وهو بالحقيقة لا يخلو من الجاسوسية لانه هو صاحب الكتاب الذي جاء به ذلك التقني وكتب ظننته قبل صاحبة فاذا هو قتل رجلا آخر . وخلاصة الامر ان الرجل علم اتنا اطعلنا على امن فنز الى الحزائب المعاورة حتى كشف لنا عن عبدي قدير (رحمة الله) فأرسلنا معه الترسان للقبض عليه .. وبؤيد صدق قوله انك لما سأله عن غرضه من الجبيه الى هنا لم يستطع جواباً ..»

فرأى الحجاج كلام عرفة معتولاً ولكن رأى التهمة الموجهة إليه معتولة أيضاً فلم يرَ
خيراً من الصبر ليختلي لل الحق ولكن عوّل في باطن سرّه أن يقتل الاثنين فأمر بمحاجن
حسن وهي أحتجاج إليه في تحقيق التهمة على عرفة السخافر ونظاهر لعرفة أنه افتتح بسوء
قصد حسن وطيب خاطره وصرفة

الفصل الخامس والسبعون

٥٠ السم

ذهب حسن إلى شعبه في خيمة أفردوها له في طرف المعسكر وبابها خبران بالحراب
ولما وصل إليها رآه قد أعدوا له الأغلال فاغلوا رجليه وشدوا وثاقه فعظم ذلك
عليه وأيقن بقرب الخطر ولما خلا بنفسه جعل يفكري بما مرّ به وراجع ما دار بينه وبين
عرفة من المجال فرأى أنه صرخ بالتهمة لكنه لم يقتنع أن الحجاج افتتح بمحاجة عرفة وخصوصاً
بعد أن علم الحجاج أن حسناً يسابقه على سمية قاتل العترة وحدها قد تكوني الشعاعي الحجاج
عن كل ذنوب عرفة وأضافها إلى ذنوب حسن

قضى حسن في ذلك بقية ذلك اليوم وجاء بالطعام فلم يتناول منه شيئاً وقضى
ليلة ساهراً وخالياً سمية أيام عبيده وذكراها في فيه وإعلم فكره في حيلة يحملها بها
ويطير من ذلك المعسكر فلم يهدى إلى حيلة

وفيما هو متوكلاً على حصیر من سقف الدخل وقد اتقلنته الأغلال سمع وقع اغدام خفيفه
في التبعة فانتبه فسمع صوتاً ينادي « لا تحف يا مولاي التي خادمك عبد الله »
فحاول حسن الجلوس فساعد عبد الله وجلس وهو يقول « ما وراك »
قال « ما ورائي إلا الخير ان شاء الله »
قال « وما الذي جاء بك اليه »

قال « احتملت على الخيرين حتى استبدلت أحدهما بثني لما لي من النزوذ لاني من
حرس الحجاج وابتلت خارجاً حتى أنت نوتي في المهر عليك ونام رفقي فدخلت
لأسألك عما تزيد »

قال «لا أريد شيئاً .. اما التراريب نسي فلا ابغى ولو عرض على» ما قبليه وما مع
نعيه فأقع نسي في قبولي — لاني اكره التراريب ان ارتكبه مرة أخرى ..
فقال عبد الله «ما المحيلة يا مولاي اذا وقع المحرّ بين يدي الطفّاع وقد غلبنا عليه
بعدم وقوافهم ؟ ايسلم نفسه لم ام يستحل الخروج من بينهم يا وسيلة كانت ؟ »
قال «اتريد ان افر من هذا الموسكر وحدي واترك سمية في بيت الحاجاج . هل
تراني أهوى البقاء لاجل حيائي وحدي ؟ ..

فابدره عبد الله وقال «كلاً يا مولاي لا اعني ان تخرج وحدك بل اعني البحث
عن وسيلة تخرجان بها انت وسمية معًا .. ولا عار في الترارب من بين يدي وحش كاسر
لا يعرف الحق ولا يراعي العدل »

فظل حسن ساكتاً وسكنة دليل على التبول . فلما رأته ساكتاً استأنف
الكلام فقال «وسأذهب غداً الى خباء النساء استطلع طلع الامر وأرى ما يتم الاتفاق
عليه واعود اليك .. أما الآن فاقلع عا انت فيه من التبوط وكل واشرب حتى يأتي
الله بالمرج .. ثم وداعه وخرج وقد احسن حسن بارتاح وانجذب بغيرة عبد الله وصدق
مودتو وكتب في اليوم التالي بانتظار رجوعه «عا تم علوب رأي سمية

وكان سمية قد واعدت عبد الله على الخروج معه في معاً الايس ثم سمعت القبيض
على حسن والرجوع يوم الموسكر ثم بلغها انه سجن وما لبثت ان رأت الجيد قد اخذها
بعيدها ومهما السلاح فلما ثبتت ان الحاجاج اطلع على سر الامر وعلم الغرض من قدمه
حسن الى موسكر فخافتت وقوعها في خطر الموت ولم تز فرجاً الا بخاطبة امة الله
فاستدعتها اليها وكانت في التي اخرجهما بسجنيه وكانت اشد قلقاً منها على حياة مولاهما
ولكمها اظهرت الجيد وجاءها وهي شظاظة بعدم المبالغة فقالت لها سمية «ما رأيك
 بهذا الجيد الهدق بما كما يجدون بالقتلة واصحاب الجراح الكبوري ؟ ..

قالت « وما الذي ينعلونه ..

قالت « تساميتي عما ينعلونه .. وقد سجنوني وسجينه ولا شك ان ذلك العائلي
قد اطلع على ما هي في وبين حسن فما الذي ترجون منه غير ذلك بنا ..
قالت « لا أظنه ينفك بك ..

فقطاعت كلامها « نظيرته يستيقظ لأمر بي الدين .. ! وما انا مسؤولة على نسي ..
ابن السم الذي حنظلي لي .. لئدن آن وقتة .. » وكانت امة الله قد اخذتها المخاضة

عبدالله لجين الحاجة

قالت « لا اظن وفته ازف يا مولاي وحسن لا يزال في قيد الحياة ومن يدرى ما يأتي به الغد »

قالت « أشوقين لحسن بقاء وقد وقع في قبضة هنا القاتل وهو مناظر على عروسو ..؟ انحوز بالله من ظلمه .. آه يا لوثي ظللت على يأس الماضي ولم اعلم ببقاء حسن حياً فقد كثت احببه مات ولا بد لهذا القاتل في قلبه . اما الان فكيف ابني الحياة في بيت رجل قتل حبيبي ... »

فقطعت امة الله كلامها وقالت « لا تقولي قاتل لامة لم يقتلها وعساً ان لا يقتلها فان الله قادر على انانذه .. »

قالت « نعم ان الله قادر على كل شيء . وما حسن فاته في حكم المتنول الآء »

قالت ذلك وخطتها العبرات فسكتت

فاحنارت امة الله في ما تعززها به وهي الثالثة من قرب مقتل حسن ولا تلوم سبدها اذا افترت ولم ترض البقاء بعد في بيت قاتلها فظللت ساكتة . فامانتها سبة الكلام فقالت « أين السم اعطيكي اياه ... »

فتغير وجه امة الله وتباشرت الدروع من عيونها وقالت « دعي السم لم يأت وفته »

قالت « اعطيكي اياه واعاهدك اني لا اتناوله الا بعد ان انقطع الامل من بقاء حبيبي ومنتهي املي . حسن ... » وشرقت بدموعها واطلبت انفسها عنان البكاء فبكى امة الله معها ثم رأى انه ان لا يتبع لها الاسترسال في الحزن على هذه الصورة فكظمت ما فيه نفسها وقالت « أتعديني انك لا تتناولين السم الا بعد وفوع المطر حقيقة » فعاهدتها على ذلك فخرجت ثم عادت وناولتها ورقة فيها المحرق المام . فتناولته منها وقبلتها وهي تتول « أنت هو من الذي من احزاني وانعاني .. أنت وحدك معي في قبر هذا العائلي وانت وحدك سخول يافي وبينه »

وكان الحجاج قد أمر بالخارج سائر النساء من الخباء الا سيدة وخادمتها وامر الحرس أن يهدقنوا به وهم في غسلة عن سبب ذلك فكانت سبة تصريح بسماعها من داخل جدران الخباء لما يخاطب به اولئك . وسماعهم يقدرون بما أطهون حسن من الشهامة وعزيمة النفس وما ظهر في كلام عرقحة من الشلاعيب والفندر . وكانت سبة اذا سمعت ذلك رقص قلبها فرحاً ولكنها لاتثبت ان تعود الى هاجسها

اما عبدالله فلما جاء للداواة مع سمية في النزار رأى الحرس معدقاً بخباها على هذه الصورة فعاد ولم يرها فأخبر حسناً بما كان فزاد الامر عرقلاً عنك ولم ير خيراً من الصبر يا يأتي يوم النضاء وعبد الله يعزبه ويسلمه ويجلس أحوال سمية وينسم أخبارها . فعلم أنها باقية في الخبراء

الفصل السادس والسبعون

دعاة مستجدة

قضى حسن أياماً في ذلك واصبح ذات يوم وقد رأى في مسامعه بلايا خادمة وكان قد تركت في مكة وقد قال لها « اذا استطعتني فاطلبني في معسكر الحجاج » فلما حسن أن يكون قد جا المعسكر ولم يعلم بمكانه . فلما دخل عبدالله عليه في الليل ذكر له هذا الامر ووصف له بلايا وقباقلة فقال عبد الله « رأيت في هذا المعسكر عبداً أظنه هو الذي تدعوه وبظاهره انه ينش عن ضائع ولم يتبه له أحد لان الحجاج وحاشيته وسائر الامراء يناديون للهجوم على ابن الزبير دفعه واحدة ولو لا ذلك لكشف عرقها أمره واتهامه بالجنسية ... »

فقال حسن « بهمتي ان أرى هذا العبد استقدمة لي على عجل » فخرج عبد الله فرأى بلايا فاعتنى اذغال الناس بالتأهيب وجاء به الى السجين بموجة انه يحمل له طعاماً وادعى انه لا يأبه من دخولة عليه وهذه فدخل هومعة فقال بلايل « اني أبحث عنك منذ بضعة أيام حتى يثبت من لذاته وكدت أرجع خائباً فالحمد لله اني رأيتك ولو في السجين ... »

فقال حسن « وما خبرك »

قال « جئت اليك في فجرة مستجدة واخشى ان يكون قد فات أوانها »

قال « وما هي »

قال « استدعاني ابن صنواني الى منزل عبدالله بن الزبير في مكة وسألني عنك فأخبرته انك لم تعد بعد . فقال ان أمير المؤمنين (ابن الزبير) يحب أن يراك لامر ذي بال خطيبة أنت بدأتو منذ بضعة وعشرين يوماً وبيت اليك شيئاً لا يندر أن يهدى الى سواك . فجئت على عجل وقد قضيت ثلاثة أيام في البحث عنك حتى جاءني عبدالله

كما رأيت ...

فقال حسن « ابن الزبير يطلب ان يراني في مكة؟ »

قال « نعم يا مولاي وقد ألح على كثيراً وقال انه يريد ان يسر اليك أمراً بهك كما
يهمه وإن الوقت ضيق ... »

فاطرق حسن فاعمل فكرته فتبين له ان ابن الزبير يريد لكلام يتعلق باخذه
رملة وخالد بن زيد وذكر انه انا جاء المجاز من أجل هذا الامر وقد عهد خالد ذلك
اليه وانك بشأنه فرأى من الواجب عليه أن يحبب الدعوة حالاً . فالتفت الى عبدالله
وقال « عرضت علي منذ أيام الخروج من هذا المسكن فعل في امكانك اليوم ان تعللني »

قال « ذلك عليّ دون في اي وقت شئت ولاني انديك بروحي »

قال « لأنني الترار وانا ابني الخروج الليلة لما باشر ابن الزبير ثم اعود في الصباح
الى عبيسي »

فأعجب عبدالله بعزة نسمه وقال له « افعل ما بدا لك فاني فاعمل ما تريده » وكانت
الشمس قد مالت الى الاصلح فقال عبدالله تمبل قليلاً فاعطاك نبوي فقلبها وتنزلاً
يزني وانا ليس ثوبك وامكك في هذا الجبن مكانك ربما تعود . وتخرج انت كأنك
من حرس الحجاج واظهر انك ذاهب الى ابن الزبير فلا يعترضك احد . فإذا
رأيت ان تبقى هناك وانا احتمال في اللحاق بك فعلت »

فادرك حسن ما ينوي عبدالله تضليله في سبيل غناوه فقال له « بورك فيك من
صدق صادق ولكنني اخشى ان اصاب بسوء فلا اعود فقط انت تخت ظالمة العذاب »
قال « اذا اصابك سوء فلا ابني انا البنا . وفضلـا عن ذلك فان الناس يستحبون
مهاجبون ولا اظليم ينتهون لما حل بمحبهم ولا يطالني احد بك وربما اطللت نسي من
الجبن ولا يأس على ... »

فقطع حسن كلامه وقال « أما الرجوع فلا بد لي منه ... لا بد لي من الاستهلاك
في سبيل سمية ... » قال ذلك وصمت بعدها كأن فكرًا جديداً طرق ذهنه ولبث برهة
لابنك ثم قال « لا بد لي من السعي في الانتقام من أيهما المخائن ... » ثم التفت الى بلال
وقال له « أذكر ما رأيـاه خلسة من خيبة صاحبك سعيد في فمقطاط محمد بن
الحنين ... »

قال « أظنك ترى حكاية عرفة في الكرسي ... »

قال «إياباً أعني . هل نستطيع الحصول على كتاب من خط محمد المذكور إلى
المجاج يشهد له فيه أن عرقه جاء ومهما الكربلي وعرض نفسه ليطلب له اليمعة من أهل
العراق لخلعها بيعة عبد الملك ابن مروان » ٤٠٠

قال بلال « ذلك على هين بالنظر لما في من الدالة على سعيد ولما أعلمه من دالة
سعيد على محمد . . . »

قال « اذهب أذاك الشعب توا وأتي بذلك الكتاب عاجلاً . سر من أقرب
الطرق وأجعل رجوعك إلى هذا المعسرك لأنني ذاهب إلى مكة لمقابلة ابن الزبير ثم أعود
إلى أغلاقي وإلأي ما يأتني به الندر . . . »

فخرج بلال وسار في مهمته . وأما عبد الله فانه خرج إلى المعسرك وقد اشتبه الناس
بالاستعداد وزميله وأقف بباب الحسين وبيد لواده يلحق بالغاربين ليصيّب بعض القديمة
فلما رأى عبد الله خارجاً سأله إذا كان يدوي البنا . في خنز أو الذهاب للمنوال فقال
« إذا شئت أنت الخالق بالجند فاذهب وإنما أتي هنا حارساً لهذا الجبون » فسر الرجل
ونحول ولا غربت الشمس دخل عبد الله على حسن فألبسه ثيابه وسلمه الحرية وصرفة
وجلس هو مكانه . فخرج حسن والناس طريق مكة لا يائنت إليه أحد لانشغال الجيد في
التأهّب للهجوم على الكعبة فسارع خطواته ليدرك الكعبة باكراً فيأتي « عبد الله يعز
المجاج لعلة يجد سبيلاً للدفاع

الفصل السابع والسبعون

مفاوضة

دخل مكة ولم يعترضه أحد ولا رأى في أسوافها أحداً حتى اشرف على المجد
فوجد الناس قد تراحموا فهو وفي ماجاوره من المنازل فعلم انهم يتوفعون شرعاً ولم ينهم
ما نهاء المجاج . فصار توا إلى منزل عبد الله بن الزبير فرأى الناس يتراحمون عند بابه
فسأل عن ابن صنوان فقابل له آنة في خلوة مع أمور المؤمنين فوقف مع الواقفين حتى
مضى معظم الليل فشق الناس ودخل يلتئم المجرى التي فيها عبد الله فلائية الخدم
فسألوه عن شأنه فقالوا له يريد أمور المؤمنين لأمر ذي بال فخرج اليه ابن صنوان

وَحَالَمَا عَرَفَهُ رَحْبٌ بْنُ وَقْرَأَ حَمْنَ الْأَنْقَاضَ عَلَى وَجْهِهِ فَقَالَ لَهُ « أَيْنَ امْرُوْلِ الْمُؤْمِنِينَ »

قَالَ « تَرْكَتَهُ يَصْلِيُ الْفَرْرَ »

قَالَ « جَئْتُ إِلَيْهِ عَلَّاً بِإِشَارَةِهِ »

قَالَ « طَلَبَ أَنْ يَرَاكَ لِأَمْرِ بَرِيدٍ أَنْ يَسْرِهُ إِلَيْكَ .. وَمَوْفَادُكَ إِلَيْهِ .. »

قَالَ ذَلِكَ وَعَادَ إِلَى الْمَحْجَرَةِ وَمَكَثَ حَمْنَ فِي الْإِنْتَظَارِ عَوْدَتِهِ فِي فَنَاءِ الْبَيْتِ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ أَنْ يَكُونَ غَيَابَهُ طَويَّلًا لَمْ يَطْلُو بِطَولِ صَلَاتِ ابْنِ الرَّبِّ يَرِدْ رَآءَ يَصْلِي فِي الْمَحْجَدِ مِنْ عَهْدِ قَرِيبٍ

وَبَعْدَ هَنْيَةٍ عَادَ ابْنُ صَنْوَانَ وَإِشَارَةِ حَمْنَ فَتَبَعَهُ وَدَخَلَ فَرَأَيَ عَبْدَ اللَّهِ وَاقِفًا فِي الْمَرْفَةِ وَقَدْ تَنَاهَى الْحَسَامُ وَلَيْسَ الدَّرْعُ تَحْتَ جَهَةِ خَرْ وَخَمْهَا مَرَاوِيلُ وَمِنْطَلَةُ وَقَدْ فَاثَتْ

مِنْهُ رَائْغَةُ الْمَسْكِ وَأَنْسٌ فِي وَجْهِهِ امْتِنَاعًا لِمَا يَتَبَعَهُ لِضَعْفِ نُورِ الْمَصَبَاحِ .. فَأَسْرَعَ حَمْنَ إِلَى ثَبَيْلِ بْنِ فَأْمَسْكَهُ عَبْدَ اللَّهِ عَنْ ذَلِكَ وَرَحْبٌ بْنُ وَإِشَارَةِ ابْنِ صَنْوَانَ فَخَرَجَ فَاقْتَلَ

عَبْدَ اللَّهِ الْبَابَ وَلَمْ يَقْبَقْ فِي الْمَحْجَرَةِ غَيْرَهُ وَحَمْنَ .. فَأَسْتَغْرِبُ حَمْنَ اهْتِمَامَهُ وَتَكْتِيمَهُ وَلَيْكَ وَاقِفًا يَنْتَظِرُ مَا يَبْدُو مِنْهُ وَقَدْ تَأْدَبَ فِي مَوْقِفِهِ .. فَلَمَا افْتَلَ عَبْدَ اللَّهِ الْبَابَ تَسْجَى إِلَيْهِ وَسَادَةُ

عَلَى طَنَسَةِ بَيْجَانَ الْمَحْجَرَةِ وَإِشَارَةِ حَمْنَ فَتَبَعَهُ فَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ وَوَضَعَ عَبْدَ اللَّهِ الْبَابَ مُسْتَعْرِضًا عَلَى رَكْبَيِّهِ وَاسْتَدَدَ ذَرَاعِيْهِ عَلَيْهَا فَوْقَهُ وَحَمْنَ جَالَ شَبَهَ التَّرْفَهَاءِ وَهُوَ صَامِتٌ

بِرَاهِيْ مَا يَبْدُو مِنْ حَرْكَاتِ جَلِيلِهِ .. ظَلَّ عَبْدَ اللَّهِ بِرَهَةٍ مَطْرَقاً وَهُوَ يَلْاعِبُ لَهْيَةَ بَنِ اَنَامِلِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ ثُمَّ تَفَتَّتَ إِلَيْهِ حَمْنَ وَقَالَ لَهُ « لَا أَظْلَلُكَ حَصَّاتَ عَلَى كِتَابِ مِنْ خَالِدٍ »

قَالَ « كَلَّا بِإِمْرِ مُولَّايِ اَنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَعْدْ بَعْدَ .. »

قَالَ « وَلَا أَظْلَنَّ أَرَاهُ وَلَوْ عَادَ مِنَ الْفَدِ .. »

قَالَ وَهُوَ لَمْ يَدْرِكْ قَصْدَهُ « كَيْفَ لَا وَهُوَ طَرْعَ امْرُوْلِ الْمُؤْمِنِينَ حَالَمَا يَبْيَهِ .. »

قَالَ « لَا يَأْسَ اذَا لَمْ أَرَهُ فَأَنِي عَلَى يَقِينٍ مِنْ رَغْبَةِ خَالِدٍ فِي اِخْتِيِّ وَقَدْ اسْتَغْرَقَ اللَّهُ بِشَأْنِي فَهَذَا هُوَ خَيْرُ اُولَئِكَ الْأَقْوَامِ فَأَنْتَمُ إِلَيْكَ إِلَّا لَهْيَةَ اَنْ تَوْصِيْهَ بِأَخْتِي خَيْرًا وَلَنْتُوْلَهُ اَنْ مَصَاهِرَتِهِ لَآلِ الرَّبِّ يَرِدْ جَاءَتْ مِنْ أَخْرَى .. وَلَوْ عَجَلْ بِهَا بِضَعْةٍ

أَعْيَامٌ لَا إِسْطَاعَ بَنُو مَرْوَانَ الْإِسْتِبَادَ بِهَا الْأَمْرُ؛ لَا يَنْتَطِقُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سَنَةٍ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَلْعَبُ إِلَيْهِ هَذِهِ ظَلَّهُرُ الْمَهْيَاجِ فِي عَيْنِي وَخَشَنَ صَوْتُهُ فَأَنَّمَّ كَلَامَةَ قَاتِلَلَا »

« كَيْفَ يَسُودُ الْعَنَاءُ الظَّلَّمَةُ وَكَيْفَ يَغْلِبُ قَوَادُمُ الْمَاقِفَوْنَ الَّذِينَ يَرْمُونَ يَهِتَ اللَّهَ بِالْمَحْجَارَةِ فَيَقْلِبُونَ رِجَالًا يَعْدُونَ اللَّهَ وَيَعْمَلُونَ بِكِتَابِهِ »

فَأَدْرَكَ حَمْنَ مِنْ خَلَالَ كَلَامِهِ أَنَّهُ يَسِّ منَ النُّورِ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَطِعَ عَزْمَةَ فِي الصَّرْ

أو النسلم أو المكرب فقال له «لا يخفى على مولاي أن النصر من عند الله يتوثّب من يشاء ولا غرابة في غالب أهل الدنيا على أهل التقى — فقد غالب معاوية على الامام علي صهر الرسول كان عم وفند ذلك ابن زياد بالحسين وغيره ذلك لأن الدنيا شيء لا الآخر شيء آخر وقد انقضى العصر الذي ساد فرحاً الحق — عصر الخلفاء الراشدين عصر الدين ذلك هو عصر التقى وإلهة من الصواب يعرفون الحق وارضخون له وما الحكم الآن إلا حكم دينها فلا يتولاه غير أهل الدناء والسياسة و . . . » وما يبلغ إلى هنا يلخص ربيته ويدا في وجهه انه اراد التصرّح بشيء ثم توقف خوفاً أو حياءً فنظر عبدالله إليه نظرة من يتوقع انتقام الكلام فأمّا حسن كلامه فائلاً « ولا أخلي على مولاي أن آل مروان وأكل أبي سفيان فبلهم لم يخلص لهم الملك دون بني هاشم وغيرهم إلا ما ترثوه من الدناء والسياسة وما يذلوه من المال لدعائهم وانصارهم . . . » فلما ذكر المال بدا في وجه عبدالله انباس وظاهر فيه الشفاعة فشك حسن فقال عبدالله « لا تذكرني بالمال وإنما فدك كدت شحيحاً به لأنك مال بيت الله ولعلك لو ذكرتني للآخر لم يستطع ابن مروان الامتداد بالأمر دوني . . ولكنني لا أنسى الدنيا بالباطل ولا ابناء الانصار بالمال . . . » فاغنم حسن الفرصة وذكر له ما ارتتكه من الخطأ حتى خرجت الخليفة من بيته فقال « ومع ذلك لو اصفيت للحسين بن ثور يوم وفاته بزید لما صار الأمر الى بني مروان بل كان انتقل من آل أبي سفيان الى آل العوام . . . »

قطّع عبدالله كلامه وقال « سمعتك تذكر هذا الأمر غير مررت وسمعته من سواك والكل يجهرون ابن الزبير لواطاع الحسين ورافقة الى دمشق لابيعة بنو امية، وانا احمدك ذلك بعيداً ولا آمن ان اسم نفسك لاناس يشق علينا غلام في عندهارنا فكيف في « لهم وبين احزاجهم . . ومع ذلك فقد قضي الامر . . . » — بعثت اليك الآن لا وصبك بأخي خيراً فاوصد بها خالداً عنى وقل له يتقول لك عبدالله « دع امر الخليفة من ذهنك فانها شامة على اهل الدين في هذا الزمان واشتغل بما انت مفتقد به من العلم والكيميا، فان النظر فيها للزيد » ولا أخلي عنك اني عولت على الاسلام الى النساء . . بعد ان ندبني الاهل والاصدقاء خوفاً من الموت ولو طلبت الدنيا لما امتنع علي الحصول عليها ولكنني اطلب الآخرة واعتقد اني دعوت الناس الى الحق فلم يصفعوا فذركم وشأنهم . . وقد أباي في الجواهير ان الحجاج وقومه عزمو على مهاجمتنا في العدد فسألناهم في هذا المجد فلما اذا تم اسره وأ عليه فالكمية والله ينعل ما يشاء . . . » قال ذلك وغضّ بر بنو وقف

وهو يتناول باصلاح بد حاصدو فوف حسن بعة فقال عبد الله « تعالَ معي الى امي لاخبرها بما تم علية الامر ببدأن رملة »

الفصل الثامن والسبعون

— قدوة الامهات —

فتشي حسن في أثر وقد لاح الغير فدخلوا حجرة رأى حسن في صدرها امرأة تجوراً عرف حالاً أنها امهاء ذات النطافتين والله عبد الله وهي بنت أبي بكر الصديق وأخت عائشة زوج النبي وقد كفت بصرها وبذا المرم في وجهها فاقبل عبد الله إليها وحياماً وهم يدها فقبلها فقبلته وتتشتت ريحها وتهدت ثم قالت « ما ورائك يا بني .. . ؟ اني اشم بذلك رائحة الحبوب »

قال « اني الخيط كل يوم استعداداً للموت وأما الآن فقد جئتكم بحسن وكنت ذكرت لك قدوة من عدد خالد بن يزيد لطلب أخيه فراسة مقدمة واخبرته بما رضيت به من هذا الامر وإنما أعلم ان خالداً يستحقها فإذا جاءك ولم أكن قهوة بوب عن في ذلك » فرفعت رأسها وهي تخجل عنينها المظلومتين كأنها تحاول ان تنظر الى امهما او تبحث عن موقعها بين يديها ولكنها لم تكن ترى غير الظلام . ونظر حسن الى وجهها وقد نظرت جانباً بالغائب فرأى دمعتين تقطعتا من جانبها اتفها بغiran يندو للبكاء اثر في وجهها . فلم يستغرب صبرها وتجعلها ملائمة من ثباتها جأشها وفوق قلبها . ثم سمعها تتقول « سأ فعل كما تقول » وسكتت وكان في نفسها شيئاً تكتبه ثم قالت « في اي ساعة من الليل نحن » قال عبد الله « نحن في الصباح » وما ألم كلامه حتى سمعوا وقع حجارة الحبوب على الكعبة اكثر ما يهدونه من قبيل . فتحقق حسن قرب هجوم أهل الشام وابتن بوقوع الخططر العظيم ونظر الى عبد الله فادا هو قد تغيرت صحته وبيان التنويع في وجوهه وقد اذقت الى ابو وقال « ولآن يا ابا .. . فقد نجع اعداؤنا بالمجايب وقد علمت انهم سيعجرون علينا شهوماً عهانياً ايس بعث هجوم فاما ان تظفر او اظفر وا وقد آليت ان افعل امراً لا أأشتدركه بـ « فهذا شهرين .. . »

ونظر حسن الى امهاء وترس في وجهها فادا هي لا تزال تخجل بعينيها وقد اسرعها

حركتها كأنها تهتف لروية ابها وليس في عندها اثر للدمع وقد امسكت النقاب بازاحته عن فمها فبان تجده شنفياً متحمداً اطولاً على مواڑة موافق الاستان وقالت وشققاها ترتجفان من الشيوخة لا من المخوف «انت اعلم بمنسك يا بني» — فان كنت تعلم انك على حق والي تدعوا فامض له فقد قتل علي اصحابك ولا تكون من رفيتك غلامي بني امية . وان كنت انا أردت الدنيا فليس العبد انت أهلستك نسرك ومن قتل ملكك . وان قلت — كنت على حق فلما وهن اصحابي ضعفت — فهذا ليس فعل الاحرار ولا أهل الدين . لم خلودك في الدنيا ... ؟ القتل أحسن ... »

فقال «يا امام اخاف ان قتلي اهل الدام يا ابا يحيى وبصلوني »

قالت «يا بني» ان الشاة لا تأكل بالسلحف فامض على بصيرتك واستعن بالله « فقبل رأسها وقال « هذا رأي والذى خرجت به دانيا الى يومي هذا . ما ركبت الى الدنيا ولا أحبيت الحياة فيها . وما دعاني الى الخروج الاً الغضب الله وان تستعمل حرمانه ولكنني أحبيت ان أعلم رايتك فقد زدتني بصيرة . فانظري يا امام فاني متقول في يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلبي الامر الى الله . فان ابنك لم يتمهد ابداً منك ولا عمل بناحثة ولم يجر في حكم الله ولم يقدر في امان ولم يعمد ظلم مسلم او معاهد ولم يبلغني ظالم عن عالي فرضيت يوم انكرته ولم يكن شيء . آثر عذري من رضا ربي . اللهم لا أقول هذات كربلا لبني ولكنني أقوله تعزية لامي حتى تسلو عنى »

قالت وقد يان الجد في جيبيها « أرجو أن يكون عرافي فيك جيلاً — ان تقدمتي احتميلك وان ظارت سررت بظنك . اخرج حق انظر الى ما يصرر اليه أمرك »

فقال « جراك الله خيراً فلا تدعى الدعاء لي »

قالت « لا أدعه لك أبداً فلن قتل على باطل فلن قتلت على حق » ثم تحول عبد الله ليودع اخته رملة في المجرى الراية وظل حمن وافناً في انتظار عودته فصعد اماماً تأوي وقد رفعت بصيرها نحو السماء . وقالت « اللهم ارم طول ذلك اليوم في الليل الطويل وذلك النجف والطاء في هواجر مكة والمدينة وبره بایو وهي اللهم قد سلسته لامرک فيه ورضيتك بها فقضيت فائفي فيه ثواب الصاربين الشاكرين » فاستغرب حسن صيرها ومتانة اعتقادها . ثم عاد عبد الله اليها وهو يتأويل بدمها وهو بعد عنها فقالت له « هنا وداع؟ فلما تبعه » فقال « جئت مودعاً لاني ارى هذا آخر ابامي من الدنيا »

فَلَمَّا سِعَ حَسْنَ قُولَةَ أَنْدَهَرَ بِذَنْبِهِ وَنَظَرَ إِلَيْهِ أَهْلَهُ، فَإِذَا هُوَ مُبَغَّزٌ - فَرَأَى مِنْ ثَابَتْهَا فَوْقَ مَا كَانَ يَسْمِعُهُمَا وَعَكَسَ مَا كَانَ يَتَوَقَّعُهُ مِنْ وَالَّذِي فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْحَالِ ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ سَمِعَهَا تَنْتَوِلُ لَهُ «أَمْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ وَادْنِ مَنِّي حَتَّى أُوْدِعَكَ» فَدَنَاهُمَا وَعَانَهَا فَعَانَتْهَا وَاحْاطَتْ بِهَا بَخْرَصٌ وَقَبْلَتَهَا فَوَقَعَتْ بِهَا عَلَى الدَّرَجِ فَنَفَرَتْ وَصَاحَتْ فِيهِ «مَا هَذَا صَنْعٌ مِنْ بَرِيدٍ مَا تَرِيدُ» فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَقَدْ بَدَا الْخَبْلُ فِي وَجْهِهِ «مَا لَبَسَتِ الْأَلَائِدَ» يُوْمِنْتُكَ «فَقَالَتْ» آنَّهَا لَا يَشْدُدْ مَنْتَقِي . . . الْبَسْ تَبَاكَ مُشْرِقَهُ «فَمَدِينَةُ الْدَّارِجِ وَمَرْعَاهَا وَدَرَجُ كَبَّةِ وَشَدِ اسْتَلِ قَبْصُوهُ وَجَبَوْهُ تَحْتَ أَنَّاءِ السَّرَّاوِيلِ وَادْخُلْ أَسْنَاهَا تَحْتَ الْمَهَلَةِ وَخَرَجَ (١) خَرَجَ حَسْنٌ وَقَدْ أَدْرَكَ أَنْ عَبْدَ اللَّهِ أَتَاهَا خَرْجٌ مُسْتَلَّاً

الفصل التاسع والسبعون

مقتل ابن الزبير

خرج حسن في اثره وقد ثارت الحيبة في رأسه وغول على الحرب معه فشعر عبد الله بذلك فالفتت اليه وقال «استغلتك يا الله وبالرسول ان لا تعرض نفسك للقتال من اجلنا اذ ليس لك شيء في هذا الامر»

فشق ذلك الاختلاف على حسن لانه لم يكن بصريحه رؤية القتال ولا يقاتل وهو مع ذلك على يقين من فوز جند بيته أئمه لكتابهم والhammad . ولكن ظل سائرًا في أمر عبد الله حتى خرج من المنزل فرأى الناس ينظرون له وفيهم بقية أهله وقد تدرعنها وسلعوا وبهاؤ للقتال وقد نفعته ابداهم بالدروع فقال لهم «اكتفوا وجوهكم حتى انظر البكم» فكتفوا فتى قال «يا آكل الزبر لوطبكم في نسأعن انفسكم كما أهل بيتي من العرب اصطلحنا في الله . فلا ينزعكم وفع السبوب فان ألم الدواه للراح أشد من الم وقعها . صونوا سيفكم كما نصوننا وجوهكم غضوا أبصاركم من البارقة ويدخل كل امرىء قرنة ولا نسألوا عنك فمن كان بائنًا عني فانني في الرعل الاول — احملوا على بركة الله»

واما حسن فاحتار في أمره بعد ان اخْلَقَهُ عبد الله ان لا يقاتل وخف من الجهة

الآخرى أن براء المجاج أو بعض رجاله يتناول قيبيت عدم انعداده فلا تنازع معهم حوله بعد ذلك في الحصول على سبة وخصوصاً إذا عادوا بعد تلك المعركة ظافرين . فاختار الدخول إلى المهد والوقوف في بعض الأطراف ربيعاً تتفق الواقعه . فصبر حتى مرّ رجال عبد الله نحو المجنون ثم الثنت فرأى أعلام بي أمية قد ملأت مكة وتم كثرون فاسرع إلى المهد الحرام فلم يتمكّن الدخول لأن المجاج كان قد وضع أنساً في بايو يعنون الناس من دخوله فاسرع إلى منزل بيمار المهد ودخله وأطلق من كوة فيه فرأى ابن الزبير يتأصل مناضلة الأسود من في هذه الناحية ومرة في تلك كأنه أسد في آجهة وإن صنوان بيمار يدافع عنه ثم يمع عبد الله يقول « ويبلو فتحاً لو كان للرجال » فقال له ابن صنوان « أي والله والب » فجس حسن حتى كاد يندفع بمنسوبي المعركة . ثم لاحت منه الفتنة فرأى المجاج ترجل وأقبل بسوق الناس لما ثانية ابن الزبير لانه رأى لم ياتون على الوقوف بين يديه واسرع بيهادنة من رجاله إلى المحامل علم ابن الزبير وكان وإنفاساً بطيئاً من أبواب المهد . فجاء ابن الزبير لحماية العلم فاكتشف الناس عنه وقد دخلوا المهد وصار القتال فيه . فجى ابن الزبير ليصلّي بيمار المقام فاغتنم المجاج ورجاله فرصة صلاة وهو جنباً صاحب العلم فقتلوه واخذوا العلم ففارق الرجال وعاد ابن الزبير للقتال بلا فائدة . وقال حنيف صنوان صنوان وغيرها لم رأى حسن رجلاً أسرع إلى جهة عبد الله وحرر رأسه وحمله إلى المجاج فلما رأى المجاج الرأس سجد وأكرم صاحب الشارة . ثم أمران بحمل رأساً ابن الزبير وإن صنوان إلى المدينة وإن نصب جلة الأول في المجنون فصلوها أياماً^(١)

أما حسن فلما رأى ماحلَّ بقوم ابن الزبير وتحقق انتصار بي أمية وسمة عدم رأي ان يعود إلى مسكن المجاج لعله يفتدى فرصة غياب الجنيد في فهو بها ولا فرمود إلى عمده فاختلس الطريق حتى خرج من مكان لا براء فهو أحد . ولم يلتفت بيته ولا يسره . وكان وهو سائر يذكر في ماحل بباب الزبير فقال في ناسه « لند خلا الجبور عبد الملك بن مروان وأصبحت الحالفة للإيذاع عليها مشارع » وكان حسن كلما دنام مسكن المجاج ثابت لالمجاج بسمة هيبة فشيء وهو لا يزال يلماس المدرس والمربيه يحيى فلما يشك الذي براء عن بعد أن من حرس المجاج . فلما دخل المسكن لم ير فهو لا ثغرًا قليلاً من الحامية فالنفس خباء

النساء، وقلبة يفتقد لما ينمازره من عوامل الرجال، والخوف والحبس والشوق . فحين هو يرجو السعادة بالقرار بسمة فانه بعد القرار عاراً ولكن هونه على نعمه بأنه لا يرى غير القرار ميلاً إلى عباوة والا فانه يكون سبباً لسعادة سمة او قتلها . فشيء بين الحبام وكل من براء بحسبه فادماً بسمة مستحبة . ثم رأى الانفضل ان يذهب الى السجن لبرئ ماتم عبد الله هناك فإذا وجد حل وثابة وامتنان بو على القرار . فلما دنا من الخبرة رأها خالية فوقت برءة يذكر في أمن ثم استجعى الى الخبراء . ثلا ثنت الفرصة وهو بين الجهلة والتردد . وفيها هو يبني سمع صوت الابواق فالتفت فرأى جماعة الفرسان عائدين من مكة فاسرع في مشينه ليبتعد عنهم وهم وراءه والخبراء أمامه . وكانت النسخ قد مالت نحو الفربوب فلما أطلق على الخبراء لم ير حولة أحداً فبرول وهو يخاف ان تحول بفتحة سمة دون ما يغيثه من سرعة الخروج بها لانها لم تره منذ خروجه من المدينة ولا هو رآها ولكنها تجلد وتشي وهو يود ان يدعو عدوه الولا ما يخاف ان يغير العدو عليه من الشهادات

الفصل المائون

— مقابلة مهولة —

ولما وصل الخبراء فصرخوا ربياً ينسى الاخبار ويستطلع الاحوال وهو لا يعرف مدخل الخبراء ولا مخرجها ولا يدرى اذا كان عبد سمة أحد من النساء أو الخدم الغرباء . وفيها هو يدور حول الخبراء سبع خنقاً ففيما قاصد بسمة فرأى شجاعارجاً فندرس فيه فاذا هو أمة الله ولم يكن يعرفها ولكنها كان يعرف ايتها عندها فاشتبه بها . اما هي فكانت قد رأته في دار عرقية بالمدينة والنسم العججيات بين الرجال ولا يرونها . فلما رأته والخبراء يرونها استعاذت به الله ثلا يكون فادماً من عبد الحجاج ثم مالبثت ان تفترست به حتى عرفتها فدنت منه وقالت « حسن .. »

قال « نعم حسن . اين مولاتك ؟ »

قالت « هي في هذا الخبراء في حالة يرثى لها .. »

قال « لماذا ؟ .. »

قالت « حزننا عليك وخوفنا من ذلك القالم لانه فرغ من الحرب والخل » من عبود

أَن لَا يَقْرَبُ النَّسَاءَ»

فَلَمَّا سَعَ قَوْطَا وَهُمْ حَوَاهُ افْتَشَرَ بَدْنَهُ وَمَمْ بِالدُّخُولِ إِلَى الْمَخَابِ وَلِكَنَّهُ خَافَ أَن
تَنْفَرَ الْبَغْنَةُ بِسَيِّدَةٍ فَقَالَ «أَدْخِلِي وَإِنْتَهَا بِقُدْرَتِي لِلْأَرَارِ مَعًا فَلَنْشَدَدَ وَلَنْفَرَجَ فِي ظَلَامِ هَذَا
اللَّيلِ حَالًا...»

فَبَرَعَتْ أُمَّةُ اللَّهِ وَلَمْ يَصِرْ حَسْنٌ إِلَّا فَلِيلًا حَتَّى دَخَلَ فِي أَثْرِهَا فَوْجَدَ سَيِّدَةً جَالِسَةً وَهِيَ
تَنْرَكُ عَيْنِيهَا بِانَّمَالِهَا وَتَنْتَرِي إِلَيْهَا وَتَقُولُ «أَحْسَمْ مَا تَنْوِلُونَ... حَسْنٌ
هَذَا؟... حَسْنٌ جَاءَ... حَسْنٌ جَاءَ... أَنْتَ تَنْرَجُونَ أَمْ أَنَا فِي حَلْمٍ...»

فَلَمَّا وَقَعَ بَصَرُّهُ عَلَيْهَا رَأَاهَا قَدْ تَنْبَرَتْ مِنَ الْفَعْفِ وَقَدْ أَمْتَنَعَ لَوْهَا... وَلَمَّا سَمِعَهَا نَسَأْلَ
أُمَّةَ اللَّهِ أَجَاهَاهَا هُوَ «لَا بَلْ أَنْتَ فِي بَيْظَةٍ يَا حَبِيبِي أَنْتَ فِي بَيْظَةٍ... أَنَا حَسْنٌ جَيْشٌ
لَا تَنْذَلُكَ هَلْمٌ بِنَا وَاتْرِكِي الْعِنَاطِفَ وَادْفَعِي الْخَفَنَانَ وَاحْتَنِي لِوَاعِجَ الْأَشْوَاقَ حَقَّ نَبْعَدَ
عَنْ هَذَا الْمَعْكَرِ... هَلْمٌ بِنَا حَالًا... أَنَّ الْوَقْتَ قَصِيرٌ وَالْخَطَرُ قَرِيبٌ...»

فَوَقَنَتْ وَرْكَتَهَا تَصْطَكَانَ وَهِيَ لَا تَرَالْ خَمْسَتْ نَسَمَهَا فِي حَلْمٍ وَلَكَهَا عَلَتْ بِإِشَارَتِهِ
وَتَرَكَتْ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْجِيَةِ إِلَّا عِيَاهَةَ النَّفَتِ بِهَا وَلَبِسَتْ لَهَاظَاهَا وَقَالَتْ وَهِيَ لَا تَدْرِي
الْفَحْشَكَ أَمْ تَبْكِيَ... تَنْرَجَ أَمْ تَخْرُنَ «مَا أَحْسَنَ هَذَا اللَّنَاءُ... هَلْمٌ بِنَا...»

وَكَانَتْ أُمَّةُ اللَّهِ تَشَفِّلُ بِحَمْلِ بَعْضِ الْطَّعَامِ وَهِيَ كَثِيرَ اتِّبَاعَهَا وَصَحْوَانُهَا مُهَاجِرٌ وَقَدْ
فَلَيْهَا... فَسَعَتْ وَقَعْ حَوَافِرُ الْخَيْلِ عَنْ بَعْدِ فَاسْرَعَتْ إِلَيْهَا وَهِيَ تَقُولُ «لَنْدَجَاهَ
الْمَرْشَانَ— وَإِظْلَمُهُمُ الْمَرْسَانُ الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَ الْمَبَاهِي بِالْأَمْسِ»

فَلَمَّا سَعَتْ سَيِّدَةٍ ذَلِكَ النَّفَتَ إِلَى حَسْنٍ وَقَالَتْ وَصُوبَاهَا بِرَجْفَ «حَسْنٌ...
حَسْنٌ... لَا تَخْرُجْ فَانِيمْ إِذَا رَأَوكَ خَارِجًا اشْتَدَتْ شَهِيمُهُ فِيكَ... لَا تَخْرُجْ...
وَإِذَا كَانُوا أَنَا جَائِيًا لِأَذْبِيَكَ فَلَبِسَتْ مَعًا وَنَعَّمَ الْمَوْتَاهِي...»

فَنَارَتْ الْحَمِيَّةُ فِي حَسْنٍ وَهَانَ عَلَيْهِ لَنَاءُ الْأَلْوَفِ وَالْأَسْهَلَكِ فِي الدِّفَاعِ عَنْهَا فَقَالَ
هَا «لَا عَاشَ مَنْ يَسْكُنْ بِسَوْهٍ وَلَا حَيٌّ أَرْزَقٌ...»

لَمْ يَسْعَوْ وَقَعْ الْحَوَافِرِ بِتَفَارِبِهِ وَاللَّيْلُ قَدْ سَدَلَ نَيَاهَةً وَبِدَا الظَّلَامُ يَكَالُفُ وَسَيِّدَةَ
مَسْكَةَ يَدِ حَسْنٍ وَلِسَانَ حَلَّاهَا يَقُولُ «أَمَا نَعِيشُ مَعًا أَوْ نَثُوتُ مَعًا» وَلَا تَسْلُ عَنْ خَفَنَانَ
الْمَلْوَبِ لِمَا اصَابَ الْحَوَّيْبِينَ مِنْ فَوَاعِثِ الْخَوْفِ وَالْأَضْطَرَابِ فَاخْتَلَطَ خَفَنَانَ الشُّوقِ بِخَفَنَانَ
الْخَوْفِ وَخَفَنَانَ الْبَغْنَةِ وَقَدْ أَمْتَنَعَ لَوْهَا وَتَصَبَّبَ الْعَرْقُ مِنْ وَجْهِهَا وَارْتَعَدَتْ فَرَانَصِهَا

وحنن يشعر بذلـك الفـعـفـ أـنـاـشـدـ بـطـهـ كـمـ الـأـسـدـ وـاـنـهـ لـابـيـهـ بـنـ بـلـقـامـ وـهـوـ بـنـ
بـدـيـ سـيـةـ وـلـوـ كـانـواـ الـوـقـاـ . وـمـيـةـ قـدـ اـنـسـاـهـاـذـلـكـالـلـنـاءـ كـلـ خـوـفـ عـلـىـ نـسـبـاـ وـاـنـاـ كـانـ هـبـاـ
اـنـ لـاـ يـصـابـ حـسـنـ بـمـوـءـ فـامـدـكـتـ بـوـ وـهـيـ لـاـ تـدـرـيـ اـخـرـضـةـ عـلـىـ التـرـارـ يـنـفـوـ وـلـاـ صـبـرـهـاـ
عـلـىـ فـرـاقـ بـعـدـ هـذـاـ اللـنـاءـ اـمـ تـفـرـ فيـ مـعـهـ وـفـيـ فـرـارـهـ اـخـطـرـ عـلـيـوـ اـمـ تـمـبـيـهـوـ فـيـ الـخـيـاهـ مـعـهـ
وـفـيـ بـنـانـوـ تـهـمـةـ كـبـرـيـ . وـوـدـتـ لـوـ اـنـهـ تـجـبـيـهـ فـيـ قـلـيـاـ اوـفـيـ عـيـنـيـهـ لـفـرـسـةـ مـنـ كـيدـ الـكـانـهـينـ
مـرـثـ هـذـهـ الـمـوـاجـسـ بـهـاـ فـيـ لـحـظـةـ وـغـلـبـ عـلـيـهـ التـرـبـصـ لـبـرـيـاـ مـاـ يـهـدـوـمـ فـرـمـانـ
لـجـلـسـاـ وـقـدـ اـسـكـنـهـاـ الـمـوـىـ وـالـخـوـفـ حـقـ وـصـلـ الـفـرـسـانـ وـاـحـدـقـوـ بـالـخـيـاهـ وـلـمـ يـنـكـلـ اـحـدـ مـنـهـ
وـلـاـ تـعـرـضـ اـحـدـ بـشـيـ دـقـرـيـعـ عـنـدـ حـنـنـ اـنـ قـدـوـمـ لـاـشـيـهـ اوـتـهـمـ جـدـيـةـ وـاـنـاـ عـادـيـ
لـخـارـةـ الـخـيـاهـ كـاـكـانـيـ بـالـاـمـسـ . فـسـكـنـ رـوـحـهـ وـرـوـعـ سـيـةـ وـاـخـدـاـ بـالـكـلـامـ وـالـاـسـهـامـ
وـالـشـاكـيـ وـالـتـرـجـيـ وـالـتـامـلـ . فـضـيـاـ بـرـهـةـ تـرـبـدـ قـيـمـهـاـ عـنـدـهـاـ عـلـىـ قـيـمـةـ الـمـوـاهـ كـلـهاـ فـلـاـ غـرـبـ
اـذـاـ نـسـاـ الـحـجـاجـ وـفـرـسـانـ وـحـسـاـهـاـ فـيـ مـكـانـ غـيـرـ ذـلـكـ الـمـاـكـانـ أـوـ خـيـلـهـ مـاـ اـنـ اـوـلـكـ
الـفـرـسـانـ مـلـاتـكـهـ مـنـ السـاءـ جـاـءـاـ لـسـرـاسـهـاـ

الفصل الحادى والثانوان

رسول في الموار

وـلـكـهـاـ مـاـ عـهـاـ وـهـاـ فـيـ ذـلـكـ الـمـدـوـانـ سـعـماـ طـبـونـ سـهـرـ مـرـسـلـ بـهـ النـفـاءـ وـكـانـاـ
أـصـابـ عـودـ الـخـيـاهـ مـنـ الـخـارـجـ . وـكـانـ اـمـةـ اللهـ مـشـفـوـلـةـ بـعـضـ الشـوـوـنـ فـيـ طـرـفـ الـخـيـاهـ
بـالـقـرـبـ مـنـ مـوـقـعـ الـنـبـمـ فـلـاـ سـمعـ وـقـعـ الـسـبـمـ خـرـجـتـ وـاـطـلـتـ رـاسـهـاـ مـنـ الـخـيـاهـ فـلـمـ تـرـ
غـيـرـ الـفـرـسـانـ فـيـ مـوـاقـيـمـ كـالـعـادـةـ . فـدـتـ يـدـهـاـ الـلـهـمـ وـاسـقـرـجـهـ مـنـ الـعـودـ وـدـخـلـتـ بـوـ
اـلـ حـنـنـ فـتـاـوـلـهـ فـاـذـاـ فـيـ مـحـلـ الـرـبـشـ رـقـ مـلـتوـفـ فـدـنـاـ مـنـ الـمـصـبـاحـ وـفـحـ الـرـقـ وـنـظـرـ
فـيـوـ فـيـوـ كـنـاـتـهـ بـخـنـطـ عـدـاـشـ خـادـمـ فـزـأـهـاـ وـنـعـهـاـ «ـ اـطـلـعـ عـرـيـخـةـ عـلـىـ مـرـكـاـ فـوـشـيـ
بـكـاـ وـاـرـسـلـ الـفـرـسـانـ لـتـبـيـضـ عـلـيـكـاـ فـيـلـداـ وـالـلـهـ مـعـ الصـابـرـينـ »
فـلـمـ قـرـأـ حـنـنـ الـبـطـافـةـ أـيـنـ بـقـوـعـ الـأـمـرـ الـخـادـمـ وـلـمـ اـرـبـدـاـ مـنـ عـيـنـهـ أـسـابـ
الـأـطـيـانـ لـحـيـةـ وـكـانـتـ هـيـ قـدـ قـرـأـتـ الـبـطـافـةـ مـعـ مـخـافـتـ خـوـفـ شـدـدـاـ وـلـيـتـ تـوـقـعـ مـاـ
يـهـدـوـ مـنـ حـنـنـ . اـمـاـ هـوـ فـاـبـدـرـهـاـ فـاـنـاـلـاـ «ـ لـاـ بـدـ »ـ لـيـ منـ الـذـهـابـ إـلـىـ الـحـجـاجـ بـلـيـ لـاـنـيـ

لأظله أرسل الناس في أثيري الآلام وعواني فررت من عصبي بالآمن وبالحقيقة التي لم
أفر ومهما يكن من الأمر فلا بد من مواجهة المخواج والاطلاع على ما يكون
فقطعمت كلامة قائلة « اذهب إلى المخواج ولا تدري ما يكون منه ... أعود
بإله من شر هذا الرجل ... ماذما يكون منه غير القتل والتعذيب بالله ۱۰۰ وخصوصاً أنت
وقد علمت أنك عدي ... وبلاه كل ذلك بسيهي ... يا إلهي متْ منذ أعلم ولم أكن
سيما هنالا الأذى ... دعني اذهب عوضاً عنك ولعنة فاذذهب فداءً عنك لاني متنولة
في اي حال ... »

فوضع يده على كتفها وكلاها ترتجان وقال « لا أرى الامر ينفعني كل ذلك ولا أنت
كنت السبب في قتي اذا قلت ... » فقطعمت كلامة وقالت « لا تقتل قلت »
قال « عسى ان لا أقتل بل أبقى في قيد الحياة ... وقد كنت استطيع الترار ينفعي ان
من بين يدي هؤلاء النرسان ولكنني لا أبني الحياة من أجلي وإنما ينفعي المخواج ينفعي فانما أحافظ
لشرقي وشريك وما ياتي به التذر لا مذاض له ... هنا ابن الزبر كان الذي صياغ هذا اليوم
يسونه أمير المؤمنين فقتلوا وصلبوا وحملوا راسه الى المدينة وقد استقبل الموت باسمه أيامه
تشجعه على استقباله فلا توهني عزائي ولا تخوبي بملفقة المخواج ولو كان شعلة من جهنم
ولكنني أبني منه اذا قدر لي الموت ان تذكرني حسناً وانه كان يحبك وهوراك وانا
ذهب شهيداً في سبيل ذلك الموى ... » قال ذلك واختنق صوته
فقطعمت كلامة ودعوها تنساقط على خدتها وكانت مطرقة فرفعت عينها وبدت
يدها الى جيوبها فاستخرجت لثافة السر وقالت « كن في راحة واعلم انني اعدت ما يلعنني
بك اذا لassoح اثاث اصبتَ بسوء ... هنا هو السر الثاني من العذاب ... وهب انك لم
تحسب بشيء، فنان هذا السر قد اعدته للتجاه من هذا الرجل الظالم في اول يوم برید ان
يكون لي زوجاً حقيقياً ... »

فانجذب حسن بشدة تعلمها بو و قال « بالحقيقة ان مثل هذه التهمامة لا تكاد أبايل من
الروح ... ولكن عسى ان يتطلب الامر واصنوانا الزمان ... »
ثم رفع يده عن كتفها وقال « استودعك الله يا سيدة وموعدنا اللد ان شاء الله ... »
قال ذلك وخرج ولم يتعذر جواهها الا لامحاولة ان تلقيه عن عزمه بدموعها ... فلما
صار خارج الحياة صاح باعلى صوته « ابن هو عرب من الكوكبة ؟ »

فتقىدم اليه فارس منهم وقال « وماذا تزيد منه »

قال « أريد أن يهدى إلى فساطط الامير لاني ذاهب اليه »

قال « لم يأذننا الامير بالرجوع اليه وإنما أمرنا ان نخبر هذا الخبراء بنبوحى بانى
هو ولله آت الساعة ... »

فادرك حسن ان ذلك تدبر عرفة لانه يريد ان يرى الحجاج حسناً وسمة معاً ليبر
غورته وبصرع في قتل فمول حسن ان يضع تلك العزة فقال « ولكنني في حاجة كبيرة
إلى رؤية الامير الساعة ... »

قال الناس « لا يمكن الخروج من هذا المكان ... »

قال « لا بد من خروجي ... » قال ذلك وقد عول على العدو فإذا خلص من
بين الخيول يختبئ القلام فذهب نحوها إلى خيبة الحجاج ويجاول الطعن في أعمال عرفة.

فاجاب الناس « الأفضل لك ان تبحث هنا ... »

قال « فإذا لم امكث ... ؟ »

قال « لا أقول لك اتنا نقتلك لأننا مأمورون باستئصالك حجاً ربياً بعيدي ... »

فظن حسن ان الحجاج يريد استئصاله ليبحث عن صحة التهمة التي وجهها الى عرفة
من قبل الكريسي فشدد وقال « أقول لكم لا بد من ذهابي الساعة الى الامير والا

خدوني الى السجن امكث فيو الى الصباح ... » قال ذلك وهي فضbir وا حوله ليهندوا
وإذا بناس متقل من بعد ووراءه يضمه فرسان فلارام حراس الخبراء يهاسدوا فيها

بهم وتزلجوا فلهم حسن من بهامسهم ان القادة بين الحجاج وحاشيته فظل واقفاً ينتظر ما

يكون ولكنه لم يحالك من التأثر بعد رؤية ذلك الرجل العاتي

وكان الحجاج لا يزال يلأسو الذي حارب بو ابن الزبير وقد كمنه الادراج هو
وجواره وعلها يقع الدمام . فلما أقبل قال للرسان « ماذا تتعلمون هنا »

فتقىدم عربتهم وقال « خبر هذا الخبراء ليسع من فيه من الخروج ... »

قال « ومن امركم بذلك ؟ ... »

قال « امرنا بعرفة عن أمر مولانا الامير »

فأطرق الحجاج وقد ادرك ان عرفة لا بهم الا بحسن لما يهتم بها من المعاشرة وكل

يريد البقاء بالآخر ولم يكن الحجاج يعلم بعيدي ، حسن الى خباء سمية ولا يهتم به امر به
عرفة ولما جاءه الى خباء نسأله تلك البللة لانه حل من يهتم بقتل ابن الزبير في ذلك

الهار فرأى الترسان هناك كأن قدم . فلما علم بما فعله عربقة سأله العريف عما وجده هناك فقال وهو يشير إلى الحسن « وجدنا هنا الرجل خارجًا من الخباء بريد الذهاب إلى مولانا » فنظر المحجاج إلى حسن فعرفه فتفقق عنده تهمة عربقة له بجهوده إلى سمية وعظم عليه أن يبرأه خارجًا من خباء لساوى ورمَّ أن يأمر بقتله حالًا لكنه نذكر التهمة التي وجهها إلى عربقة فرأى أن يصر علىه إلى القتل وبعد أن ثبتت التهمة على عربقة ينطلقها جميعًا شر قلة وكان عربقة قد أمر الجند بحراسة الخبا . واستثنى حسن فهو أعلمون بالمحجاج يأتي الآخيبة تلك الليلة فبرى حسناً عند سمية فيتتحقق قوله عربقة ويأمر بقتله حالاً لعدة النسب والذرة فلا يبقى سبيل لإثبات التهمة عليه . ولكن المحجاج كان مع عنده وظلو ذا دهاء وحكمة فكم لهم عربقة ربياً يشقى الأمر فقال « خذني إلى السجين وموعدنا القتل .. » فسر حسن لذلك الأجل ولكنها مشي مع المخبر وهو يلتقط إلى الوراء ليتحقق ابعاد المحجاج عن سمية سمية فلما توارت الخيبة عن بصره ثالت قلبية التي من فيها

الفصل الثاني والثمانون

المحاكمة

فهي حسن بقلبها تلك الليلة مختورةً وفي الصباح ساقوا إلى فساطاط الامر يأكلها وقد أمر المحجاج أن لا يضر ذلك المجلس أحدًا غير عربقة وحسن . فدخل حسن ووقف في وسط الفساطاط وظل عربقة جالسًا بجانب المحجاج كأنه من خاصيه وحسن الجرم وكان المحجاج إذا نظر إلى حسن كاد يتبرأ غرابةً ولكن صبر نفسه حتى ثبتت التهمة على عربقة فقال له « عهديناك في الأمس مسجونة أنا الذي أخرجك من السجن » قال حسن « خرجت منه لأمر ضروري ثم عدت ولو كان قصدي الترار ما رجمت » فقطع عربقة كلامه وهو يتحلى « ذهبت لأمر ضروري .. أما ذهبت إلى عدو نا وكنت في منزله طول ليل أمس وتقول إنك رجمت ولكن إلى أين ؟ ألي الحبس أم إلى خباء »

فالثالث المحجاج إلى عربقة لفترة ظهر الغضب فيها وأدرك عربقة منها تغير المحجاج عليه فأراد تحذيف غصبة فقال « لا أجهل أنني تعذبت المحن يتكلمي في حضرة الامر

ولكنني لم استطع الصبر على غناق هذا العلام وخداعه فهو يووهنا انه ليس من الاعداء ولا من الجهلاء ثم بارز من السجن لبلا ويجعل اخبارنا الى عدونا ثم يقول انه رجع والامور ادرى بكان رجوعه

فهنم الحجاج ان عرقته يعرض بذلك المكان ليثير غضبة ولا يضرر على الفتوحه فصبر نفسه والنفت الى حسن وقال «لا يهمنا المذهب الذي خرجت من اجله الى اين الريبر فانك مهتم عدتنا في اي حال . . . واما سبب دخولك خباء نسائنا فستبحث عنه ولكنك افهمت صديقنا عرقته بالاسن فهل تستطيع اثبات ذلك التهمة

فلم اسع عرقته عود الحجاج الى ثمه خنق قلبه وطاف عاتقه تلقي الحجاج له بذكر الصدقة ولكنه ظاهر بالاختناق وجلس كمن ياهني لما سمعته المقص . . اما حسن فقال «اما كونه خائن لدوله هي امية فامر لا شك فيه وقد رأيناها بأم عني وافتئى بين يدي محمد بن الحسين في الشعب ومعه الكرسي الذي كان المختار بن ابي عبد الله يسميه كرمي علي ويدعو الناس الى يمة ابن الحسين يو . . وسمعته يصرخ محمد المذكور على امداده بمال الزوج على هي امية في العراق ويدعو الناس الى يعمتو لانا في زعو اولى من هي امية بهذا الامر . . ذلك كله رأيناها بعيق وسمعته باذني
وكان الحجاج مصفيما لا يسمعه وعنه شاختaban في حسن بنزرس في حركاته وسكناته لم استطع مقدار ما في كلامه من الاخلاص فرأى الاخلاص ظاهراً في كل كلمة . .
فقال له « تم مادا »

قال «اما ابن الحسين فانه استحق بطليو وردده عن الثيام بهذا الامر لان وقته فات ونراكم ادا لذلك امر بالكرسي فاحرق بين يديه واخرج هذا الرجل من عنده مهانا»
فلا رأى عرقته صراحة كلام حسن حق كاد الحجاج يصدقه لم يرى سبلا الى دفع تلك التهمة الا بالخداع والغافلية فوقف ووجه خطابه الى الحجاج وقل « اذا كان كلام هذا العلام افضل ثائرة في اذن مولاي فليامر بقتل حلالان ظلل هن الشهوة يستوجب القتل فكيف بما يقوله هذا المناافق . . انه امر مستحب . . ولكن كبر التهمة يهتف بها ذنبه الذي لم يرتکبه احد قبله

فقال حسن «اما ذنبي فلا انكر وسأعطيك مولاي وله بعد ذلك ما يشاء او ما انت
فأراد عرقته ان يدخل الحجاج بذنب حسن عن ذنبه فقال « ان ذنبك لا يحمل الانكار لامة ظاهر للهوان . . واما اتهاك ايادي بالمرءوق من دعوة هي . . وان فالاخلاق

غريب لم تسع بيلاه . وأغرب ما فيك لم تستطع اقامة أدل دليل على وصفي ذلك
عليك لأن دعوتك بعض اخلاق . » قال ذلك وجلس جلوس رجل فاز على خصمه
بالجعة والبرعنان .
فلم يعبأ المحجاج بذلك الشفاعة فالذنب الى حسن وقال « لا نصح دعوى بلا ذمة
فا هي يوك على ما تقول »

قال « واي يهنا ترجو ان تقوم على ذلك وقد كانت المخابرة بين وبين ابن الحسين
سر . » ولم يكن معها ثالث »

فصاح عربة « اسمع يا مولاي تائب هذا المداقن وتناقض اقواله . » فإذا كان ذلك
الامر حصل مراراً في خربة مفلحة فما الذي اطلع على ذلك المر . ٤٠٠ . أرأيت مقدار
تعلمك وجهلك كيف انه لم يحسن سبك الا كذوبة . »
فداخل المحجاج ذلك في قول حسن فقال « لند صدق عربة . » زعمت انك عرفت مدار
بها ومردتها كأنك سمعته من شفاهها وقلت انك رأيت وسمعت فكيف ذلك .
فإذا كتب لها تقول جزافاً فاقصر ولا تطل اجلك ساعة اخرى »

هذا رأى حسن الخداع المحجاج لكلام عربة غباراً واظهر التعقل وقال « نعم كان
الكلام في فساطط مقال . » ولكنني سمعت ورأيت خلسة . »
فقال عربة « أنت تقول انك سمعت ورأيت وقد بدا من تأون اقوالك وتناقضك
انك لم تسع ولم تر وعلمنا اذا المحاجنا بطلاب الشهود منك اتيتنا بخادمك باقية شاهداً
وانا لا اقبل غير شهادة محمد بن الحسين تنسوا لانك انت تقول انه لم يكن معنا الثالث . »
فقال المحجاج « انه طلب عادل لا متوجه لك عنة . »

ثم نذكر حسن انه ارسل بلالاً في تلك المهمة ولا يدرى اذا كان يتأتى له الالجاج
فيها فقال « ان الامر ادرى معي بما يحول دون الوصول الى مثل هذه الشهادة . » فلما ان
لسفدم ابن الحسين الى هنا او نذهب اليه او نستكبه وكل من هن شاق . »

فطلع عربة كلامه وقال « لا اقبل الا شهادة ابن الحسين نفسه . »
فقال المحجاج « ذلك على هين فاتانا نسأل ابن الحسين ونعمل بشهادته وهو مصدق
عندنا ولو لم يكن على دعوتنا . »

قال ذلك وتحرك عن وسادته كأنه يريد استئثار المهمة في البحث والذنب الى
حسن وقال « بني علينا النظر في مهمتك ولكنها ليست بهذه طلب اثباتها ولانا نحن
لسالك عما دعاك الى هذه الوقاية . »

الفصل الثالث والثلاثون

ـ وقوع ونجاة

وكان حسن قد مُنِّي بأخبار انججاج أنه ارمي من يأقي بشهادة ابن الخطاب فلما سمع مساغة يهود العباره وجه قوله إلى الجعف في الموضوع وإراد أن يجيب فاعترضه عربجهة قائلاً «انا أنص عليك الخبر من أوله إلى آخره لانه يتجعل ان بيته هو ...»

فلم يعد حسن يصبر على قناع عربجهة فتدار ورفع صوته «هذا الجهل من فضلي ؟ أتجعل لاني اندلوك من الموت انت واهل بيتك ام اتجعل لانك خدعوني بوعودك ثم تكشت غير مرمرة ؟ التي لم اعمل علاً الجهل من ذكرك » ثم وجده كلامه إلى انججاج وقص عليه اصل الحكاية باختصار منذ انتقاله في العراق ووعدد ما يكتبه ثم لما جاءه إلى المدينة فوعنه ثانية لم أخلف ويعت من بيتهلا . فلما وصل إلى هنا كان انججاج مصفياً إلى الحديث بشارع الصبر فقطع عربجهة كلام حسن قائلاً « قال لاني دعيت في قطلاويم بدل لماذا - مهيت في قطلاو لاني رأيت معه كثيراً إلى عبد الله بن الزبير الذي فرَّ إليه بالامس كما رأيت تخاررت طارق بن عمرو عامل المدينة بشأتو فاعتدوا جاصوساً بعثت من بيتهلا ... وهب لاني كدت وعدته بابني ثم خططها مولانا الامير فكيف استطيع غير العذابة . هل يتوقع أن ارفض طلب المولى وأصنفي إلى قولو . والعجب كل العجب انا بعد ما علم ليها زفت إلى الامير لا بزال يرجو الحصول عليها . وإنغرب من ذلك انه طرق هذا المسكر متذكرأ وهم ياغيرها للذهاب معه . فأنوقة الله بين يديها وجناء فنز إلى عدونا ثم انقض اشتغال الامير وجدته في الحرب وعاد إلى اغراه تلك النهاه وقد شاهد الامير ينسو خارجاً من خباء سمه . فاذاكان الامير يرى الصبر عليه حمله فاني لا أصبر على هكذا الخيانة . خيانة العرض - وما جزاء من أراد بآهلك سوءاً ...»

فوقع كلام عربجهة على قلب انججاج وقع النار على يابس العشب وقد كان الى تلك الساعة يصبر ناسه ويعجله فربت فيه الفزع اي هبوب على انه الفتى الى حسن وقال « هل تذكر املك تحبها »
قال « كلاماً »

قال « وتنقول ذلك بين يدي أينما وانت تعلم ايهما من نسائي ...»

فظل حسن ساكتاً فقال له أحجاج « وهل هي تحيك ... »
فأدرك حسن أنه اذا صرخ بجهها لة جر عليها الموت كاجه على نعمه فاراد الرفق
بها فقال « لا أدرى ... »

فصاح عرقية « إنما لاختها ولكنها بسيطة القلب فربما استطاع ان يخدعها بكلام
البعيال . كف لاً وفي تناحر كل نساء المدينة يا ناتلة من المخطوة لدى أمير جند
عبد الملك وفانح أحجار وحاجي ذمار بني امية ... »

فامتناه حسن من ذلك التدليس النبيح ولم يسمع الاً توبيخ عرقية فقال له بصوت
ملوه الرزانة والتعلل « لا انكر ان سمية نالت أحدن نصيب تزوجه نساء المسلمين اليوم
بعد امير المؤمنين ولكنك بما عرقية لم تعرف ابنته الى الامير الاً رغبة في المال ولو مهرك
هذا المال زيفي لرفتها اليه »

فصاح عرقية « يا للواقحة انقول ذلك في حضرة الامير وتدكر عروسة بون يديه على
هذا الصورة ؟ » ثم الفتت الى أحجاج وقال « لند كنانك يا مولاي صبر او حملها
على رجل لم يختم عرضاً ولا نسباً »

فالثنت حسن اليه وقال « اميرك بذلك ان بعرض الامير على القتل وانت اشد عرضاً
للتخاص مني ... انك ملاق حننك عاجلاً جراها خيانتك للدولة التي تدعى انك
ترافق عنها . واما أنا فانا ثفت فاني اذهب شهيد الامانة والحب الصريح ... »

فالثنت عرقية الى أحجاج وقال « اربع يا مولاي انه لا يزال يذكر الحب ... »
قال حسن « وهل الحب عار ... ؟ نعم اني احب سمية حباً شديداً او اكون اباها كرهاً
شديداً ولا ابالي ان اصرح بذلك وقد اربع دمي فاقتلوني ... » ولكن اهل بما عرقية
انك متقول عاقلاً لان شهادة ابن الحسين آتية على الطريق ان لم تكون قد وصلت
الآن » قال ذلك وتحول نحو باب السلطان ونظر من شق فيه لعلة يرى بلاها في جملة
الواقفين فرأته لا يزال فادحاً وقد علاء الفبار ... تحقق قلبه وعاد الى أحجاج وقال
« اذا اذن مولاي لرسولي ان يدخل ويسلم اليه ما جاء به من ابن الحسينتين له الصدق »
قال « واي رسول ... »

قال « رسول كثت افتدت قبل الامس الى الشعب ايسعي في هذه الشهادة لانه كان
في يوم حريق الكرسي وأراده الآن عائداً فامر بادخاله لنرى ما الذي جاء به ... »
فنادى أحجاج « يا غلام » فدخل احد غلاته من المدرس فقال له « برى رجلاً

قادماً برسالة ادخلنا علينا . . .

فعاد الفلام ودخل بلا لا . فا قبل بلا و به عنده من التهم الغليظ سلها الى
الحجاج هنومة فقرأ الحنم من الخارج فإذا هو خم ابن الحنبة فنهض واستخرج من العفة
لذاته من الرق فتحها وقرأها وعرفتة جالس وقد بانت البفنة على صدرو ورقت لحنته في
صدره . ولتكن عدالي الاستخفاف والمقاطعة فصار ينظر الى الحجاج وبينما كان واتق ان
الكتاب اما يهضمن براءته . أما الحجاج فلم فرغ من قراءة الكتاب ثفت الى عرفته
وقال له « لقد صر الصريح ولم يرق مجال المكر والخدعه . . . صدق هذا الكتاب بما قاله
عندك وهذا خط محمد بن الحنبة وخدعه يهتان ذلك حرفياً . . . »^(١)

فهم عرفته ان يتكلم فانه بغير الحجاج ونظر اليه نظره الحق والغضب وقال له « لا تكل
ولا تداعع فندر كنانا ما معناه من خلطك . . . » ثم صدق غباءه الفلام فقال « اليه
بالمجادل » فخرج وعاد برجل عليه قيس من جلد وعلى رأسه عمامة مستطيلة وبيده سيف
حادي اعدمه لقطع الرقب — وكم قطع بورقايا . فشار الحجاج بسبابه الى عرفته وحمد
وقال « انتي رئيسها » فأراد عرفته ان يدافع عن نفسه فلم يسع الا فصاح « كتب
نامر يهلي ولم تتحقق بهمي . . . ان هذه الرسالة مزورة » واخذ في الصباح حتى سمع
صوتة كل من في المعسكر فذهب الحجاج وصالح في الجلاد « هات رأس هذا اولاً »
واشار الى عرقوه

فيجذبه الجلاد من طوفه بعنف كأنه كان ناقاً عليه . وبالحقيقة ان المعسكر يرمي
كان بشكوه من نصره وعوجه بيده . ولم تكن قرابتها من الامير تكتبها قليلاً من قلوبهم
— وربما اكتسب الملك رؤوس رجاله بالارهاب او الاطلاع فاما قلوبهم فلا يكتسبها
الا بصدق انعطافه غوم وخلاصه لم — لأن القلب لا يجد به الا النلب

غيره الجلاد حتى اركمه في ذلك النباء وتزع عمامته عن راسه . فركع عرفته وهو
يلتئم الى الحجاج والحجاج معرض عنده ولم يكن الا كلمي البصر حتى طار رأسه من بين
كتفيه والناس ينظرون وفي جلدهم حسن . وكان ذلك الماظر اشد تائراً فهو من
الجميع لشعوره ببارب اجلو

(١) كان ابن الحنبة على الحداد في اثناء الحرب بين الحجاج وبين الزبير لانه يود هلاكم ايديه
وكان كل منها قد دماء الى المبايعة قابل وقد اضرر ان يباعي الناب فلا ظفر للحجاج بايم عبد الملك

الفصل الرابع والثلاثون

— البريد —

فلا قبل عرفة دخل الجلاد على الحجاج والسيف ينطردما ووقف ينظر امره فلم يتكلف الحجاج الا اشارة ان «خذ»

فامسك الجلاد في طوق حسن واراد جره الى الخارج . فقال حسن للحجاج « اقتلني بعد ان رأيت صديقي واخلاصي ؟ ..»

فصاح فيه الحجاج صحة الفضب وقد احررت عيناه وتخلى الفدر فيها وقال له « أنساني عن قتلك وانت محق الصلب منذ ايام ؟ ولكنني صبرت حتى عذقت خيانة ذلك القادر على يدك . اما انت فذنبك لا يجوز النظر فيه وهذا يكفي .. » قال ذلك وحول وجهه

قال حسن « فاذا لم يكن بد من قولي فاقتلوني داخل هذه المخربة وليس على مذهب من الناس ..»

قال « اشتقرط علينا في كنية اخرج هذه الروح الخمسة ؟ .. اقوله يا جلاد والا فذنك »

فعاد الجلاد الى طوق حسن فامسكته فيه وشدّه، فقال حسن « لا تهدّي فان الموت اهون ما اتفاء وأنا واثق ببراءتي ..» قال ذلك ومشى نحو الباب

وفيها بهمنان بالخروج سعيا فعندها وصوتها يقول « البريد البريد من أمير المؤمنين » فعلم الناس ان البريد قادم من عبد الملك بن مروان وكان من عادتهم اذا جاء البريد لا يدعونه ولا يوسمون حاملة لحظة سواه كان قادماً من الخليفة الى الامراء او بالعكس . فلما سمع الحجاج صوت البريد قال « ادخلوا »

ولم يتم كلامه حتى دخل رجل كهل قد أنهكه الثعب وتعزرت ثيابه وترامي عدد قدمي الحجاج وسلم اليه كتاباً مختوماً ولم يعد يستطيع الوقوف لكانه الثعب . وكان حسن مشغلاً بتنفسه عن كل تلك المشاهد ولكنه استقرض وقوع الرجل فنظر اليه وتنفس فيه فاما هو صديقه أبو سليمان فذكر انه كان قد أرسله الى خالد بن زيد في

الشام بدان رملة ولا بد ان يكون قد عاد بجواب خالد الى ابن الزبير فمُؤول على الاستثناء من المجاج بكلمة ينوهها لذلك الرجل قبل قوله بكلمة بلاغ خالد رضا ابن الزبير وإن رملة في انتظاره لترف اليه فيكون قد أتم م僻ته قبل موته

اما المجاج فتناول الكتاب ونظر الى الحبر على ظاهره فاذا هو ختم الخليفة عبد الملك فقبله ووقف تعظلاً للخلافة ثم نظر الى الرجل الذي حمله فاذا هو ليس صاحب البريد فقال له «من ابن لك هذا الكتاب هل انت من عمال البريد؟»

قال «لمت منهم ولكنهم خلوفي على دواب البريد للارتفاع في الملاع عن الرسالة الى مولاي ...» قال ذلك وهو يأبه وصوته يتقطع ويبلغ عن من التعب والخوف

فمضى المجاج ختم الكتاب وقف وجعل ينوي وبعد قراءة ويناديء ويمكث شغناً باصبعه ويلمس بضربيه وقد ظهر التأثر في عينيه ثم جعل ينظر الى الحسن ويزارس فيرو ثم يعود الى قراءة الكتاب ويهامل في خدمته ويقلبه بين يديه وايوب ليمان لا يزال مستلقياً يأبه من التعب وينظر الى وجه حسن كأنه لم يعرفه وحسن ينظر في وجهه وكلام سكوت ينتظرون ما يقولون المجاج بعد تلاوة ذلك الكتاب

اما المجاج وبعد ان أعاد قراءة الكتاب مراراً أشار الى البلاد فانصرف ولم يبق في الخيمة الا هو وحسن وايوب ليمان فالتقت الى حسن وقال «هذا كتاب امير المؤمنين جاء فيها كرت تبغى انت ... والله لولا حرمة الخليفة لم يكن في الارض من ينجيك من النفل»

فما سمع حسن ذلك أبرقت أسرته ولكنه لم يطعن نساماً لانه لهم صرخة مخواى ذلك الكتاب فاطلق وظل ساكناً

فنادى المجاج «يا غلام» فدخل غلامه فقال له «ادع الكتاب» فخرج ثم عاد بالكتاب فدفع اليه الكتاب وقال «اتل هنا علينا» فلما وهنها

«من امير المؤمنين عبد الملك بن مروان الى المجاج بن يوسف امير جند في المختار» - أما بعد فقد بلغني انك خطبتي اينة عزفحة المذاق وهي مذقاً ليبة لحمدن ... فاخذتها وحرمتها مني والرجل من يشنون البنا ويهمنا رعاية فانا أناك كناني احلى الشفاء الى خطبتيها راهمني بما ينوم بالتنفس - والله لرجوعك عن المختار ولم تخلف لا هون على من ارتكابك هذا الامر مع رجل من صانعها وخاختها - وتفتي انك فاعل ما اقول والسلام

فما فرغ الكاتب من ثلاثة الكتاب حتى رقص قلب حسن طرباً وقد حسب نسمة في حلم . وربما خجل لذاته قبل وإن هكذا الحالات ما يغير في ذهن المنشول بعد موته فجعل بحقن وجданه وينظر إلى ما حوله . وفيها هو في تلك الأحلام مع الحجاج بنوبل « لم تدل عليك الكتاب إلا لتعلم إننا أنا نجاوزنا عليك عملاً بأمر أمير المؤمنين ... » والنفت إلى غلامه وقال « أعطيك ألف دينار ... وسيدة طلاق من الأآن ... وأمض و إلى خباء النساء ، وابني ، إلهة إننا طلتنا سمية وزوجنا حسناً بها فلذذهب عدا آمنة . وليخرجن من هذا المعسر قبل غروب هنا اليوم » قال ذلك ووقف فخرج حسن والغلام وكان أبو سليمان قد استراح ووقف مع الواقعين فلما خرج طار خرج معهم وهو بهم أن يخاطب حسناً وحسن لهم أن يخاطبه

الفصل الخامس والثمانون

﴿ مصيبة أخرى ﴾

وقبل أن يتكامل خروجهم رأى فارساً يسوق جواده نحو فسطاط الحجاج والبغة ظاهرة على وجهه حتى إذا وصل الفسطاط ترجل ودخل بدون ان يستاذن وهو بنوبل « ان مصيبة حلت في خباء النساء »

فلا سمع حسن الصوت علم انه صوت عريف الحرس وخاف أن يكون نجم خمو لا يزال سائداً ف تكون المصيبة حلت في سيدة . فاصنف فسمع الرجل بنوبل « ان مولاها سيدة سقطت لأحرارك بها كأنها تجربت حماً أو أصابها الموت بدنية »

فلا سمع حسن ذلك صعد الدم إلى وجهه واضح . كان حسراً سقط على ام رأسه فكاد يلقن رثى وشفل عن مخاطبة أبي سليمان في كتبنة الحصول على ذلك الكتاب . ولم ينالك عن العدو نحو خباء سمية ولم يكن أبو سليمان أقل بذلة من لانه بعد ان بذل وسعه في خدمة حسن ووسط خالداً لدى عبد الملك حق استثنائه ذلك الكتاب الى الحجاج ثم اجهد نفسه في سرعة السير حتى تجاوز خطوات البريد وجاء بالكتاب في آخر لحظة وسرع نحوه باقتذاف حسن وبخاصة سيدة له — بعد ان توقف في كل ذلك جاء ذلك الغير صدمة قوية اطارات ضربة فصار في اثر حسن نحو الخباء . وسار في اثرها بلال وغلام الحجاج

اما سمية فكانت قد سمعت ما دار بين الحجاج وفرمانه تلك الليلة وما ألم به من حبس حسن الى الصباح وقد ابنته ان الحجاج لا ينفي عليو ولكنها تعللت بالحken البعد وصبرت نفسم الى ما يكون في الغد ففاضت تلك الليلة وهي تذكر في صبر حسن واصرحت وقد اعدت الس لحين الحاجة وجلست وراء جدار الخباء تسمع ما يدور في المخفر من حدث ذلك اليوم

وكان المخفر شديدي الرغبة في الاستطلاع - شأن الناس في مثل هذه الحال فكأنها يرسلون النفر بعد النفر ليقتل لهم اخبار تلك المحاكمة حتى جاء احدم بهذل عرقفة فدق فيها أسدًا على والدها وخوفاً على حبيبها . وكانت امة الله قد بحثت من تحفظ المحبة عنها ولم تعد تستطيع تحاطيها فتركها وشأنها

وبعد قليل جاءهم صبر آخر ان الحجاج قتل حسناً داخل خيمته . فهمست سمية الى السيدة والنبيه حالاً فرأياها امة الله وهي تفعل ذلك فاسرعت لمنها فلم تدركها الا وقد ابلغتها فاصاحت ولو لولت فيها عريف المخفر لسؤال عا جري فاعلمنة ان مولاهما تجرعت الس فنظر اليها فاذنا هي قد امتنع لوجهها والفت رأسها على جدار الخباء ثم توسدت ولم تجد حراً كاكاً فاسرع على جوانده الى الحجاج كاتئتم وهو لم يصدق انها تجرعت الس اما حسن فقد كان يهدو نحو الخباء وهو لا يرى طريقه ولا يبالي بين يراه من الناس ولا بما في سبيله من الاصحاح او العبال او الاوتاد . وربما عذرها فليس وعاد الى المدو لا يلتفت بنت ولا بسرة - حتى اشرف على الخباء فصالح وهو لا يجي ما يتول « سمية سمية ... انا حي ... سمية ... يا حبيبتي ... »

ولما وصل الى الخباء أراد الناس اعتراضه فاخبرهم الغلام بأمر الحجاج فتركوه فاطلق من الباب فرأى فروضه حول سمية وهي ممتلئة كابهاجة بلا روح وقد أطاحت عينها وامتنع لوجهها وانخل شعرها وباحت شفتيها فلم يذالك حسن لما رأها في تلك الحال ان صاح وهم غورها وفي يده خبز . ففرققت النساء عنها فنان و هو يجس بدها « حبيبتي ... روحي ... مديني ... ماذا أصابك ... ؟ تجرعت الس يا سما من حياتي ... اني حي ... يا سمية ... سمية ... اما ان تحبى مثلي او أموت بذلك ... » وفيها هو يفعل ذلك ويهم ان يطعن نفسه بالحجر احسن يد اسكنه ويعص صوتها يناديها « تهل يا حسن ان سمية حية لا يأس عليها » فالثالث فرأى ليل الاختبلة ويدعها كوبة ماء جاءت بها لترش سمية . فنان حسن « ماذا تقولين كف تحجا وقد تجرعت

السم وهو كاف لقتل أشد الرجال

قالت « إن الذي تبرعنا ليس سألاً لا تحف ... »

قال « لاتعلمي بالاوهام انها ميزة وقد ماتت لاجلي أفلاؤ الموت لاجلها ؟ ... » قال ذلك ورفع يده والمخبر فيها فاصاحت فرو لولي « تمبل يا جاهل ان سمية حية ولم تتعبرج السم ولكنها في غيبة »

قالت ذلك وتناولت بعض الماء بيدها ورشتها به من بعد فحركت سمية راسها ثم حركت شفتيها وقالت « حسن ... حسن ... قيلوك قيلام الله ها اني ذاهبة اليك » فلما سمع حمن صوتها جداً عند رأسها وقال لها « سمية ... سمية ... انا حسن ... انا حسي يا حبيبي وقد انتذري الله ... سمية افتحي عينيك وانظري بي ... »

ففتحت سمية عينيها وتلقت وهي تقول « ما هن الا حلام ... ! اين حسن ؟ » ولما وقع بصرها على حسن شخصت في لحظة ثم قالت « حسن ... حسن ... انا حسن ... فاجابها « نعم ... نعم ... انا حسن »

فجلست للحال والتلت نفسها على وراحت في البكاء وهو يقول لها « لا تبكي يا سمية اني في خير »

فقالت له ليلي « دعها تبكي فتنفس كرها وتصحو من سكرها ... »

فشك واما سمية فكانت تبكي وتلهمق ثم ترفع راسها وتنظر الى وجه حمن وتصبح « حسن حبيبي ... هل انا في يناظرة ام في منام ... ? »

فأجلماها الى جانبها وهو يقول لها « انظري الى ها اني حسي وهذه صديقنا ليلي ... واطلبتك ان اسياب تعاستنا قد زالت ... »

فقطعت كلامه قائلة « اتحجاج ... اتحجاج ... اتحجاج ... كيف تزول اسياب النعامة وهو باق ... » وبكت

قال لها « قد جاءه أمر الخاتمة بذلك فطالعك وانعم علينا بالمال على ان خرج اليوم من هذا المعسكر » فحدقت بنظرها فهو كأنها تتحقق ما يقول . فإذا هو يقول الجد واقسم لها بجيها الله يقول الجد



الفصل السادس والثانون

ـ حسن الحنام ـ

فسكن روعها والفتت الى من حوطا فرأى ليل وهن وامة الله فلم تصدق اهها
 شفعت فقالت « يظهر ان السب تأخر فعلة »
 فقالت ليلي « انك لم تخبرني الا دقق الدرة . ولما السب الذي قلنت انك تخبر عنه
 فهو معي » قالت ذلك واستخرجت من جيئها ورقة ففتحتها وفها السب وقالت « لا
 تذكر بين الابلة التي بت فيها عنديك وانت توعدين نفسك بالس .. فند استغناشك
 وايدلت السب بدقيق الدرة الناشئة لاني خنت من مثل هذه الجملة فالحمد لله على نجاتك »
 فهبت سيبة بليلي وقبلتها وقالت « جراك الله خيراً » فقال حسن « بل هي منفلة
 على ... » ثم قص عليهم ما دار بينه وبين الحجاج بالاختصار حتى أتى على ذكر اي
 سليمان وكيف جاءهم في ابان الفيض وانه كان السبب في غلواء من الموت كذا كانت
 ليلي سيباً في نجاة سيبة منه . وكان ابو سليمان لا يزال خارجاً فناداه حسن فدخل وهو
 يقول « هل يدخل عد الله »
 قال حسن « اي عبد الله ؟ »
 قال « خادمك »
 قال « فليدخل . اني أعن عدبي »
 ثم دخل عد الله وهو يقول « لا تظنني تخلىت عن خدمة مولاي ولكنني اصحت بعد
 اخراجك من العجين تحت غضب غرغفة فلم أعد استطاع القظهور ولكنني كنت مخدراً انت
 الاخبار . فلما تخففت نجاتك على هذه الصورة جئت لا تكون في خدمتك ... »
 وكانت سيبة قد صحبت وتخلىت عنها فازرت بمحبها وإنها نجت من والدها فثبتت
 بصرها في حسن وبصر فيها وكثيراً بذمام اللواحظ ثم قال حسن « والى أين نودين
 الذهاب وإين نقيم ؟ »

فاجابه ابو سليمان على النور « نقيان عندنا في المدينة ... »
 فقال حسن « لمن اذا ذكرني امر رملة هل أتيت بالكتاب من خالد الى ابن الزبير
 في طلب رملة ... وكيف حصلت على هذا الامر من عبد الملك ... »

فقص عليه خبر سعده في ذلك الامر على يد خالد ثم قال « وما ابن الزبير فقد
جئته بالكتاب ولكنها وأسفاه عليه قبل ولا تدرى ما نم باملو »
فقال « اهلة لا يزالون في ما من هكذا وقد صرخ لي يقولوا بالزواج » وقص عليه
خنزير الامر ثم قال « وبعد عودتنا الى المدينة سافرت عبد الله الى خالد بالخبر ليبعث
احداً يحمل رملة الى ... ٠٠٠ »

ثم التفت الى لبلي وقال لها « ولا أنسى تعليك ايها الصديقة في ميل هذا الامر
ويذكرني انك كنت سبباً لبقاء سمية كما كان العم أبو سليمان سبباً لبقائي »
فقالت لبلي « لا فضل لي في ذلك وقد فعلته وإن مدفوعة بداع قهري لأنني جربت
هذا العنا وعرفت شفاء الحسين وجهادهم ولا أظن أحداً من هؤلاء ادرك من حالي ما
ادركته أنا لاني وقعت في نحو هذا البلاء. ولكنني لم افر كما فرقنا » فالت ذلك وشرقت برقبها
قادرك حسن أنها نشور إلى حالتها مع توبه فشكراً لله وسكت عن جوابها للا بلاء
عواطفها

ثم وقف أبو سليمان وقال « كل ذلك بتدبر العزيز الحكيم وكل شيء يجري بهضوء
من الله سبحانه وتعالى .. هل بما الآآن تستعد للرحيل وما ان عبد الله وبلاً بعدان
الاموال ونحن نستعد معها للرجل »
فلما تختلفت سمية قرب سفرها التفت إلى هند بنت العنان زوج الحجاج وقالت
« أرجو ان يوقفك الله الى ميل ثقيلين بو كأنجوتانا ... ٠٠٠ »
في ثلاثة الشهور في عيني هيد ولم تحب

وفي اصول ذلك اليوم شدوا الاموال وساروا جميعاً نحو المدينة الا لبلي فلما فهمت
وجهة أخرى . ولما وصلوا المدينة ساروا نحوها الى بيت عرفة وقد أصبح بها فرس ارنا شرعاً
لسمية . وكل ذلك كل ما كان يلكه عرفة من العمار صار اليها . وفي يوم وصولهم جاء سليمان
لاستقبالهم وقد سرّ بفتحهم . واحتفلوا برفاق سمية الى حسن احتفالاً حضرته سمية
بنت الحسين وغيرها من سكان المدينة وكثر لهم كانوا يكرهون عرفة . وضيق في طوبس
وعنة الميلا . واجاد أشعب العطاء في المجنون حتى كادت تحيزق خاصر الناس من الضحك
وبعد التراغ من العرس سار عبد الله الى خالد في دمشق وعمة كتاب حسن بن قصيل ما
وقع له من جهة رملة وبلة جواب ابن الزبير . ثم جاء خالد وتزوج رملة بنت الزبير كما
هو مدون في التاريخ (ثبت الرواية)